السنة الخامسة ـ العدد ٥٨ ـ ذو الحجة ١٤٠٠هـ ـ اكتوبر ١٩٨٠

الفيصل

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



- أندونيسيا والاعلام الاسلامي — الملامح والمرتكزات — بقلم: علي سالم
- لقاء مع البرتو مورافيا
- نحو قدرات علمية عالية
- روما.. الفضة والفوضى
- الجزائر وأيام المحاليك

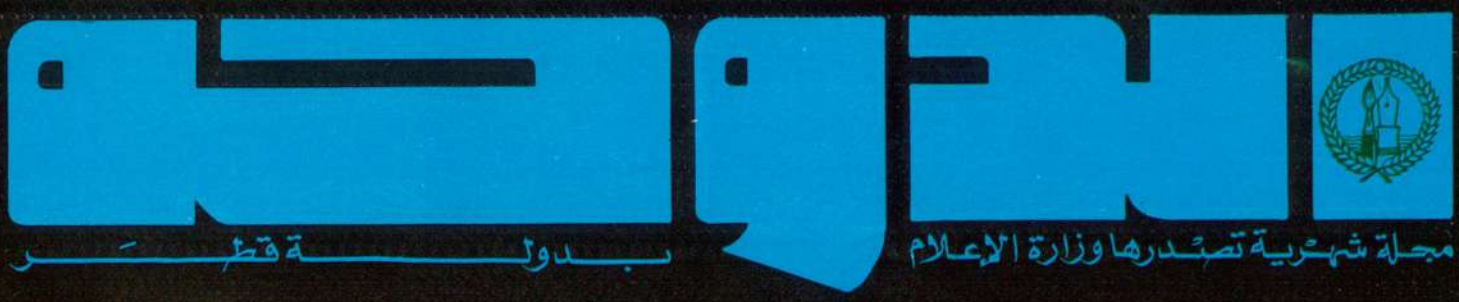


ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي



قطـــــر ٤ ريالات
البحريـــن ٣٥٠ فلسا
الامارات العربيـة ٤ دراهم
عمـــان ٣٠٠ بيسة
الكويـــت ٣٥٠ فلسا
السعوديـــة ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٣٥٠ فلسا
العـــراق ٣٥٠ فلسا
الأردن ٣٠٠ فلـــس
ســـوريا ٣٠٠ قرش
لبنـــان ٣٠٠ قرش
مصـــر ١٥٠ مليما
الســـودان ٣٠٠ مليما
ليبيـــا ٣٠٠ درهم
تونـــس ٣٠٠ مليم
الجزائـــر ٣ دنانير
المغـــرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين اميركيين

الاشتراكات :
للافـــراد :
داخـل قطـــر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربيـة ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائـر الحكوميـة
والمؤسسـات والشركـات :
داخـل قطـــر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا
الاعلانـــات :
يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات



الدوحة

رئيس التحرير

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

هيئة التحرير

مدير التحرير
عبد القادر حميدة

المدير الفني
محمد أبو طالب

المحرر العام
كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير العام
النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق

سكرتير التحرير
نبيل خالد الأغا

البحوث والمعلومات
مبارك عثمان العشى

الإشراف الفني
محمد نبيل الحداد
نائلة فتحى

سكرتير التحرير الفنيان
أحمد عبد الله
على دياب

المجلة الشهرية الصادرة عن وزارة الاعلام والثقافة في دولة قطر ● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة او المجلة

اكتوبر ٨٠

العدد ٨٠

التحرير والادارة : ص.ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقى : المجلة : الدوحة .
تلكس : 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات : ترسل باسم رئيس التحرير

اسلاميات

١٠ د. حسن عبد الظاهر
الاعلام الاسلامي في ميثاق جاكرتا
١٩ د. يوسف القرضاوي
الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد
٢٧ د. عماد الدين خليل
الانسان المسلم هو التقدمي

شئون عامة

٢٢ عباس محمود العقاد
الجديد القديم
٢٤ د. حافظ الجمالي
مسوغات التقصير الاعلامي للقضية العربية
٣٠ د. حسن ابشر الطيب
الغبرات الادارية كيف تقتلع الهياكل الجامدة ؟
٣٣ د. محمد كامل
نحو قدرات علمية عالية في عالمنا العربي
٥٢ عبد المنعم الجداوي
الصياد يحاصر الغزالة

ادب وادباء

٣٦ انور الجندي
الادب العربي ومقاييس المذاهب الغربية
٤٠ يوسف الشاروني
رسالة الصاهل والشاحج للمعري ايضا
٤٦ نعمان عاشور
لقاء مع محمود حسن اسماعيل

صفحات الراى

٤٩ النور عثمان ابكر
مواقف ثقافية : دعوة لانتماء حميم
١١٥ درويش مصطفى الفار
اضغاث احلام : نحن وابن سينا
١٤٦ حسن احمد السوس
الورقة الاخيرة : اطفالنا من يكتب لهم؟

حياتنا المعاصرة

باشراف : خديجة الصدر
٦٨ اوجاع الظهر
٧٤ الجديد في جراحة نقل القلب
٧٥ الغرب يصدر اخبث الأوبئة الى الدول النامية

٧٨ وراثة الخصائص المكتسبة
٨١ جديد في دنيا العلوم

استطلاعات

٦٤ جمال الغيطاني
مشاهد بيروتية
٨٤ كمال سعد
روما الفن والفوضى
٩٣ فاروق خورشيد
التنين وحش الخيال الشعبي

ابواب ثابتة

١١٢ كمال عمار
من كل نبع قطرة

قصص وشعر

٤٢ ناهض منير الريس
يا وطني (شعر)
٥١ وفاء وجدي
الحب في زماننا (قصيدة)
٦٣ عبد المنعم عواد يوسف
والحب له وجه ثالث (قصيدة)
١٢٢ علي سالم
الملاحظ والمهندس : مسرحية
١٢٨ صلاح احمد حسن
مواقف

فنانو هذا العدد

٩٩ د. نعيم عطية
الفيروف
١٠٢ محمد سعيد
البرتو مورافيا يتحدث الى الدوحة
١٠٥ د. رشدي فكار
جان جيتون والزمن والخلود
١٠٦ عبد القدوس الخاتم
رسالة لندن

فنون

٥٨ حافظ احمد امين
مسرح العبث واللامعقول لا يناسب العرب
٦٠ محمد ابو طالب
بيتر اوتول بين اللعنة والغرور

هذا العدد

الاصدقاء الاعزاء قراء هذه المجلة :

تحية طيبة .. وبعد : فاننا نبادر بان نطمئنكم على ان رسائلكم جميعها تصل إلينا . وبدورنا نقرؤها ، ونعيش فيها ، وننبض معكم من خلالها بكل الاحلام الجميلة التى تتراءى لكم فى اليقظة من اجل «الدوحة» . وإذا كنا ايها الأعزاء نمسك عن نشر الكثير منها ، فلاننا ـ كما قلنا من قبل فى اعدادنا الاولى ـ نحب ان يبقى فى علاقتنا بقرائنا جانب خاص من جوانب الحوار بيننا ، يضاف الى اصوات العاملين فى هذه المجلة حيث يكون الحديث متصلا بتلك الأحلام النبيلة التى نضمرها لها وللقراء معا . وكذلك لاننا قررنا ان ناخذ كلمات الاطراء بكثير من حذر الزاهدين ـ عن وعى ـ فيما يسلمنا الى القناعة بالحد «الراهن» من النجاح . فالنجاح لايكون إلا إذا ظل متدفقا فى عروق النمو، مثلما الأشياء فى تغير مستمر ، على ان يكون ذلك نحو الافضل والأرقى .. دائما .

ها نحن ذا اعزاءنا القراء من هذا المنطلق نبدا ربيعا جديدا فى علاقتنا بكم وبالدوحة . ولسنا نريد ان نعقب على تجربة التجديد الماثلة بين ايديكم ، فنقع فى هوى الحديث عن النفس . لكننا كذلك نترقب ان نسمع منكم ، وان ننصت إلى آرائكم ، وان تضيفوا الى احلامنا احلامكم . فليس اروع واجدى من منبر تتحقق له ديموقراطية إبداء الراى فيه .. وله .

وإلى لقاء دائم ومتجدد بيننا .

الدوحة

١١٦ رءوف توفيق
الزواج على طريقة تل ابيب !
١٣٠ جمال قطب
ازمة الفن التشكيلي في العالم العربي
١٣٤ نادية محمد رزق
الحركة المسرحية في قطر
١٣٨ سامي خشبه
زينب والعرش والرجال



ابواب القراء

اشراف نادية محمد رزق



مكافآت القراء

تدعيما للعلاقة الادبية والروحية بين « الدوحة » وأصدقائها المساهمين فى تحرير أبواب القراء .. فان المجلة تقدم مكافات رمزية على النحو التالى :

من تجاربى الشخصية
١٢٠ ريالا

افكار جديدة ١٠٠ ريال

رايت • سمعت • قرات
٦٠ ريالا

دوحة القراء ٢٥ ريالا

والمرجو من الاصدقاء الذين يسهمون فى تحرير أبواب القراء ، التكرم بالكتابة على وجه الصفحة دون ظهرها ، مع ذكر اسم الباب على المظروف الخارجى ، حتى تجد كتاباتهم العناية الفورية •



رسائل إلى المحـــــرر

الشهر الذى مضى

● **حسن أبو طالب**
مستشار اقتصادى
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

لفت نظرى ، واسترعى اهتمامى المقال القيم الذى كتبه الدكتور محمد ابراهيم الشوش فى عدد شوال ١٤٠٠ .. ولسبب ما فلم استطع التعليق عليه فى حينه .. واظن أن ذلك كان لخير لم ادرك كنهه إلا بعد حين .. واهم ما فى مقالكم الذى كان بعنوان «المال العربى .. والخيارات الصعبة» .. هو هذه اللغة البارعة بان المال ليس كل شىء .. وبالرغم من انه نعمة ظاهرة ، فانه لا يستبعد ان تنطوى فى ثناياه نقمة باطنة ..

واريد هنـا ان اضع صوتى الى صوتك ، واضم رايى الى رايك بان المال العربى بشكله «التراكمى» الراهن ، واعتماد العرب حتى الآن على استيراد كل شىء من الخيط حتى السيارة .. من امم اخرى .. لهو شىء يحتاج الى التدبر للخروج من هذا المازق ، الذى جعل علماء الاقتصاد المتاخرين ، والذين كانوا حتى وقت قريب ، يقسمون دول العالم الى : العالم الأول ، الذى يشمل دول أوروبا الغربية وامريكا ، والعالم الثانى ، الذى يشمل دول اوربا الشرقية والصين .. ثم العالم الثالث الذى يضم الاكثرية المتبقية ، هذا المازق جعلهم يعيدون النظر فى تقسيماتهم تلك . وهذا هو الراى الذى اثاره اول من اثاره علنا المفكر الروسى المنشق «الاكسندر سولجنتين» ، وهو يتلخص فى تقسيم دول العالم لاكثر من الدرجة الثالثة ، بمعنى ان هناك دولا فى الرابعة ، والخامسة ، والسادسة وهلم جرا ...

فالعالم العربى يشترك مع العالم الأول فى ان الدول التى حباها الله بالنفط منه ، يكون دخل الفرد فيها اعلى من دول كثيرة فى العالم الاول . وهذه احدى المؤشرات التى تعتمد فى تصنيف الدول ..

ولكن اذا نظرنا الى المؤشرات الاخرى .. لانجد ذلك .. فمثلا نسبة الامية مرتفعة جدا (فى حدود ثمانية بالمائة) .. ثم ان نسبة المتعلمين من الجنسين تعانى من فروق عالية قد تصل واحدا الى ستة بالنسبة للنساء والرجال ..

هذا بالاضافة الى وجود الامية التكنولوجية ، وعدم وجود القنوات التى يمكن أن تستوعب الفائض من البشر الذى يجد نفسه فى خضم الحياة الزاخر دونما موقع ليحتله .. وذلك لانعدام التخطيط فى الحياة العربية بصفة عامة ، ابتداء من الأسرة وحتى الدولة !!

ولذلك على الأمة العربية ، أن تنهض الآن من مرحلة الاستهلاك وهى الآن تتمتع فى اكثر من اى وقت مضى بالمقومات الاقتصادية الاساسية فى البيئة الاساسية ، من طاقة إلى طرق .. الى تكنولوجيا يمكن ان تحول بشقيها (المعتمد على العمالة البشرية ، او الآلة) ، ولا يهم إذا تعرضت هذه الخطط من البدء الى تعثرات مفاجاة ، لانه فى هذه الحال لا يمكن ان تنظر الى الخسارة المادية فحسب ، لاننا نكون قد استفدنا آنئذ من فكرة ادخال التكنولوجيا نفسها ، ومن تدريب العنصر البشرى العربى وكذلك الاستفادة من الاخطاء الحالية ، التى لا يوجد سبب منطقى لتكرارها فى التجربة الثابتة .. واظن أن الدارسين فى مجال اقتصاديات التخطيط والتنمية يعلمون ان هناك طرقا كثيرة يمكن ان يتخطى بها العرب الفترة الحرجة الحالية .

حسن أبو طالب

● **حسين ميرغنى محمد عالـــــــم**
السودان ـ كوستى

قرات مقال الدكتور محمد ابراهيم الشوش تحت عنوان «المال العربى والخيارات الصعبة» وكان لى بعض الكلمات حول ما تضمنه المقال ومنها أن البلايين من المال العربى توجد فى بنوك اجنبية والسبب فى ذلك يرجع اولا واخيرا الى فقد الثقة بالنسبة لرجال الأعمال العرب والبنوك العربية وسبب آخر هو نوع الخدمة التى تقدمها تلك البنوك العربية فانها تنظر الى الربح قبل ان تقدم الخدمات المصرفية والحديثة .

وعليه اتمنى من الله ان تعمل البنوك العربية الى مسايرة ركب الحضارة ، وان تغطى الخدمات المصرفية بالسرعة المطلوبة فى كل الظروف .

ومن الاشياء المؤثرة فى عمل البنوك العربية هو ان تعيين موظفى البنوك العربية تتم من خلال الواسطة ولذلك لا تتوافر فى موظفيها كل الشروط المطلوبة للعمل .

ومن البشائر الجميلة التى هلت على ربوع وطننا السودان هو افتتاح اكثر من اربعة فروع لبنك فيصل الاسلامى الذى سوف يتعامل بالشريعة الاسلامية ، وإن كنت اتمنى ان لا يقع بنك فيصل فيما وقعت فيه البنوك العربية الاخرى .

حسن ميرغنى

● **صلاح حسن موسى**
الخرطوم ـ السودان

اعجبنى مقال الخيارات الصعبة التى تواجه الواقع العربى ، فقد كتبه الدكتور محمد ابراهيم الشوش فى اسلوب واقعى اظهر حقيقة ما يعترى الثروات العربية من معوقات وهيمنة عالمية .

وارى ان يستمر الدكتور الشوش فى لفت انظارنا الى كافة المعوقات التى تواجهنا فى العالم العربى ، حتى نستطيع ان ننهض بامتنا ونضعها فى مقدمة دول العالم .

صلاح حسن

● **ميرفت حمدى ابو طايل**
دمياط ـ ج . م . ع

الشىء الذى يجدر الاشادة به هو هذا التنوع المدهش داخل المجلة ابتداء من «الشهر الذى مضى» هذا الباب الذى يلقى الضوء على خفايا كنا نجهلها وينير بصيرتنا ويقودنا الى طريق الفكر المستنير ويعرفنا على موقفنا الحالى من تلك الدعوات التى تحملها تيارات وافدة

ميرفت حمـدى



إسلاميـــات



● طه حسين محمود
شبراخيت ـ ج.م.ع

عندما قرأت مقال الدكتور يوسف القرضاوى (المجتمع المسلم بين الثبات والتطور) وجدت أن الكاتب استعرض التطور من حيث الوجود الانسانى على هذا الكوكب وعلاقة المجتمع المسلم بهذا التطور وكان يجب التنويه فى افتتاحية المقال الى الفرق بين التطور من حيث الوجود الانسانى والتطور من حيث الوجود الكونى من الناحية الجيولوجية . وللخروج عن شبح المتشابهات كان من المفضل أن يكون عنوان المقال (المجتمع المسلم بين الثبات والتغير البشرى)..

وكذلك كان يجب اضافة لكلمة متعصب الى عنوان (حوار مع امريكى مناهض للصهيونية) ليصبح (حوار مع امريكى متعصب مناهض للصهيونية) ومقولتى هذه يدلل عليها هذا الجزء من المقال (وينصح بضرورة الاستعانة باصدقائهم الامريكيين للدعوة الى قضيتهم) قولوا لهذا المتعصب ان العرب فى غنى عنك وعن أمثالك وهم أولى من المستعمر للدعوة الى قضيتهم الحقة .

واخيرا ورد فى تحقيق (بئر السبع زهرة النقب) هذه الجملة السيئة : « وتعتبر اسرائيل ثالث دولة فى العالم فى انتاج البروم بعد الولايات المتحدة وبريطانيا) هل اسرائيل الشتات .. دولة .. أسفا لهذا الواقع الذى اخترته أيها العربى !

طه حسين محمود



● حمدى فؤاد
بنها ـ مصر

إن امتنا الاسلامية متميزة باستعدادها العقلى والنفسى ، لتولى قيادة العالم وطرق ابواب المرحلة الحضارية المقبلة . وإن التراث الاسلامى العظيم والارث الكبير من الايمان لكفيل بتهيئة كل عناصر القيادة للأمة الاسلامية ، فمتى نبدأ ؟

إن الشيوعيين شغلوا بشيوعيتهم والغرب شغل برأسماله وألته فانسته الله ، فمتى نتقدم نحن أصحاب الايمان والاسلام لقيادة هذا العالم وتنقيته ؟!

حمدى فؤاد

علوم وتكنولوجيا

● ف . م . ع
عدن ـ اليمن الديمقراطية

انا عاشقة خاصة للموضوعات التى تكتبها خديجة الصدر وباب من تجاربى الشخصية الذى اتمنى ان ينشر الماسى الدامية فى حياة الأرامل والمطلقات ، لعل وعسى تتغير نظرة شبابنا إليهم ويشعرون بمدى الآلام التى تعتصرهم ، ويحسون بأن مشاكل إنسان لايجب أن تكون عائقاً دون رغبته فى الحياة العادية .

ف . م . ع

(● مصطفى مريد
المغـــــرب

هذه الرؤيا المستقبلية التى قدمها لنا الدكتور محمد كامل فى مقاله بعنوان « العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل » أمتعتنا ، فى نفس الوقت الذى كنا نود فيه أن يتحدث لنا عن كل موضوع ذكره على انفراد ، فبحوث علوم البحار المستقبلية تحتاج لمجلدات ، وكذلك بحوث المناخ ، والدراسات المتعلقة بالوراثة الجزئية ، وغير ذلك ..

إن الأجيال الجديدة فى حاجة الى التعرف على مستقبلها الذى ستسيطر عليه العلوم والاختراعات سيطرة كاملة خلال السنوات القادمة ولذا فاننى اطالب الدكتور محمد كامل بأن يحدثنا باسهاب عن الرؤيا



المستقبلية فى نطاق العلوم ، وخاصة عن تلك الدراسات المثيرة التى تجرى للكشف عن اسرار المخ البشرى والخلايا العصبية وبحوث الرحلات الفضائية واستخدام التكنولوجيا الحديثة للحفر فى اعماق البحار وبحوث الزلازل والبراكين ، فكل ذلك مرتبط بالانسان ارتباطاً وثيقاً ، ولذا فان أية معلومات فى ذلك المجال تجد صدى عند كل انسان لأنها متعلقة بمستقبله وعالمه الرحيب القادم .

« مصطفى مريد »

العلم والتكنولوجيا

● أحمد حسين حماد آدم
السودان

قرأت فى العدد ٥٥ من المجلة مقالا للدكتور محمد كامل تحدث فيه عن العلم والتكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل .. ولقد كان مقالا شيقا نال إعجابى شخصياً ومشجعاً لكل ابناء الأمة العربية فى أن ينهضوا ويستغلوا عقولهم فى مجال العلم والتكنولوجيا وترك الخمول وبعث الحيوية والرشاقة فى الجيل الناهض والصحو من النوم العميق

لقد تمركزت التكنولوجيا وجميع العلوم الحديثة اليوم فى أيدى الدول الشرقية والغربية غير العربية الاسلامية رغم أنهم لم يسبقونا فى مجال الطب والفضاء ولا علم البحار والأرض ، فهذه العلوم التى يمتلكونها اليوم ما هى الا تطورات لما نقله علماؤنا العرب المسلمون الى بلاد الأندلس فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تغط فى نوم عميق استيقظت منه لتستغل هذه العلوم بعدأن غفل اصحابها . فالعلم ليس شىء ملموس ولاشىء حسى ولكنه شىء يتسرب كما تتسرب جزئيات المادة الغازية الحرة الحركة .. ولذا فاتمنى أن أرى اليوم الذى نتفوق فيه على الغربيين ، ونسترد الوعى العلمى الذى اضاء النور للبشرية جمعاء .

حمد حسين حماد

شئون عربية



● على حسن بغدادى
البلينا ـ سوهاج ـ ج.م.ع

يزداد سرورى مع مطلع كل شهر جديد لأننى اعتبت ان اجد فى كل عدد من اعداد الدوحة جديداً . ومما زاد سرورى سروراً ان تخصص الدوحة ـ المجلة ـ ابتداء من عدد سبتمبر الماضى باباً لدراسة وتحليل ومناقشة واحدة من اهم القضايا التى تشغل غالبية مفكرى هذا العصر وهى قضية الاعلام العربى باعتبارها واجهة لمستوانا الفكرى والثقافى والحضارى ، وهذا الباب هو «تاملات اعلامية» .

ارى ان المقالات الثلاث التى تضمنها عدد سبتمبر يكمل كل منهما الآخر ، بداها الدكتور حافظ الجمالى بالمقارنة بين الوفرة والجدوى ، فلوفرة شىء والجدوى شىء اخر ، فقد كثرت وسائل الاعلام وتعددت انواعها من مجلات دورية ونشرات من كل نوع وسينما وإذاعة مسموعة ومرئية وصحف نصدرها باللغة العربية لتخاطب العرب ونصدرها باللغات الاجنبية لتخاطب الغربيين ومن حولهم . ثم تناول الدكتور فاروق ابو زيد ازمة الدراسات العربية الاعلامية ومظاهرها من نقص الاساتذة وقلة البحوث والدراسات وتعدد المناهج والحلول التى يراها لتلك الازمة . ثم تناول الاستاذ / محمد فتحى حقيقة الخواء الفكرى الذى يزداد فى عالمنا المعاصر حدة وخاصة فى الدول الغربية التى اشهرت إفلاسها مؤذنة بالمغيب .

ولكننى ارى ان الدكتور الجمالى كان متحاملا على الاعلام الغربى فى النقاط الثلاث التالية :

اولا) : حقيقة ان للاعلام العربى مضار ، ولكنى ارى ان مضار الاعلام العربى لا تتغلب على منافعه لا كما يرى كاتب المقال وإن كان محقاً فى ان نفقات الاعلام العربى تكاد تكون باهظة إذا ما قورنت بالمعايير الغربية إذ ما قيست بنتائجها .

ثانياً) : الصورة التى نقلها الدكتور الجمالى على ان الغرب ينظر الينا على اننا من دول العالم الثالث المتخلفة التى يهون فيها شان القانون وتضيع فيها قيمة الانسان ويفقد كرامته وانها بلاد لا يحكم فيها إلا بالسوط حيث يغلب عليها حكم اللاعقل مع تفاقم الفقر فيها .. كل هذه صور مبالغ فيها .

ثالثاً) : يرى د. الجمالى ان الاعلام الخارجى يجب ان نهتم به اكثر من غيره باعتباره الصورة الخارجية التى تخاطب العقل الغربى ، واستدل من مقاله باراء «رينان» الفرنسى ومجلة «الأوربيو» الايطالية وآراء «تونبى» ، فى حين انه يجب ان يسير الاعلام الداخلى جنباً الى جنب مع الاعلام الخارجى . والسؤال هنا كيف يستطيع الاعلام ـ سواء الداخلى او الخارجى ـ ان يجمل صور حياتنا ؟ هذا ما نتعشم ان نقراه فى احاديث د. الحمالى القادمة .

على حسن بغدادى

● محمد غازى ابو هاشم
كلية الآداب ـ جامعة الكويت

منذ حوالى العام وانا اتابع بشغف استطلاعات نبيل خالد الآغا عن مدن فلسطين المحتلة تحت عنوان « وجه مدينة من فلسطين » ، والتى كتبها على اثر زيارته الى وطنه المحتل فى العام الماضى .

اننى كعربى فلسطينى ادرس فى جامعة الكويت اشكر لمجلة الدوحة اهتمامها بقضيتنا العادلة ونشرها لهذه السلسلة. اننى اقترح ان تتبنى مجلتكم طباعة هذه الاستطلاعات فى كتاب او تقوم بطبعه اية وزارة اعلام عربية .

● ابراهيم الكاظمى
بغداد ـ العراق

ماقاله الدكتور الفريد لينينتال اليهودى الامريكى الذى يجاهر بعدائه للصهيونية ، يستحق من اجهزة الاعلام العربية ان تهتم به وتحاول الاستفادة من آرائه ، وإلا كنا كمن يحرث فى البحر .

فقد قال المفكر اليهودى فى حديثه مع درويش مصطفى الفار ونبيل خالد الآغا ان الاعلام العربى فى امريكا بالذات غير موفق ، وان المسالة ليست مسالة مال ولكنها مسالة تكنولوجيا اعلامية ، وان العرب لو صرفوا كل اموال العالم بطريقتهم الحالية لن يكسبوا شيئا ، فلابد من الاستعانة بأصدقائهم من الامريكيين للدعوة لقضيتهم ، او على الاقل توظيف قوم يفهمون عن علم سيكولوجية وعقلية الامريكان ، لانه لا معنى ان تشرح القضية العربية فى نيويورك او لندن او باريس او استكهولم بنفس الاسلوب الذى تشرحه بها القاهرة او بغداد او الدوحة او صنعاء .

فهل يمكننا بعد ذلك ان نعيد حساباتنا ودراساتنا عن واقعنا الاعلامى فى الخارج ؟ .

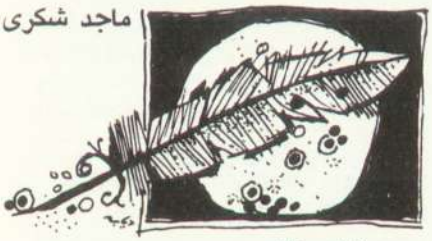


تعقيبات

● ماجد شكرى
المنامة / البحرين

اتابع بشغف حلقات الكاتبة عايدة الشريف «مذكرات شاهدة ربع قرن» وكذلك كتابات الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور فى «مشارف الخمسين» وهذا حقيقة ما يحتاج له القراء الشباب من استذكار فى حوادث واحداث سبقتهم فضلا عن انها تجارب ذاتية باحداثها وشخوصها وسياحة فكرية وثقافية واقعية .

واسال بدورى هل فى نية المجلة استكتاب كبار الكتاب العرب عن تجاربهم وذكرياتهم ويومياتهم التى سجلوها ؟ ففى ذلك تاريخ ومنفعة لنا نحن الذين لم نعاصر ما كان فى عصرهم ايام شبابهم .


ماجد شكرى

● هشام خالد
الاسكندرية / مصر

تعقيباً على مقال الكاتبة «عايدة الشريف» فى العدد ٥٦ من مجلة الدوحة ، اقول ان السيدة الفضلى «عايدة» وقعت فى عدة اخطاء بحسبانها «شاهدة على ربع قرن» واجمل رايى فى ان توقيت نشر المقال جانبه الصواب ، حيث ان «سارتر» مضى ، ولن يكون فى مقدوره دفع ما «الصقته» السيدة الكاتبة به من تهم . وكان حرياً بها نشر المقال الذى مضى على احداثه اكثر من عشر سنوات فى توقيت سابق .

وثانيا ارى ان عدم الموضوعية لازم الكاتبة فى آرائها حول توفيق الحكيم ، وكان تاثير استاذها الدكتور محمد مندور واضح فيما طرحته من آراء حول توفيق الحكيم . وكذلك كان حظ الدكتور لويس عوض الذى اصابته سهام عدم الموضوعية من الكاتبة الموقرة .

وملاحظة اخيرة ، فقد ركزت الكاتبة على علاقة «سيمون دى بوفوار وسارتر» وهى علاقة مبررة من مجتمعهم ، ولا تستحق كل هذا العناء للتقصى والمطاردة وإعمال فكر القارىء العربى فيه بحثا ومناقشة . ولقد ظلا يزوران الدول ولم تقم القيامة لكونهما يعيشان ماارتضياه وما بروه المجتمع الفرنسى لهما ؟ فلماذا ؟!

هشام خالد

استطـــلاعات



● محمد أحمد النور
مدنى / السودان

اشيد بمجهود الأستاذ كمال سعد فى تحقيقاته واستطلاعاته التى نشرها عن العديد من بلدان الوطن العربى ومدنه . واطلب أن تتوسع المجلة فى مجال التحقيقات والاستطلاعات فتشمل الجوانب الاجتماعية لحياة المواطن العربى ، والفنون والفلكلور والتراث . وكذلك العناية الدقيقة بعكس واقع الحياة الجديدة فى الوطن العربى .

ونحن هنا فى السودان أكثر حاجة لمعرفة الحياة الجديدة فى الخليج وموريتانيا وغير ذلك من الدول .

وان مجلة الدوحة تسد لنا فراغاً كبيراً إذ هى نقلتنا عبر هذه الجولات الثقافية الى أرجاء الوطن العربى .

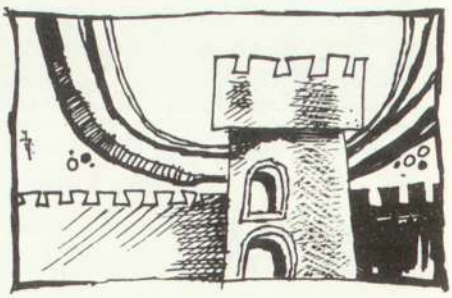
● محمد البشير
صنعاء ـ اليمن

جعلنى كمال سعد اعود الى غرناطة واشبيليه وقرطبة واتذكر امجادها الغابرة التى اضعناها عندما هجرنا كتاب التاريخ العربى القديم..وكم كان حزنى بالغا عندما رأيت أن ما بناه اجدادى وما أعطوه من تراث وعقل وعلم ، قداضاعه بعض الذين تهاونوا فى حق الأمة الاسلامية ..

ولا أدرى لماذا لا نتوسع فى مدارسنا فى تاريخ الأندلس وخاصة اننا ندرس هذا التاريخ بصورة عابرة وبدون تركيز ؟..فما احوجنا الى ادراك هذه الظروف حتى لا تتكرر، وحتى نسلح اجيالنا القادمة بادوات تمنع ارتكاب الجرائم باسمهم وتحميهم من الضياع الذى أخمد فى نفوسنا شعلة الفكر وأصاب عقولنا بالطلاسم والشعوذة والخرافات التى جعلتنا عاجزين

محمد النور

فنـــون



● التجانى محمد حامد
الدويم / السودان

لقد قرات باهتمام بالغ ما كتب عن مدينة سامراء التاريخية واثارها . وكنت اتمنى لو كتبتم عن توأم سودانى لها وهى مدينة «سواكن» . فقد كانت احدى كبريات مدن العالم العربى وآثارها تمثل حقبة تاريخية هامة من تاريخ السودان .

التجانى حامد

● حيدر محمد على
الخرطوم ـ السودان

اصبحت فى كل عدد أقف مبهوراً امام لوحات الفنان جمال قطب ، وكم من مرة وجدت لوحة جميلة وحاولت عمل برواز لها ولكن اقف مختاراً امام الأمر الواقع لأنه لا يمكن الاحتفاظ باللوحة إلا على حساب صورة المجلة التى ستفقد صفحة منها مما يضر بالموضوع الذى كانت اللوحة احد اركانه فيا ليتنى ، اجد لوحاته دون ان اضطر لتمزيق الدوحة

حيدر على

بين المجلة وقرائها



● نور على أحمد
قفط / قنا ـ مصر

لقد تعرفت الى «الدوحة» كمجلة من زملاء الدراسة فى الجامعة ، ولقد كان اجماعهم على انها فى صدارة المجلات الفكرية والأدبية دافعاً الى قراءتها ، وبعد مسيرة مع أعدادها أحسست أن المجلة أكثر اعتماداً على الكتاب الكبار من ذوى الأسماء المعروفة فى الوطن العربى ، وهذا محمدة لها ، ولكن أرجو الا يتم على نصيب الشباب والأقلام التى تتلمس الطريق .

كذلك من رأيى أن تلتفت المجلة الى التراث الشعرى القديم فى الوطن العربى ، إنارة لمعرفة الشباب بتاريخ آدابهم .

نور على أحمد

● ياسر عمر بشير
القضارف / السودان

افتقدنا باب شخصيات من الأغانى ، فهو من الأبواب التى تعنى بالتراث ونقله فى قالب محبب للقراء . أرجو أن تعملوا على إعادته ، فهو متابع من عدد كبير من القراء .

ياسر عمر



● سامر جلعوط
دمشق ـ سوريا

.. تخرج من مخبئها الذكرى
تستدرجنى
تدخل بى فى عاصمة الحزن ..
أهرب منها ..
للصبح ..
الليل ..
الشمس .. الظل ..
اللون
مجتراً كل حكايا الكون ..
لا المس منها .. غير فراغ مطلق
وحكايات ... دليلة ..
والزيبق ...
فلماذا قاسية .. انت ؟
ولماذا ماكرة .. انت ؟
ولماذا ساحرة انت ؟
ولماذا ... رغم احاسيسى ..
بالكره .. تجاهك .. اشعر انى
انـت ؟!

سامر جلعوط

د. حسن عيسى عبد الظاهر

الاعلام الإسلامى
فى ميثاق جاكرتا



رجال الاعلام الاسلامى الذين حضروا مؤتمر جاكارتا

استهل العالم الاسلامى احتفالاته بمرور اربعة عشر قرنا ، واستقبال القرن الخامس عشر الهجرى بالمؤتمر العالمى الثالث للسيرة ، والسنة النبوية المطهرة الذى انعقد فى مطلع العام الهجرى ١٤٠٠ هـ بدولة قطر ، فكان نقطة البدء على طريق وعى يقظ بحاجات المجتمع الاسلامى وقضاياه المعاصرة ، وكان من ثمراته المبكرة إنشاء مركز بحوث السيرة والسنة النبوية بجامعة قطر ، تم تلاه هذا المؤتمر الأول للاعلام الاسلامى العالمى ، والذى انعقد فى مدينة (جاكرتا) عاصمة اكبر دولة اسلامية من حيث الكثافة السكانية وهى (اندونيسيا) فى الفترة من يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر شوال عام ١٤٠٠ هـ ـ الموافق الأول من سبتمبر ١٩٨٠ م ، الى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال ١٤٠٠ هـ ـ الموافق الثالث من سبتمبر ١٩٨٠ م ، وقامت على التمهيد ، والاعداد ، والتنظيم له كل من رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، وجمهورية اندونيسيا .

ويأتى هذا المؤتمر استجابة لضرورات هامة واولية فى سلم القضايا الاسلامية المعاصرة ، فالانسان المعاصر بعامة ، والمسلم بخاصة بقدر ما يعايش الآن عصر الفضاء يعايش بالمثل وبالضرورة عصر الاعلام ، وبقدر ما لانجازات عصر الفضاء من تاثير على الحياة بعامة بقدر ما للاعلام ، وأجهزته ، وإنجازاته ، من تاثير على الانسان بخاصة : فكره ، وسلوكه ، وحضارته ، وحياته .

ومن المقرر أن الاعلام بمفهومه ، ومضمونه ـ وان تغيرت أسماؤه ومصطلحاته ـ قديم قدم الحياة الانسانية ، صاحبها على ظهر هذه الأرض حتى يومنا هذا ، وسيظل الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، والنظرة

- أهمية الاعلام ودوره الخطير فى توجيه السياسات والعقائد
- شدة تزاحم وسائل الاعلام جعلت عامة الناس لا يميزون بين الصدق والتضليل
- أين موقع الاعلام الاسلامي في واقعنا المعاصر ؟
- دعوة الجامعات الاسلامية للعمل على إنشاء أقسام للصحافة الاسلامية
- مطلوب مركز للمعلومات ، وصحيفة يومية ، ومنع النشرات المعادية للاسلام

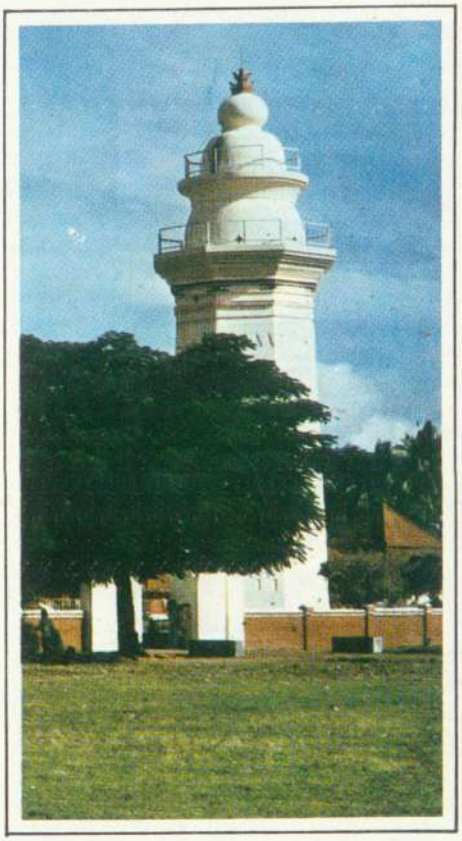
اليه دراسة ، وتقييما ، لابد وان يتسع مداها لتستوعب الماضى ، والحاضر والمستقبل .

ومن واقع عصرنا لا يخفى مدى ما وصلت اليه اهمية الاعلام ، بل وخطره منذ اخذ دوراً خطيراً فى توجيه السياسات ، والعقائد ، والمذاهب ، والآراء ، والشعوب وبخاصة بعد ان عرفت البشرية فى هذا القرن الحروب العالمية ، وشبه العالمية ، الساخنة منها والباردة ، حتى سمى البعض اوراق الدعاية والاعلام (القنابل الورقية) بل وذهب فى تقييم دورها ان جعلها اخطر من (القنابل الذرية) .

وكان من مقتضى هذه الاهمية للاعلام ان قامت له وحوله الدراسات ، والمعاهد والجامعات ، ومراكز البحث والتخصص والندوات ، والمؤتمرات ، وجهدت فى التقنين له ، وتوضيح معالم اصوله ، وفروعه ، وتطوير وسائله المتنوعة ، والتى بلغت حداً كبيراً وخطيراً من القدرة ، والتاثير على الانسان فى كل مجالات حياته وتفكيره ، فى مختلف بيئاته ، وثقافاته ، وسنى حياته .

وقد بلغ من شدة تزاحم وسائله الآن وكثرتها وتنوعها ان اصبح من العسير لدى عامة الناس توافر وسائل التحقق السريع من صدقها ، وفحصها ، وقد كان ذلك من اسباب تهيئة سبل انحرافها وتضليلها مما دعا الى تدخل كثير من الدول فيها بالتوجيه ، او الرقابة ، او التاميم الخ.....

وبالتالى كان لهذا التدخل ـ من بعض الدول ـ مخاطره ايضا ، إذ وجدت بعض الحكومات فى هذا التدخل فرصة لاستغلال وسائله لأغراضها السياسية ، أو العقائدية ، او الحزبية ، وعلى سبيل



المثال بينما تضاعف (الديمقراطية) الحديثة من اهمية الاعلام وخطره تضيـق (النظم الدكتاتورية) وما سببها عليه الخناق ، وتحد من اهميته حتى لتكاد تعدمه حريته ، وتجعله موجها متاثرا اكثر منه موجها مؤثراً ، كما عمدت بعض الدول الى كفالة ضمانات الاستقلال له بصورة او باخرى .

وسط هذا الزحام

من المقرر ان الاعلام الاسلامى واضح القسمات محدد الأهداف والوسائل .

ونظرة فى كتاب الله عز وجل تبين لنا طرف الهدف ، وشرف الوسيلة بما تضمنه هذا الكتاب لصالح الانسانية كلها (كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد) .

ونظرة الى (الاذان) الذى يتردد على سمع الدنيا كلها كل يوم خمس مرات بشعار الاسلام ملخصاً الهدف ، والوسيلة ، والثمرة ، والجانب النظرى ، والجانب العملى ، لهذه الرسالة الخاتمة نجد انه اول واقوى صيغة إعلامية عرفها الانسان حتى الآن فى مضمونه وادائه .

وعلى ضوء هذه اللمحة العابرة نتساءل : اين موقع الاعلام الاسلامى المعاصر ؟ ولعل جواب هذا يكمن فى محاولة الاجابة عن هذين السؤالين : ـ

الأول : ما هو واقع الاعلام الاسلامى المعاصر ؟ .

الثانى : ماذا يجب ان يكون عليه الاعلام الاسلامى المعاصر ؟ .

ولعل هذا المؤتمر الأول العالمى بما تمخض عنه من مقررات وتوصيات وميثاق يوضح معالم الاجابة عن هذا كله

أهداف المؤتمر

كان هذا المؤتمر على كثرة عدد المؤتمرين وتنوعهم وقصر مدته محدد الهدف ، وهذا ما تميز به ، فلم يتسع وقته لدراسات وبحوث علمية مجالهـا قاعات البحث والجامعات ، وإنما كان نصب عينيه موضوعان اساسيان :

الموضوع الأول : شخصية رجل الاعلام الاسلامى المعاصر : وكيف تكون ؟ وكيف تعمل ؟

الموضوع الثانى : الاعلام الاسلامى المعاصر : وماذا يجب أن يكون عليه ؟ وما يجب أن ينهض به من تبعات ؟ .
وقد طرح هذا الموضوعان على المؤتمر فى نقاط تضمنتها كل من ورقة العمل التى صاغتها (الأمانة العامة للصحافة الاسلامية) ، وجدول اعمال المؤتمر وهى :

١ ـ مشروع ميثاق الاعلام الاسلامى .
٢ ـ مشروع ميثاق شرف للصحافة الاسلامية .
٣ ـ مشروع لتطوير وسائل الاعلام الاسلامى .
٤ ـ الحملات الاعلامية ضد الاسلام وطرق التصدى لها .
٥ ـ الفكر الاسلامى والتحديات التى تواجهه فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى .
٦ ـ ورقة عمل حول المقدسات والقضايا الاسلامية ، وطرق مناصرتها .
٧ ـ نص قرارات وتوصيات المؤتمر التمهيدى للصحافة الاسلامية الذى عقد فى قبرص عام ١٩٧٩ م .

برنامج عمل المؤتمر

وفى الجلسة الأولى شكلت أربع لجان وزعت عليها هذه الموضوعات فكانت



كالآتى :

١ ـ لجنة اعداد الميثاق ، والبطاقة الصحفية الاسلامية .
٢ ـ لجنة تطوير وسائل الاعلام .
٣ ـ لجنة المشروعات الاعلامية .
٤ ـ لجنة التحديات الفكرية ، والقضايا الاسلامية .

وفى الجلسة الثانية تمت مناقشة اوراق عمل المؤتمر .
وكانت أولى هذه الأوراق (ورقة عمل) قدمها الوفد العراقى وهى كالآتى : ـ

١ ـ تاييد (البيان العراقى ـ السعودى) حول المقاطعة السياسية ، والاقتصادية لكل دولة تفتح سفارتها فى القدس .
٢ ـ فضح الكيان الصهيونى الذى تحدى مشاعر المسلمين بقرار جعل القدس عاصمة دائمة له .
٣ ـ مقاومة ورفض اى عمل فنى أو اعلامى يعادى الاسلام .
٤ ـ دعوة الدول الاسلامية الى تعزيز التعاون فيما بينها للدفاع عن مبادىء الدين الحنيف .
٥ ـ دعوة الدول الاسلامية ـ ومن خلال اجهزتها الاعلامية والثقافية الى الوقوف بوجه الحملات الاعلامية ضد امتلاك الدول الاسلامية للتكنولوجيا النووية للاغراض السلمية .

وقد ايد المؤتمرون هذه الورقة بعد مناقشات جادة .
ثم كان اليوم الثانى : وفيه باشرت اللجان اعمالها كل منها حسبما حدد لها ، وتم استخلاص المقترحات ، وتلخيصها فى صورة شبه نهائية.
وفى اليوم الثالث والأخير : طرح على المؤتمرين مشروع القرارات ، وعدلت بعض الفقرات ، ثم اقرها المؤتمرون فى

هنا انعقد المؤتمر

تتكون اندونيسيا من (ارخبيل) تتناثر جزره الخضراء على مد خط الاستواء ما بين المحيط الهندى غربا ، والمحيط الهادى ـ الباسفيك ـ شرقا وما بين قارة آسيا شمالا واستراليا جنوبا .
وتبلغ مساحتها ٧٣٥ر٠٠٠ ميل مربع ، ويبلغ عدد جزرها ١٣٠٠٠ جزيرة منها ٦٠٠ جزيرة ماهولة بالسكان ، وكبريات جزرها هى : سومطرة ، وجاوا ، وكاليمنتان ، وسولا ، وإيريان الغربية ، أما سائر الجزر فصغيرة مثل جزيرة بالى الشهيرة وتيمور ، يبلغ عدد سكانها الآن ١٤٠ مليون منهم ٩٠ فى المائة مسلمون .
والمدينة التى انعقد فيها المؤتمر هى جاكرتا وهى عاصمة اندونيسيا ، عرفت ايام الاستعمار الهولندى باسم (بتافيا) ، وكان قد فتحها الشريف هداية الله باسم سلطان (ديماك) سنة ١٥٢٧ م بعد ان دوخ مملكة باجاجارات البوذية ، وقد تطورت مدينة جاكرتا خلال خمسة قرون لتصبح مساحتها الآن ٥٩٢ كم ويصبح سكانها اكثر من ستة ملايين ونصف المليون نسمة وتقوم بها دواوين الحكومة المركزية ومقار البعثات الدبلوماسية كما توجد بها مختلف المصانع ومطاران للرحلات الدولية والداخلية .
وقد اشترك فى هذا المؤتمر التاريخى ما يقرب من (٤٥٠) شخصية اعلامية اسلامية من مختلف انحاء العالم يمثلون كافة اشكال وسائل الاعلام الاسلامى ، ونقلت وقائعه عبر الأقمار الصناعية وتوجهت تركيا ـ بدعوة (من رئيس الحكومة «السابقة») لعقد الاجتماع القادم فيها .

صورتها النهائية .

نظرة الى المقررات

اولا : بالاضافة الى إقرار (ورقة العمل) العراقية ـ السعودية ، فان المؤتمر لم يبدأ عمله من فراغ ، وإنما سبقه مؤتمر تحضيرى فى قبرص عام ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م اسفرعن توصيات هامة .

وقد راى المؤتمر العالمى فى اول مقرراته ضرورة إعادة إقرار وتاكيد ابرز التوصيات التى اقرها المؤتمر التحضيرى فى قبرص بشان الاعلام الاسلامى ، وتتلخص فى :

١ ـ دعوة الجامعات الاسلامية للعمل على انشاء اقسام للصحافة الاسلامية بها ، اضافة الى انشاء معهد لتخريج الكوادر العليا .

٢ ـ تتبنى رابطة العالم الاسلامى إنشاء مركز للمعلومات لامداد الحقل الاعلامى ، وحث منظمة المؤتمر الاسلامى على تنشيط دور وكالة الأنباء الاسلامية

٣ ـ الاستعانة بالطاقات الاسلامية فى مختلف مجالات العمل الاعلامى ودعوة وكالات الانباء فى العالم الاسلامى الى ابراز اخبار العالم الاسلامى والعناية بها لكسر طوق العزلة الذى تفرضه وسائل الاعلام المعادية للاسلام .

٤ ـ دراسة امكانية إنشاء صحيفة يومية ، ومجلات اسبوعية وشهرية بعدة لغات ، وانشاء شركات اعلانات اسلامية حماية للصحف الاسلامية من ضغوط شركات الاعلانات الاجنبية .

ومناشدة البلدان ، والمنظمات الاسلامية منع دخول ، او طبع الصحف والنشرات والكتب التى تعادى الاسلام ، او تؤثر فى شبابه .

رجل الاعلام المسلم

ثانيا : ـ ميثاق جاكرتا الاسلامى : ـ

لعل هذا الميثاق ياتى فى الطليعة من إنجازات هذا المؤتمر العالمى ، فهو فى ابتكاره وجديته يبرز جانبا هاما وخطيراً من اهداف المؤتمر وهو العمل على ايجاد



التعليم الدينى للنساء

رجل الاعلام المسلم الملتزم ، ذلك ان الأعمال بالرجال وما لم يكن هناك رجل الاعلام المسلم الذى يؤمن بشرف رسالته مستوحاة من إسلامه فان كل بناء فى هذا الميدان لا أساس له .

ومن هنا جاء إقرار المؤتمر لهذا الميثاق استلهاماً لكتاب الله وسنة رسوله ، وعملا بالاسلام وعطائه ، ووعياً بما يحدق بهذه الأمة من اخطار ، ووعياً بدور الاسلام فى حمايتها ، وانبعاثها ، وتقديراً لاهمية الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام وحفاظا على واجبها الاعلامى ، وسمو اهدافه ، وشرف المهنة وتقاليدها ، وانطلاقا من الاهداف التى تمثل آمال الأمة الاسلامية .

من اجل هذا كله اقر الاعلاميون المسلمون ميثاق الشرف الاعلامى الاسلامى الذى يلتزمون به ، ويجعلونه نبراس اعمالهم ، ومصدر التقنين لواجباتهم .

ويتلخص هذا الميثاق فى ضرورة العمل على : ـ

١ ـ بناء ودعم شخصية رجل الاعلام المسلم بترسيخ قيم الايمان ، ومبادئه الخلقية وتكامل شخصيته .

كما اقر المؤتمر اصدار بطاقة إعلامية يحملها كل منتسب من رجال الاعلام المسلمين للأمانة العامة للاعلام الاسلامى .

٢ ـ ان يعمل الاعلاميون على جمع كلمة المسلمين ، والتحلى بالاخوة الاسلامية فى حل مشكلاتهم ، وتعريف الشعوب الاسلامية بعضها ببعض ، وتثبيت فكرة الأمة الاسلامية المنزهة عن الاقليمية الضيقة ، والتعصب العنصرى والقبلى ، وان يتعهدوا بالمجاهدة من اجل تحرير فلسطين ، وفى مقدمتها القدس ، وكافة الاقطار الاسلامية المضطهدة .

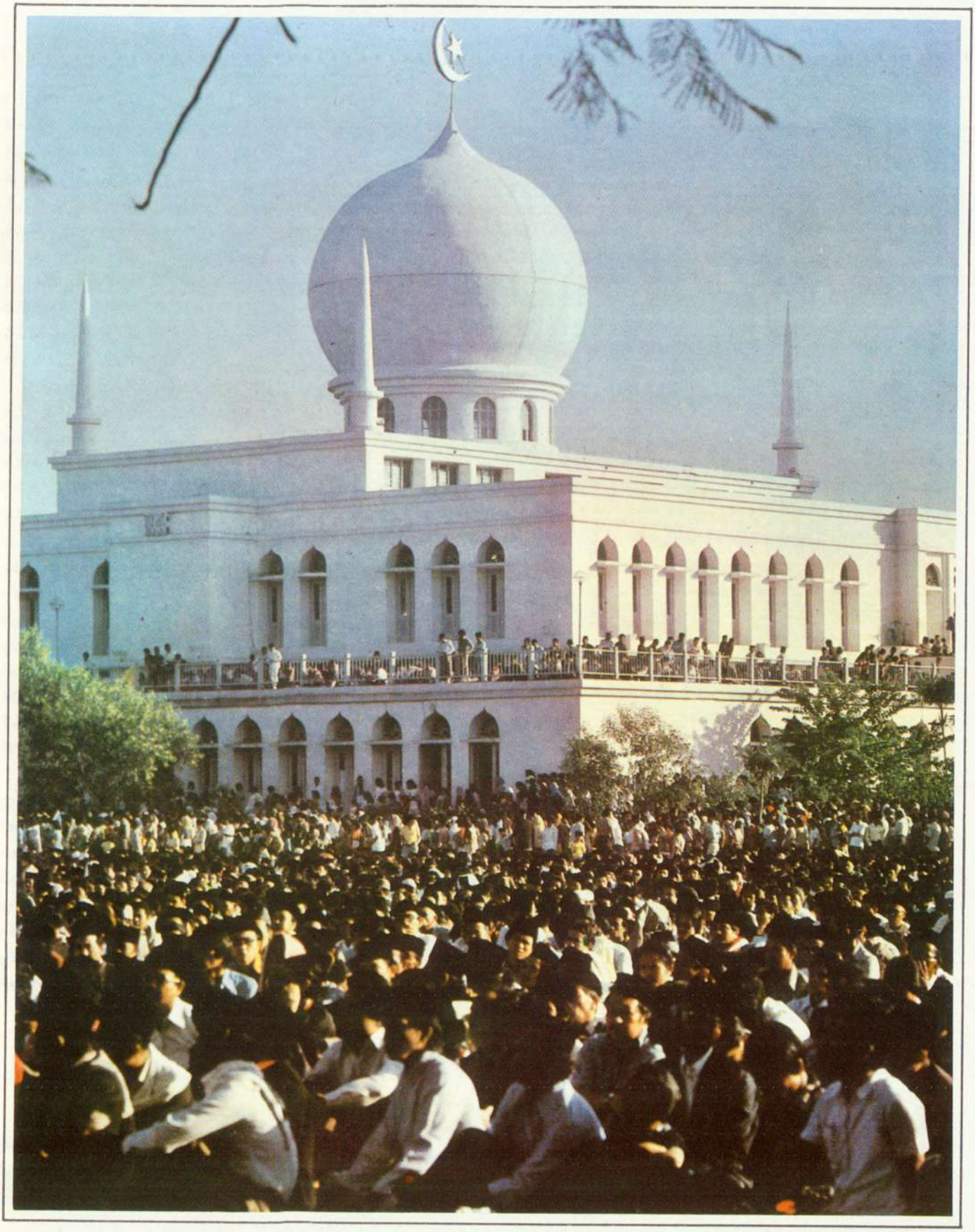
٣ ـ مجاهدة الاستعمار ، والصهيونية ، والافكار ، والتيارات المعادية للاسلام .

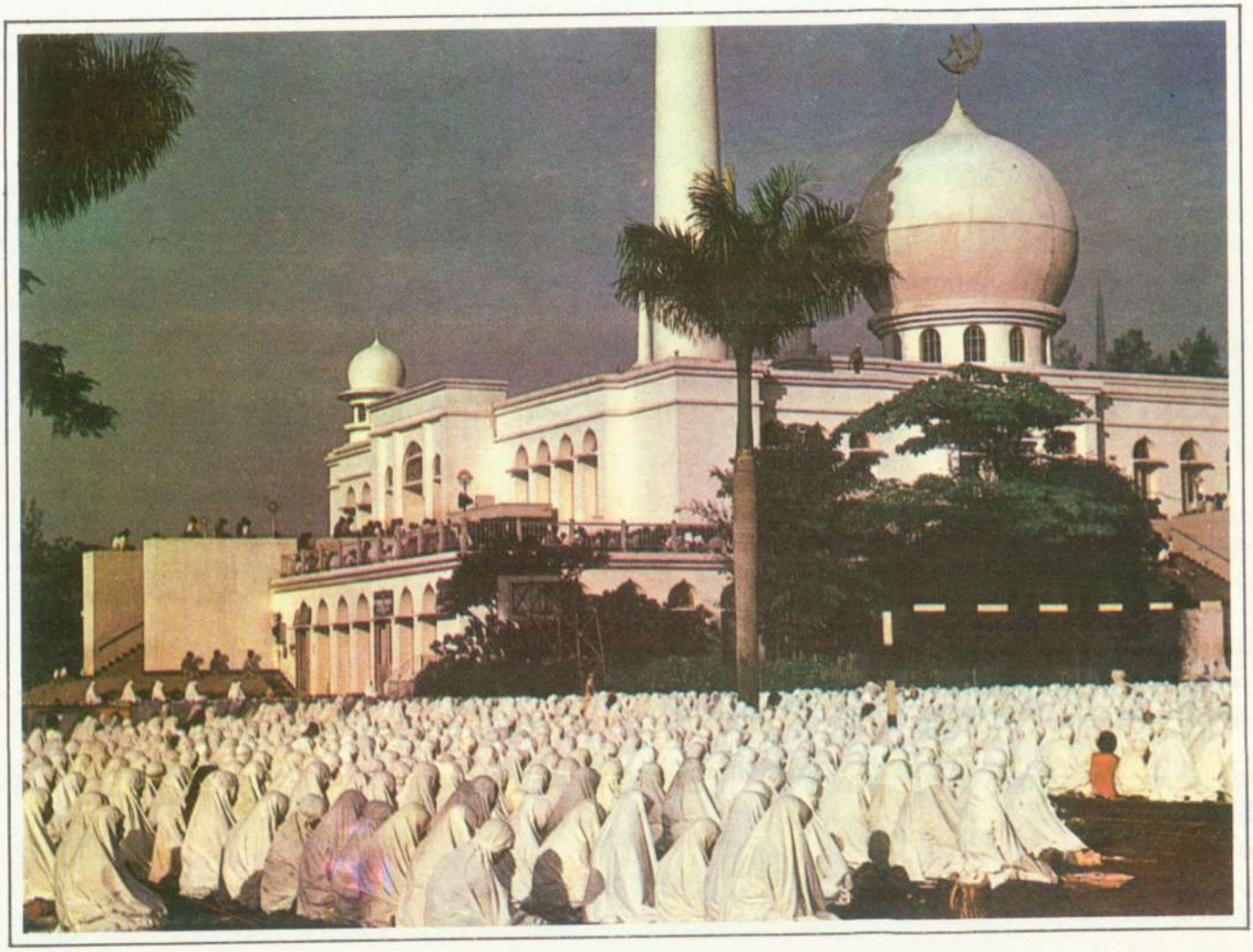
٤ ـ تحرى الحق فيما يذاع وينشر ويعرض مع اداء الرسالة فى اسلوب ملتزم بالآداب الاسلامية .

٥ ـ الالتزام بنشر الدعوة الاسلامية ، والتعريف بالقضايا الاسلامية ، والدفاع عنها ، والاهتمام باحلال الشريعة الاسلامية محل القوانين الوضعية ، والاهتمام بالتراث الاسلامى ، والتاريخ والحضارة الاسلامية ، ومزيد العناية باللغة العربية ، واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف فى جميع مظاهره ، وتحقيق التنمية الشاملة التى تضمن للامة الازدهار والمناعة .

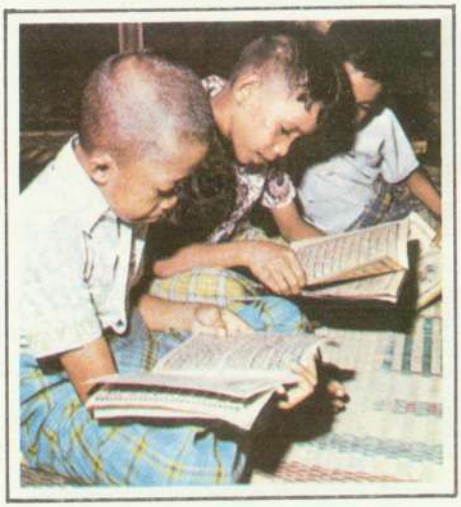
تثبيت الأهداف

ثالثا : ـ ومن اجل العمل على تثبيت اهداف المؤتمر ، وبقاء قوة الدفع ، والنمو والاستمرار له ، اقر المؤتمرون انشاء (امانة عامة دائمة) للاعلام الاسلامى مقرها (مكة المكرمة) تقوم على تنظيم ،





وتنسيق شئون الاعلام ، والاعلاميين الاسلاميين فى العالم ، وانشاء (المجلس الأعلى العالمى) للاعلام الاسلامى ، ويتكون من اربعة وعشرين عضواً من رجال الفكر والاختصاص يمثلون مختلف مناطق العالم ويكون مقره مكة المكرمة . وتكون مهمة هذا المجلس وضع السياسة العامة للاعلام الاسلامى فى العالم وتنبثق عنه اجهزة للتخطيط والتنفيذ ، كما يقوم بانشاء مراكز فرعية له ، ودراسة إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع على اسس اقتصادية وفقا للأبحاث المقدمة للمؤتمر بهذا الشان ، والعمل على انتاج ما يخدم الدين الاسلامى وقضاياه من الأفلام السينمائية ، والتلفزيونية ، والاشرطة الاذاعية والنشرات ، وكتب الجيب ، بغرض شرح وجهة النظر الاسلامية من كثير من الموضوعات والقضايا الهامة ، ودراسة إنشاء اتحاد للناشرين المسلمين وإقامة معارض للكتاب الاسلامى ، ومسابقات للبرامج الدينية .



رابعا : وفى سبيل تحسين الواقع الاسلامى يقرر المؤتمر التاكيد على اهمية الدور الملقى على عاتق كل من وكالة الانباء الاسلامية ، واتحاد الاذاعات الاسلامية ، ويدعو لتطويرهما للقيام بمسئوليتهما كاملة تجاه الأمة الاسلامية كما يرجو المؤتمر تقوية ودعم اذاعة نداء الاسلام من مكة المكرمة ، ويهيب بدعم وتطوير الاذاعات الاسلامية فى كافة الدول الاسلامية .

خامسا : ونظراً لما يعانيه العالم الاسلامى من بعد عن تحقيق تقدم فعلى فى مجال العمل الاسلامى المنشود وبخاصة فى مجال الاعلام ، فان على الاعلام الاسلامى ان يواجه النمو الهائل الذى حققه العالم فى مجال وسائل الاعلام والاتصال ، ومن اجل تحقيق هذا فان الاعلام الاسلامى يحتاج الى (فلسفة



المسجد الكبير فى جاكرتا

ومنهاج) متطور يواكب هموم الجماهير وقضاياها المعاصرة ، ويحقق التواجد والتواصل الاعلامى الشامل واستخدام ارقى الوسائل الفنية المتاحة .

إن الاعلام الاسلامى يفتقر إلى ربط القول بالعمل ، والى مواكبة فهم العصر وإفهامه كما يفتقر الى التنسيق بين المؤسسات الاعلامية من اجل زيادة فاعليتها وتاثيرها ، ومن اجل المساعدة على تحقيق بعض هذه الافكار فان المؤتمر يامل من (الامانة العامة) للاعلام الاسلامى ـ بعد قيامها ـ العمل على : ـ

انشاء مؤسسة اعلامية غير حكومية تتعهد الدول ، والمنظمات الاسلامية باحترام حريتها واستقلالها ، وانشاء معهد للاعلام الاسلامى تكون مهمته التدريب السريع للاعلاميين الحاليين ، وانشاء مؤسسة لانتاج الوسائل ، والادوات الاعلانية ، والتاثير فى وسائل الاعلام العالمية ، والتزام الاذاعات الاسلامية بتبادل الانتاج فيما بينها .

مواجهة الغزو

سادسا : ـ وإزاء ما يعانيه العالم الاسلامى من تحديات تواجه فيه : الانسان والعقيدة ، بل والاسلام كله بعقائده ، وشرائعه واخلاقه ، ولغة كتابه وما يعانيه المجتمع الاسلامى من غزو الحضارة الغربية لشتى جوانبه ، والنشاط التبشيرى وما يتصل بقضية المراة ، واللغة ، والحضارة ، فان المؤتمر قدم لمواجهة كل هذا تصورا اسلاميا كليا يجعل من الالتزام به حصانة للأمة والمجتمع الاسلامى إذا قام الاعلام الاسلامى بدوره كاملا فى إطار التصور الاسلامى لمواجهته لهذه التحديات وغيرها الكثير .

تعقيب

هذا ولعل المؤتمر وهو ينتهى بقراراته الى هذا الحد يضع امام الاعلام الاسلامى معالم على طريق جاد ملتزم ينتصف به من ضغوط خارجية تؤثر فيه تاثيرا خطيرا وتصرفه عن وجهته ، وضغوط داخلية تضعه فى كثير من الاحيان والمواقف فى مواضع الريب والتهم .

ثم إن هذا المؤتمر على تميزه وحداثة موضوعه واهميته هو ـ على اى حال ـ واحد من المؤتمرات التى كثرت فى الآونة الاخيرة فى العالم الاسلامى ، وتمثل ظاهرة تثير بعض الاسئلة على السنة كثير من المهتمين والمتابعين : منها : هل الجانب التطبيقى لما تسفر عنه هذه المؤتمرات من مقررات وتوصيات يوازى حجمها وكثرتها ؟ ام ان تخلف كثير من الجوانب التطبيقية يكاد يؤثر على مدى فاعلية هذه المؤتمرات ؟

وفى الواقع السؤال وارد وقد الح إليه سماحة رئيس المؤتمر معالى الشيخ (محمد على الحركان) فى كلمته فى الجلسة الختامية بقوله :

(إننا مطالبون جميعا ان نحمل هذه الامانة على الكتوف والاعناق والسواعد والايدى لنوصلها معا إلى ساحة التنفيذ والعمل الايجابى .....

إن إدراكنا ايها الاخوة لدورنا فى مرحلة التنفيذ اخطر واثقل حملا لما وضعناه هنا من قرارات وتوصيات سوف تفقد كل معانيها وقيمها إذا ما تركت حبرا على ورق وستكون ـ لا قدر الله ـ مجالا لسخرية الاعداء فى كل مكان وزمان)

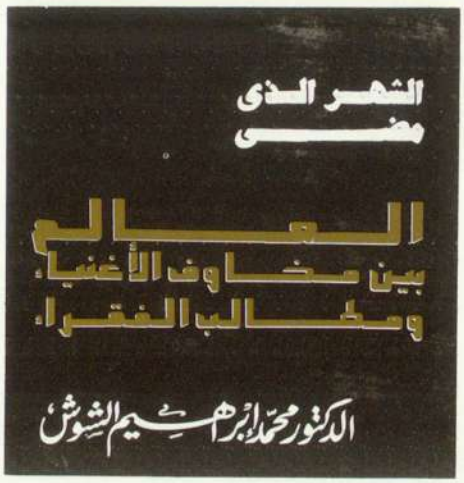
وتبقى بعد هذه المشكلة وهى ان هذه المؤتمرات لا تتمتع باية سلطة تنفيذية تسلك بمقرراتها وتوصياتها مسالك التنفيذ والايجاب .

وحتى تتوفر لها هذه السلطة فانها تؤدى دورا خطيرا فى جوانب الدراسة ، والبحث ، واستخلاص النتائج فى صورة جماعية من اللقاء والاخاء الاسلامى يفتح الأبواب الى (الاجتهاد) الجماعى وإحيائه ، ويضعنا على ابواب ومسالك (الاجماع) الذى هو من مصادر تشريعنا الاسلامى العظيم .

تحية إلى المؤتمر وتمنيات طيبة لمقرراته القوية والجادة ان تجد سبيلها للتحقيق والتنفيذ حتى تصل بالاعلام الاسلامى إلى المكانة المرجوة منه وله ، والله ولى التوفيق .

د. حسن عيسى عبد الظاهر





كلمات من المؤتمر



الملك خالد بن عبد العزيز

لقد سرنى جداً أن يعقد هذا المؤتمر الاعلامى الاسلامى الذى يعد المؤتمر الاول من نوعه فى بلادكم الشقيقة وفى ظل رئاستكم وتاييدكم ، وان تحتضنه اندونيسيا الشقيقة وهى البلد الاسلامى المتحمس لعقيدته فلقد عرف الشعب الأندونيسى المسلم عبر تاريخه الاسلامى الطويل بصدق نصرته للاسلام والعمل على نشره.

خالد بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية

ثقتنا بمستقبلنا يجب ان نبثها فى اوساطنا نحن انفسنا وان نقنع بها العالم اجمع ، وإن وسائل الاعلام هى إحدى الاسلحة الفعالة لتحقيق هذا الغرض ، واذا كنا لانزال نشعر بوجود جور عالمى ووجود سوء التفاهم المتبادل بين الشعوب فيما بيننا نحن المسلمين فان ذلك يعود فيما يعود الى عدم التوازن فى نشر اخبار العالم ويجب ان نعترف كرهنا ام ابينا ان وسائل الاعلام العالمية مازالت تحت سيطرة الدول المتقدمة واننا ـ اردنا ام لم نرد ـ تفيض علينا الأخبار والراى العام العالمى مصطبغة بمصالح الدول المتقدمة ....

لا نكتفى بالشكوى وعلينا ان نقوم بعمل شىء لصالحنا ولذلك فانى ارى ان مؤتمر الاعلام الاسلامى العالمى هذا هو امر فى غاية الاهمية .

سوهارتو
رئيس جمهورية اندونيسيا



سوهارتو



الشيخ محمد على الحركان

إن العالم الاسلام لم يخسر المعارك عبر تاريخه الطويل لقلة عطائه الفكرى ولا لنضب فى طاقاته ورجاله ، ولكن هذا العالم خسر هذه المعارك لفقدان الجدية المختلفة فى ميادين العمل الصادق والمبذول فى سبيل الله.

محمد على الحركان
رئيس المؤتمر والأمين العام
لرابطة العالم الاسلامى

الإسلام فى اندونيسيا

دخل الاسلام اندونيسيا فى القرن الأول الهجرى من شواطىء سومطرة الشمالية وقامت بها مملكة اتشيه اول مملكة اسلامية ، وكان التجار العرب هم أول من حمل الاسلام الى اندونيسيا مباشرة من شبه الجزيرة العربية .

وكان المسلمون الأندنيسيون هم المقاومون لكل اشكال الاستعمار وخاصة الصليبى منه على مدى تاريخ اندونيسيا الاسلامى ، ويبلغ عدد المسلمين بها الآن ١٠٤ مليون مسلم وتعد بذلك اكبر دولة اسلامية من حيث كثافة السكان وبها ٤٠٤٣٩٧ مسجد ومصلى .

الاعلام فى اندونيسيا

تصدر فيها عدة صحف منها صحيفة (بليتا) الاسلامية ، ومن المجلات مجلة (نانجى مشاركات) اسبوعية ، ومجلة (قبلة) نصف شهرية ومجلة (سوارا مسجد) ـ اى صوت المساجد ـ ومجلة (رسالة اسلامية) وغيرها .

ومن الاذاعات الشهيرة فى جاكرتا اذاعة جامعة الشافعية واذاعة الطاهرية ، واذاعة جامعة دار المؤمنين ، واذاعة جامعة المحمدية واذاعة المعهد العالى للدعوة الاسلامية .

ومنذ سنة ١٩٦٨ يجرى العمل كل عام باقامة مهرجان لمسابقة تلاوة القرآن الكريم وحفظه ويلاقى الترحيب الحار من الجماهير الأندونيسية .



الأمّة

مَجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الأول يصدر في مطلع

القرن الخامس عشر الهجري

أول محرّم ١٤٠١

- العلم لا ينقطع بانقطاع الحياة ، ولا يموت بموت أصحابه
- عندما قال الرشيد : هذا خير منى ، فالعلماء باقون ما بقى الدهر
- العبادة إذا أديت على غير علم فهى كبنيان على غير أساس

الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

د . يوسف القرضاوى

الاسلام فيما نعلم ـ أول دين يفضل الاشتغال بالعلم وطلبه والتبحر فيه على التعبد بالشعائر المعروفة ، مع أن القرآن يعلن فى صراحة وجلاء أن الله تعالى لم يخلق الثقلين إلا ليعبدوه «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون»

ولكن العبادة اذا أديت على غير علم فهى كبنيان على غير أساس ، فالعلم هو الذى يوضح أركان العبادة وشروطها وآدابها الظاهرة ، وأسرارها الباطنة ، كما يبين ما يصححها وما يبطلها ، وما يكملها أو ينقصها .

والعلم يعرف صاحبه بمنازل الأشياء ومراتب الأعمال ، حتى يميز بين النفل والفرض ، وبين المهم وغير المهم ، وبين الأصول والفروع ، فلا يقدم نافلة على فريضة ، ولا يقدم غير المهم على المهم ، ولا يضيع أصلا من أجل فرع .

وفى مثل هذا قال السلف : «ان الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة» .

وقالوا : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

ومن فضل العلم على العبادة أن معظم العبادات قاصرة النفع لا تتجاوز صاحبها ، فالمصلى والصائم والحاج والمعتمر ، والذاكر والمسبح وتالى القرآن ونحوهم يتعبدون لله بما يزكى أنفسهم ، وينمى ايمانهم ، ويزيد من حسناتهم ، ويرفع من درجاتهم .. ولكن المجتمع من ورائهم لا ينال من جراء عبادتهم شيئاً مباشراً . يحقق له منفعة ، أو يدفع عنه مضرة .

أما العلم فنفعه متعد ، لا يقتصر على صاحبه ، بل يتجاوزه الى غيره من الناس ، من كل من يسمعه ، أو يقرأ له ، وقد يكون بينه وبينهم جبال ووهاد ، أو بحار وقفار .

الأثر الباقى

فالعلم لا يعرف القيود ، ولا يعترف بالحواجز والسدود ، وخاصة فى عصرنا الذى ينتشر فيه العلم المسموع بالاذاعة والمرئى بالتلفاز فى ثوان معدودة الى المستمعين والمشاهدين فمن مساحات شاسعة ، وينتشر العلم المكتوب بوساطة الطباعة الحديثة الى آفاق المعمورة فى أيام معدودات .

ولا عجب أن روى أبو أمامة ـ رضى الله عنه ـ قال : ذكر للنبى ـ ص ـ رجلان ، أحدهما عالم ، والآخر عابد ، فقال عليه الصلاة والسلام «فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم»

وروى حذيفة بن النعمان : «فضل العلم خير من فضل العبادة»

وفى حديث أبى الدرداء : «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»

ومن فضل العلم على العبادة : أنه لا ينقطع بانقطاع الحياة ، ولا يموت بموت أصحابه .

فمن صلى أو صام أو حج أو اعتمر أو سبح وهلل وكبر ، فان هذه الأعمال لها مثوبتها الجزيلة عند الله تعالى ، ولكنها تنتهى بانتهاء أدائها والفراغ منها .

أما العلم فان أثره يظل باقياً ممتداً ، مادام من الناس من ينتفع به ، مهما تطاولت السنون ، وتعاقبت القرون .

فعن أبى هريرة قال . قال رسول الله ـ ص ـ « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له»

وبهذا يعيش العالم عمراً طويلا بعد عمره المحدود ، وبخاصة من كتب وصنف فان عمر المكتوب أطول وأثره أبقى .

الحاكم والحارس

ألا ترى أننا اليوم ننتفع بتراث علمائنا السابقين ، وندعو لهم ، ونترحم عليهم ، وبيننا وبينهم أزمان وقرون تندق فيها أعناق المطى .

قال يحيى بن أكثم : قال الرشيد يوماً : ما أنبل المراتب ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ما أنت فيه .

قال : فتعرف من هو خير منى ؟ قلت : لا .

قال : لكنى أعرفه : رجل يقول : حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله ـ ص ـ قال

قلت يا أمير المؤمنين : أهذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ـ ص ـ وولى عهد المؤمنين .

قال : نعم ، ويلك ! هذا خير منى ، لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ـ ص ـ لا

الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

يموت أبداً . ونحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقى الدهر .

وما أبلغ ما قال الامام على ـ رضى الله عنه ـ لكميل بن زياد : «العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزكو على الانفاق ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه

العلم يكسب العالم الطمانينة فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون مابقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة »

الاشتغال بالعلم

وهذه الأحاديث وما جاء فى معناها ، وما جاء فى فضل العلم عامة ـ هى التى جعلت كثيراً من السلف يعتبرون العلم أفضل ما يتطوعون به متقربين الى الله تعالى ..

فعن ابن مسعود قال : الدراسة صلاة.

وعن ابى الدرداء قال : مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة .

عن ابن عباس : تذاكر العلم بعض ليلة أحب الى من احيائها .

وقال قتادة : باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه ، وصلاح من بعده ، أفضل من عبادة حول .

وقال الثورى : ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم .

وعنه أيضاً : ما أعلم اليوم شيئاً أفضل من طلب العلم . قيل له : ليس لهم فيه نية ! قال طلبهم له نية .

وقال ابن وهب : كنت عند مالك قاعداً أساله ، فجمعت كتبى لأقوم . قال مالك : أين تريد ؟ قال : قلت : أبادر الى الصلاة . قال : ليس هذا الذى أنت فيه دون ما نذهب اليه . اذا صح فيه النية .

وقال الزهرى : ما عبد الله بمثل الفقه

وقال : مطرف بن عبد الله بن الشخير حظ من علم أحب على من حظ من عبادة

وقال الشافعى : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة .

وقد نقل عن أبى حنيفة ما نقل عن الشافعى ومالك وسفيان من تفضيل العلم على سائر النوافل .

هؤلاء هم أئمة الفقه وأصحاب المذاهب المتبوعة .

وبهذا يتضح ان المفاضلة بين العلم والعبادة لا تعنى المفاضلة بين العلم المفروض والعبادة المفروضة ، ولا بين نقل العلم وفرض العبادة ، ولا العكس ، فانه لا مفاضلة بين نافلة وفريضة ، ولا بين فريضتين لازمتين .

فلا يجوز أن يشغل شيء عن العبادة المفروضة كالصلاة فى وقتها ، ولو كان هو طلب العلم .

ولا يتصور من ذى علم أن يجيز لنفسه أو غيره الاشتغال بالعلم عن اداء الفرائض المفروضة .

ولهذا لما نقل المحقق ابن القيم حديث عائشة ، فضل العلم خير من نفل العمل ، قال : وهذا الكلام هو فصل الخطاب فى المسالة .

فانه اذا كان كل من العلم والعمل فرضاً ، فلابد منها كالصوم والصلاة ، فاذا كانا فضلين ـ وهما النفلان المتطوع بهما ، ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها ، لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه ، والعبادة يختص نفعها لصاحبها ـ ولأن العلم تبقى فائدته .. ولما مر من الوجوه السابقة .



العلم والجهاد

ويندرج فى فضل العلم على العبادة فضله على الجهاد الذى هو ذروة سنام الاسلام ، والذى استفاضت فى بيان فضيلته آيات القرآن وأحاديث الرسول .

يقول الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود أحد أوعية العلم ، ومصابيح الهدى ، والذى نفسى بيده ، ليودن رجال تعلموا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء ، لما يرون من كرامتهم ويقول الفقيه الداعية المربى الحسن البصرى : يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء ، فيرجح مداد العلماء !

ذلك أن الجهاد لا يعرف فضله الا بالعلم .

ولا تتضح شروطه وحدوده الا بالعلم

ولا يتبين الجهاد المشروع من القتال غير المشروع الا بالعلم .

ولا يتميز النفل فيه عن الفرض الا بالعلم .

ولا يعرف فرض الكفاية فيه من فرض العين الا بالعلم .

وكم رد النبى ـ ص ـ من مسلم جاءه يجاهد معه ، لأنه راى أنه ترك واجباً يخصه الزم من الجهاد . فعن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل الى النبى ـ ص ـ فاستاذنه فى الجهاد ، فقال : أحي والداك ؟

قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد .

وفى رواية : أن الرجل قال : يا رسول الله ، جئت أريد الجهاد معك ، ولقد اتيت وان والداى يبكيان . قال : فارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما .

وعن أبى سعيد : أن رجلا هاجر الى النبى ـ ص ـ من اليمن ، فقال هل لك أحد باليمن ؟ فقال : أبواى ، فقال أذنا لك ، فقال : لا . قال : ارجع اليهما فاستاذنهما ، فان أذنا لك فجاهد ، وإلا فبرهما

وفى حديث آخر أنه ـ ص ـ قال لمن جاء يستشيره فى الغزو معه : هل لك من أم ؟ قال : نعم . فقال : الزمها فان الجنة تحت رجليها .

وبهذه الأحاديث استدل العلماء على وجوب استئذان الأبوين فى الجهاد وبذلك قال الجمهور ، وجزموا بتحريم الجهاد اذا منع منه الأبوان أو أحدهما ، لأن برهما فرض عين ، والجهاد فرض

كفاية ، فاذا صار الجهاد فرض عين فلا اذن ، لأن تركه معصية ، ولا طاعة لبشر فى معصية الله تعالى .

وهذا بشرط أن يكون الأبوان مسلمين لأن الكافرين لا يرضيان يوماً بالجهاد لنصرة الاسلام وخذلان دينهما .

طلب العلم

وكل هذه الحدود والفوارق الدقيقة انما تعرف بالعلم ، فمن أعرض عن العلم واشتغل بالجهاد كان حرياً أن يقع فى الخطأ ، أو ينحرف عن سواء الصراط وهو لا يدرى .

وكم من أناس فى الماضى حملوا سيوفهم على عواتقهم يقاتلون من عصم الله دماءهم وأموالهم ، يزعمون أنهم بذلك مجاهدون ، فيقتلون أهل الاسلام ، ويدعون أهل الأوثان . أولئك هم الخوارج الذين صح الحديث فى ذمهم من عشرة أوجه .

وما ذلك الا لأنهم تعبدوا قبل أن يتعلموا ، وجاهدوا قبل أن يتفقهوا ، وتعجلوا العمل قبل العلم ، فضل سعيهم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وكم من شباب اليوم دفعهم الحماس الكثير فى صدورهم ، مع العلم القليل فى رؤوسهم ، والاعجاب المزهو برأيهم ، الى رفض أمتهم ، وتكفير جماهيرها ، واعتبار أوطانها ديار كفر لا دار اسلام . فاستحلوا بذلك ما حرم الله ، وأسقطوا ما أوجب الله ، اتباعاً لمتشابه النصوص ، وابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله .

ولو تعلموا وفقهوا ، وتلقوا العلم من أهله ، وعرفوه من مناهله ، لوقف بهم العلم عند صدورهم ، وعرفهم حقيقة الجهاد كيف يكون ؟ ومتى يكون ؟ ولمن يكون ؟

وهذا ما جعل الامام الحسن البصرى – رضى الله عنه – يقول : العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح . فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم ، فان قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد – ص – ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا .

● كثير من السلف يعتبرون العلم أفضل ما يتطوعون بـه متقربـين إلى اللـه



السيف والحجة

على أن الجهاد الذى جاء به الاسلام ليس كله جهاداً بالسيف ، فهناك جهاد بالقلم واللسان ، وبالحجة والبيان ، أى جهاد بالعلم . وهو المذكور فى قوله تعالى «فلا تطع الكافرين وجاهدهم به (أى القرآن) جهاداً كبيراً »

فلم يكتف القرآن بتسميته جهاداً ، بل سماه جهاداً كبيراً وهذا فى مكة قبل أن يشرع القتال .

وهو جهاد المنافقين فى قوله سبحانه «يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» سورة التوبة .

فجهاد الكفار أخص باليد . وجهاد المنافقين أخص باللسان ولا تعجب اذا جاء فى الحديث «من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع»

قال الامام ابن القيم : «انما جعل طلب العلم من سبيل الله لأن به قوام الاسلام ، كما أن قوامه بالجهاد . فقوام الدين بالعلم والجهاد . ولهذا كان الجهاد نوعين : جهاد باليد واللسان . وهذا المشارك فيه كثير . والثانى الجهاد بالحجة والبيان . وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو أفضل الجهادين ، لعظم منفعته وشدة مؤنته ، وكثرة أعدائه . قال تعالى فى سورة الفرقان ، وهى مكية« ولو شئنا بعثنا فى كل قرية نذيرا . فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً» فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين . وهو جهاد المنافقين أيضاً ، فان المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين . بل كانوا معهم فى الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم . ومع هذا فقد قال تعالى :

الاسلام يقدم العلم على العبادة والجهاد

«يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» التحريم : ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن . قال :

«والمقصود أن «سبيل الله» هى الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به الى الله ، ولهذا قال معاذ رضى الله عنه : عليكم بطلب العلم ، فان تعلمه لله خشية ، ومدارسته عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد .. ولهذا قرن - سبحانه - بين الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز«الحديد» فذكر الكتاب والحديد ، إذ بهما قوام الدين . كما قيل :

فما هوالا الوحى اوحد مرهف
تميل ظباه أخدعن كل مائل
فهذا شفاء الداء من كل عاقل
وهذا دواء الداء من كل جاهل

والمقصود أن كلا من الجهاد بالسيف والحجة يسمى «سبيل الله» وفسر الصحابة رضى الله عنهم قوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» بالامراء والعلماء فانهم المجاهدون فى سبيل الله : هؤلاء بايديهم وهؤلاء بالسنتهم .

فطلب العلم وتعلمه من أعظم سبل الله عز وجل .

قال كعب الاحبار : طالب العلم كالغادى الرائح فى سبيل الله عز وجل .

وقال أبو الدرداء : من رأى الغدو والرواح الى العلم ليس بجهاد ، فقد نقص فى عقله ورأيه .

د. يوسف القرضاوى

لا يولد الناس على فطرة . لكنهم يولدون في مجتمع تختلف فيه العادات

كل أولئك مشاكل متأخرة من طراز اليوم في آراء بعض ذوي الآراء

اللغة العربية الفصحى ... واللهجة العامية من لغتنا العربية

مقال لم ينشر من قبل

الجديد القديم

عباس محمود العقاد

من انفع مافى الذكريات الماضية انها تذكرنا بالحاضر الذى ننسى حقيقته، وهو بين أيدينا .

إنها تذكرنا بالحاضر لأنها تعرفنا بالجديد ، الجديد منه حقا وواقعا ، كما تعرفنا بالقديم الذى يتكرر فى عصرنا ، ولم يزل يتكرر على الأقل مرة فى كل عصر ثم يقال عنه فى كل مرة إنه جديد ، ويخطر فى الظن كل مرة انه بدعة لم يسبق له مثيل .

عادت بنا الذكرى الى سيرة عبد الله النديم ، وعادت بنا سيرة هذا الرجل -الكثير السير- الى آثار قلمه المحفوظة بين الأيدى فى هذا العصر ، فاذا بنا نفاجأ اليوم تلك المفاجاة المألوفة المتكررة عما يسمى كثيرا بالجديد ، وعما ننسى جانب القدم فيه ، فلا نعرف أنه قديم إلا بعد فوات الأوان .

مشكلة التبرج فى الأزياء .

مشكلة الشباب المدلل المضلل ، وفى طليعته شراذم الأحداث الذين اشتهروا باسم فتاهم المفتون جيمس دين !

مشكلة المسرح العربى بين الشرق والغرب .

مشكلة اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية من لغتنا العربية فى المسرح والصحافة ، وفى كل كتابة تعرض على القراء الذين تختلف بينهم درجات التثقيف والقدرة على الاطلاع ، وعلى الانتفاع بالكلم المكتوب ، أو الكلم المطبوع ، أو الكلم المسموع .

كل أولئك مشاكل متأخرة ، من طراز اليوم فى آراء بعض ذوى الآراء ، وفى آراء الذين لا يعرفون من الرأى إلا الحديث المعاد من رواجع الاصداء .

وكل مشكلة من هذه المشكلات قيل فيها إنها بنت يومها ، وبالغ بعضهم فى

ربط النسب بينها وبين العصر فنسبوها الى الحرب العالمية الثانية بتحديدها وتوكيدها ، وبالغ آخرون فربطوا النسب بينها وبين أزمات الصناعة الكبرى ، أو بينها وبين العلل التى كشفتها بحوث فرويد وأصحابه ، ولم يكن لها وجود فى ظنهم قبل هذه الكشوف ، ولا سيما كشوف الجنس أو كشوف الأدب المكشوف .

وراق فى خواطر الكبار والصغار أن يحسبوا أنهم بدعة بين العالمين وراق فى خواطر الصغار خاصة أن يحسبوا أنهم «خلقة وحدها» بين خلائق الله ، وان «الموديل» أو النمط الذى نشأوا عليه من مبتكراتهم هم دون آبائهم وأجدادهم ، لأنهم لا يسمحون لآبائهم بفضل الابتكار مثلهم ، وإن كانوا هم من مواليد هؤلاء الآباء .

ونعود الى صفحات «الأستاذ» من صحف عبد الله النديم .. نعود اليها حتى نرى مثيلاً لتلك الصور التى قيل انها لم يسبق لها مثيل .

ربات البيوت

كانت مشكلة التبرج ومشكلة الشباب المدلل المضلل ـ إحدى مشكلات الزمن قبل نيف وسبعين سنة وكان أهل الزمان يقولون عن يقين إنهم فى آخر الزمان ، وإن مايرونه من البدع شىء لم يبدأ من قبل ، وشىء لن يعاد .

وفى حديث من أحاديث رمضان كان النديم يقول باللهجة العامية على لسان سيدة من ربات البيوت : هى السيدة التى سماها «الست صلوحة» وهى تحاور جارتها التى سماها «الست تقية» وجمع لهما بين سمة التقوى وسمة الصلاح .

قالت الست صلوحة : « الست تحفة قالت لي نبقى نطلع فى رمضان ونروح نتفسح فى شبرا والا فى سكة الجزيرة . وبالليل نزور الستات معارفنا». !

قالت الست تقية :«أنا يابنتى عمرى لا طلعت ، ولا أعرف الخبص ولا اللبص .. الست منا لما تطلع وتمشى فى السكة وإلا تركب عربية .. تتطلع للجدعان والرجال وهم ينظرون اليها ، وربما يكلموها بكلام قلة حيا ... خصوصاً جدعان اليوم ، ولكونهم عرفوا ان بعض النسوان يطلعوا ويمشوا فى السكة صاروا يحطوا فى وجوههم الأحمر والأبيض مثل النسوان ، والواحد منهم يسبسب شعره ويصلح حواجبه ويطلى



عبد الله النديم



جيمس دين

وجهه ويحط على صدره من البودرة ، ويمشى كانه بنت ... فانا عندى ان الواحدة اللى تطلع من بيتها للمشى فى السكك قليلة الحيا وطالعة للفرجة على الرجال والشبان . وإلا ماذا يجرى لها إذا قعدت فى بيتها تضحك و تلعب مع عائلتها والنساء الزائرات لها ... نحن صرنا فى آخر الزمن ،فان المتقدمين قالوا فى آخر الزمن تطلع النسوان فى السكك وتروح الغيرة من الرجال ... ربنا يكفينا شر فضيحة العرض ... ربنا يكفيك شر ولاد الحرام يابنتي ! » .

وفى مساجلة رمضانية أخرى يجرى الحوار بين دميانة المسيحية وفرحانة المسلمة ، وتسأل فرحانة صاحبتها متعجبة : هو انتم عندكم ناس يفطروا فى صومكم مثل الناس الفاطرين عندنا ؟ فتجيبها دميانة :"كل ملة وفيها كفوها ، وان نظرنا لنخلة جوز بنتى نلاقيه أخف من غيره ، لانه ييجى ياكل فى بيته ... شوفى انت الجدعان وقعودهم فى اللوكاندات عينى عينك ، ياكلوا اللحم والسمك والسمن وكل ماحرمته الديانة ولا يخافوا من الله ولا يستحوا من الناس .. حتى اليهود بعد ماكان الواحد منهم يفرط فى روحه ولا يفرط فى دينه أصبح فيهم ناس ياكلوا من ذبيحتنا وذبيحتكم وتركوا عوايدهم وعملوا الافرانكه ... أنا عارفه ياأختى الافرانكا دى كانت فين وكنا فين ... لما دخلت علينا بالحنجل والمنجل وقلبت عقول أولادنا ، وخسرت علينا الدنيا والدين .. »

ورحم الله النديم ورحم معه «استاذه» الذى جعله فى مدرسة الصحافة معلماً بين المعلمين . فهذه هى دروسه باللهجة العامية للأمهات ، يوم كان الآباء فى كثرتهم الغالبة من الأميين ، وكان الدرس الواحد من دروسه البدائية ـ حلا لمشكلة البيت ومشكلة المدرسة والتدريس ، أو حلا لمشكلة التعليم بما يفهمه المتعلمون والمتعلمات ؛ يكلمهم فى هذه الصفحة كما يتكلمون ثم يقلب الصفحة على كلام آخر لا ينبغى أن يقال بغير الفصحى التى لا يلغيها جهل الأمهات والآباء ، ولا جهل الأبناء .

التشخيص العربى

ويمر بالقارىء الحديث عنوان بين الصفحات يوشك أن يتخطاه ، ولكنه يعلم بعد سطرين أن «التشخيص» العربى عنوان يدل على فننا الذى نسميه الآن بالتمثيل ولعله يقف حائراً بين الكلمتين : أيهما أصح دلالة على رسالة المسرح بين الفنون : إن المسرح يعطينا «شخوصاً أو شخصيات » ... فهو كذلك أقرب الى الدلالة عليه بكلمة التشخيص ، ولولا أن تصريف كلمة التمثيل للممثل والممثلة والرواية التمثيلية أيسر على اللسان وأطيب موقعاً فى الآذان ، ولولا أن لقب الممثل أحب الى الفنان من لقب «المشخصاتى» لبقيت كلمة التشخيص عنواناً على هذا الفن إلى الآن ...

ومن توافق الخواطر أن نرى فى أخبار التمثيل قبل سبعين سنة أنهم كانوا يهتمون يومئذ بالذى نهتم به اليوم ، ويقيسون درجة التقدم فيه بالمقياس الذى نعول عليه اليوم : مقارنته بالتمثيل الغربى وإحصاء عدد المقبلين عليه .

ويقول النديم فى العدد الرابع من ابريل سنة ١٨٨٣ :

« سرنا تقدم هذا الفن الجليل فى هذه الأيام وارتقاؤه الى درجة لا تنحط عن درجة «التشخيص» الغربى ، وسرنا أيضاً مارأيناه من اقبال الجمهور عليه وارتياحهم الى تقدمه ونجاحه »

ثم يقول أن مؤلف الرواية دعى بين الفصول لشرح روايته « فقام وارتجل خطاباً فى فضل التشخيص وتقدمه ثم مدح هذا الجوق بما هو أهله » .

ولاريب أنها عادة حسنة فقدناها فى برامجنا العصرية ، لأنها تحفظ للمؤلف مكانه على المسرح بين ممثلى روايته وتهيىء للنظارة فرصة الالتقاء بمؤلفهم كما تهيىء للمؤلف فرصة الالتقاء بجمهوره والافضاء اليهم بما يحبون أن يعرفوه عن شخصه ، وعن عمله ، وعن تلك الحواشى والهوامش التى يبحث عنها جمهور اليوم فى مكان بعيد عن المسرح : وهو مكانها فى الأحاديث الصحفية .

الجديد القديم

أما قضية اللغة ، ومعها قضية التاليف بين الفصحى والعامية فهى اليوم قصة معادة ، وهى بالأمس أحرى أن تسمى بالقضية الجديدة فى الصحافة على الأقل ، إن لم تكن جديدة كل الجدة فى مباحث الكتاب والنقاد .

وكما رأينا فى الحوار بين «صلوحة» و «تقية» يبدو لنا أن الحل الذى وصلوا اليه قد بلغ عندهم مرحلة النهاية التى لامزيد عليها . فنحن اليوم ـ مهما نبذل من جهد ـ لا نطمع فى الوصول الى حل أوفق لحياتنا الحاضرة وتراثنا من الحل الذى وصلوا إليه : وهو خطاب العامة بالعامية وتحرير الكتابة فى موضوعات الأدب والعلم والثقافة وسائر شئون الأمة المشتركة بلغة الاعراب : لغة البقاء ، ولغة الجماعة العربية فى مختلف الأقطار ، ولغة التعليم والكتاب .

وبالأمس كان لهم مجمعهم العربى الذى دعا اليه عبد الله فكرى باشا واشترك فيه السادة البكرى ، والهلباوى ، واحمد سمير ، وأميل الشميل وغيرهم من فضلاء سورية ولبنان ، ومما قرروه فى مجمعهم بعض الآراء والمقترحات التى يتلاقى فيها القديم والجديد أمس ، واليوم وغداً الى غير أجل معلوم ، ومنه تفضيل الكلمة العربية كلما وجدت سائغة قابلة للشيوع والتعميم . وإن لم توجد فالترجمة أو التعريب .

ومنه إدخال الكلمة المولدة فى أساليب اللغة الفصحى ، وإحياء القديم المهجور إلا إذا كان الخطأ الشائع مغنياً عن الصواب الذى طال عليه الترك والاهمال .

ولكنهم كانوا بالأمس أشدّ منا «تطرفاً» فى خطة الالزام والاملاء على المتعلمين وذوى الأقلام ، ومنهم من اقترح أن تعرض القرارات على العلماء والقراء فترة من الزمن للمناقشة فيها . فاذا استقر عليها الرأى وجب تنفيذها بحكم الاجماع .

قال النديم :« ولا تعم فوائد هذه الجمعية إلا إذا تقرر فى مجلس النظار اعتبارها جمعية لغوية والزام مدرسى العربية وغيرها بالنقل عنها وتعليم الطلبة ماتقرره من الفوائد اللغوية ، ويصدر الأمر العالى بالتنفيذ » .

وبعد ، فالى أين يذهب بنا اليوم تجديد هذا القديم ؟ .

إنه يذهب بنا الى المستقبل البعيد ، ليقول لنا إن هذا المستقبل سيرى كثيرا من القديم معاداً متكرراً باسم الجديد ، وسيعلمنا مدى الدهر أن الأجيال تتجدد أبداً كما يتجدد الأفراد : كل طفل يعيد فى حياته عملية الرضاع والتسنين والحبو والمشى والمراهقة والرشد والتمام ، وكل جيل يعيد مراحل الأجيال على هذا المثال وإنما تتغير العادات والعلاقات ولا تتغير طبائع الفطرة ووظائف الأجسام ومدارك العقول .

لا يولد الناس على فطرة جديدة فى كل زمن ، ولكنهم يولدون فى مجتمع جديد تختلف فيه العادات والعلاقات ، وتختلف فيه المطالب والأشكال ، وفى هذا الاختلاف تتقدم الجماعات الانسانية فى طريق القديم الذى يسمى جديدا وطريق الجديد الذى لم يسبق له مثيل .

عباس محمود العقاد

اليهود مبثوثون في مراكز الإعلام الغربية وغيرها من مراكز التأثير !

الإعلام وجه من وجوه المعركة القومية كنظام الحكم أو الاقتصاد أو بناء المصانع

مسوغات التقصير الاعلامي في القضية العربية

د. حافظ الجمالى

لو أن إسرائيل لم توجد فى حياتنا ، ولم تسبب لنا كل ما نعانيه منها الآن ، لكان لدينا من متاعب الحياة ما يكفينا ، بدءاً من طبيعة الأرض الصحراوية ، وجفاف المناخ ، وقلة الأمطار ، ومخازى التخلف ، فضلا عن متاعب أخرى نشأت يوماً ما فى ظلام التاريخ ، وظلت منذ نشوئها ، وهى تستفحل أكثر فأكثر ، كالطائفية ، والفرقة المذهبية ، والعصبية القبلية والعائلية والاقليمية ، كما لو اننا لا نعيش حاضرنا وحده ، ولا الحاضر مضافاً إلى الماضى ، بل الحاضر مضافاً

اليه بصورة خاصة ، ماسى الماضى دون مسراته ، وآلامه دون افراحه . أما وقد وجدت اسرائيل ، فان القضية العربية كلها اصبحت «مشكلة إسرائيل» .

وطبيعى ولا ريب ان نجند كل طاقاتنا الصغيرة والكبيرة معاً لمجابهة هذه القضية . ولم يعد يعنينا الفقر لانه فقر ، ولا الجهل لانه جهل ، ولا المرض لانه مرض ، ولا الثروة من حيث هى ثروة ، بل ما من شىء بذاته يعنينا بصورة أو باخرى إلا بمقدار ما يطل على حل مشكلة اسرائيل ، ولئن كان الفلاسفة اليونانيون يقولون : الانسان مقياس كل شىء ، فعلينا ان نقول نحن : إسرائيل مقياس كل شىء . بل حتى الحلال والحرام ، مقياسهما هو إسرائيل : فكل ما يعود بالخير من جانبنا نحن ، على إسرائيل ، هو الحرام ، وكل ما يؤذيها ويفسد عليها حياتها هو الحلال ، سواء أكان ذلك بوعى ام بغير وعى . فاللاوعى هنا خيانة موضوعية ، والوعى خيانة موضوعية ونفسية معاً . وهكذا فان على كل انسان ان يتساءل عن معنى كل عمل من اعماله ، وعلى كل حكومة او قيادة ان تطرح نفس السؤال . ومتى لاح لهما ان فى اى عمل من اعمالهما ، شيئاً يطل بالخير على إسرائيل ، فان عليهما ان يحرماه تحريماً مطلقاً ، يستوى فى ذلك ما يقصران به من عمل ، أو ما يضيعانه عبثاً من الوقت ، أو ما يقصران به فى الكفاءة ، والعكس بالعكس . وانا اعلم ان ذلك مثل اعلى قد لا يطيقه البشر ، ولكن ما لا يبلغ كله لا يترك جله .

التساؤل الاعلامى

والاعلام وجه من وجوه المعركة القومية ، كنظام الحكم ، او الاقتصاد ، أو بناء المصانع ، أو صورة استغلال الثروات القومية . وعلينا فى كل لحظة ان نلاحظ ماذا يقدم لنا إعلامنا من خير ، وما يدفع عنا من شر . وانا اعرف ، ككل عربى آخر ، ان إعلامنا فى مواجهة إسرائيل قليل الجدوى ، ضئيل الخطر ، حتى ليفقدنا التعاطف الطبيعى مع الضحية ، ويقلب حقنا الى باطل ، ويجعل الحقيقة الموضوعية ، الظاهرة ، الواضحة ، وكانها خطأ مبين . ترى ما هى مسوغات هذا التقصير ؟ وهل يصح ان نعتبرها مسوغات معقولة ، لا مجال



لتجاوزها ، او انها او قل ان فيها شيئاً غير معقول ، ولا مقبول ، ويمكن تجاوزه ؟ فاذا وجدت الاعذار والمسوغات ، فذلك مما يجعلنا نغفر للاعلام زلاته ونقلل عليه من الاتهام ، ونقدر او نقتنع انه باق رغماً عنه حيث هو من الهبوط والتفاهة واللاجدوى ، او الجدوى المعادية لا الصديقة ، إلا ان بقاءه كذلك امر قسرى ، لا حيلة له فيه ولا هو عنه بالمسؤول . ولكن الا يجب فى هذه الحال ان نعدم الاعلام ، ونندسه فى قبره ؟

ومن جهة اخرى ، أليست القضية أوسع من الاعلام واكبر ، باعتباره جزءاً من كل يصلح بصلاحه او يفسد بفساده ؟ او لا يقال ، من حيث المبدأ مثلا ، إن العرب لا يملكون اصلا ادوات الاعلام ، بل القدرة على التخطيط له ؟ او صحيح ان الاعلام نفسه شىء لا يقوم بذاته ، وانه محصلة لصورة الحياة الاجتماعية كلها، وما يسودها من مبادىء ، وما يوضع فيها من نظم ، وما يسن لها من قوانين ، فاذا كانت الدولة سليمة كان إعلامها سليماً ، واذا كانت مريضة تجلى مرضها فى الاعلام ايضاً ، كما يتجلى فى اى مجال آخر ؟ أوليس بالحق ان الاعلام ثمرة بمقدار ما هو دالة ، اى ثمرة لصورة الحياة العامة ، ودليل على نوعيتها ؟

لكن هذا يمضى بنا إلى بحث طويل ، فلنبق منه عند السطوح وحدها ، ولو انها ستمضى بنا هى نفسها الى الاعماق ، حتى من غير بيان او تحليل .

مبررات التقصير

● واول مبرر نجده هو اننا لا نملك فى العالم ادوات الاعلام المناسبة ، او قل إن عدونا هو الذى يملكها لا نحن . والحق اننا نجد يهوداً مواطنين فى أكثر الدول الأجنبية ، ولا سيما فى ارقاها ، او فى صاحبة الشان والقوة منها ، فهم يعرفون لغة البلاد التى ولدوا فيها ، كما انها لغة الأم تماماً ويتقنون علومها ، وآدابها ، ويعرفون عاداتها وتقاليدها احسن المعرفة .

ولا اظن انها محض مصادفة ان نجد عدداً كافياً منهم يتسربون إلى مراكز الاعلام فيها ، وغيرها من مراكز التاثير (المصارف ، البيوت المالية ، تجارة الاستيراد والتصدير ، مخازن البيع ، بالسعر الأرخص ...) . وما دمنا نتكلم عن الاعلام ، فاظن انه ليس بيننا من يجهل ان فيهم عدداً غير قليل فى الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، والسينما ، ودور النشر ، ودور التوزيع مؤيدين فى ذلك كله بمنظمة او جملة منظمات تتبادل العون ، وتعرف كيف تفكر ، وتخطط ، لاشاعة رأى عام مؤيد لاهدافها ، مناهض لاعدائها . وليس الأمر كذلك فيما يتصل بالعرب ، فهؤلاء غرباء عن كل البلاد الأجنبية ، ولا يتقنون لغاتها ، الا فى القليل النادر ، حتى ولو حصلوا منها على اعلى الشهادات وارقاها . ولا تعرف دور الاعلام لأى منهم وزناً فيها ، وليس وراءهم من يخطط ، ويحسن التفكير، ويدعم بالمال ، ويوضح الأهداف الاعلامية ، ولهذا حكم علينا نحن العرب ان نكون دون الصهاينة رغماً عنا ، فى هذا المجال ، كما فى المجالات الأخرى . او لا نذكر هنا قول القائل : إن وراء كل كتاب ينشر او يشتهر فى العالم ، واحداً يهودياً على الأقل ، من ثلاثة هم المؤلف او الناشر او الموزع .

ويخطر بالبال ولا شك حالة مهاجرينا الكثر الى البلاد الأجنبية ، لكن مهاجرينا

موغات التقصير الاعلامي

في الغالب يمضون الى بلاد متخلفة اكثر منا ، او مثلنا تخلفاً ، كامريكا اللاتينية ، ومتى عاشوا زمناً ما فيها ، وانقضى جيلهم الاول ، رأيت ابناءهم يجهلون لغة آبائهم ، ويقطعون كل صلة لهم بالوطن الام (باستثناء بعض المهاجرين اللبنانيين) . وقد تجد منهم من يتنكر للوطن الام ، ويتجاهلونه ، ويضعون على عيونهم عصابة اهل البلاد التى يعيشون فيها ، ويتبنون وجهات نظرهم ، كما هى ، حتى ولو كانت معادية لأهل آبائهم وامهاتهم .

اوليس من الملفت للنظر أن اليهود يعيشون فى بلاد الشتات منذ الفى سنة ، ولا تجد منهم من ينحل فى وطنه الجديد على قدم عهده فيه ، وحياة اجداده لاجيال واجيال فيه ، وأن العكس تماماً هو الذى يلاحظ لدى العرب . إن العرب مادة سريعة الذوبان فى اية مادة اخرى تلامسها ، اما اليهود فقد حرم عليهم اى تفاعل مع من يعايشونهم ، وهم يستعصون على اى انحلال فيه ، ما عدا ذاك الذى يساعدهم فيه على بلوغ ماربهم الخاصة .

ترى هل هذا العائق من النوع الذى لايمكن تجاوزه ؟ إننا نعرف أن مثقفى لبنان والمغرب يملكون الفرنسية كابنائها ويكتبون بها ، ويؤلفون فيها كتبهم ، وينظمون بها شعرهم ، وينشئون بطريقها ادبهم ، وبحوثهم ، فاذا كانت الفرنسية لغة شائعة بين الناس ، أو عالمية ، كما يقال ، أو ذائعة جداً على الاقل ، فلا شك أن ادوات الاعلام العربية فى هذه اللغة ، موفورة جداً .

أما الانجليزية ، وهى اللغة العالمية حقاً ، والشائعة فى كل ارجاء العالم ، بمقدار ما هى لغة اميركا صديقة إسرائيل وسندها واصلها وفصلها ، فلا شك أن بين الفلسطينيين ، والسودانيين ، والمصريين ، والاردنيين ، والعراقيين ، وبعض ابناء الجزيرة العربية ، من يحسن هذه اللغة كابنائها ، أو كافضل ابنائها ، وبالتالى فان ادوات الاعلام البشرية موفورة جداً هنا ايضاً .

يضاف الى ذلك أن لدينا عشرات الالوف ممن يتابعون الدراسة العالية فى مختلف بلدان العالم ، من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب ، وإنك لتجد العرب فى باريس كما تجدهم فى بودابست وبراغ ، وفرسوفيا ، وكل العواصم الشرقية الأخرى كما تجدهم فى ايطاليا واسبانيا . وبجهد رسمى منظم بعض الشىء نستطيع أن نوفر لنخبة من طلابنا فى ايطاليا واسبانيا معرفة بقية اللغات العالمية ، بحيث تصبح كل ادوات الاعلام اللازمة موفورة بين الايدى ، وقابلة للاستخدام فوراً .

والآن هل تتوفر الاقامة الدائمة فى البلدان الأجنبية لهذه العناصر ؟ ان الدكتور الياس زين الذى يتناول موضوع هجرة الأدمغة العربية إلى الخارج ، أى أصحاب الكفاءات العليا يلاحظ أن نسبة المهاجرين السنوية من خريجى الجامعات فى الاقطار العربية كانت بين عامى ١٩٦٢ ـ ١٩٦٦ تعادل ٥ر٥٦ من المهندسين ، و٢ر٩ من الأطباء و ٧ر١١ من علماء الطبيعة و ٨ر٠ ٪ من علماء الاجتماع . وهذا كله فى سوريا ، لكن اللبنانيين لا يقلون عنا هجرة ، والأرقام أو النسب السابقة ، تبلغ هنا ٥ر٣٥ ٪ و ٩ر٢٤ ٪ و ٥ر١٠ ٪ ،وقل مايشبه ذلك عن العراق ، ومصر ، وتونس والاردن . ويضيف الباحث قائلا انه جاء فى تقرير ختامى لمؤتمر وزراء التربية العرب فى (ابو ظبى) ١٩٧٧ أن ٢٥ ٪ من الأطباء العرب يهاجرون و ٢٠ ٪ من المهندسين ، و ١٥ ٪ من الحاصلين على شهادات علمية اخرى .



وكذلك فقد بلغ عدد المهاجرين فى العام ١٩٧٢ـ١٩٧٣من خمسة اقطار عربية هى مصر والاردن ولبنان وسورية والعراق ٣١٣٢ مهاجراً من المهنيين والفنيين ، أى ما يعادل ١٧ ٪ من مجموع المهاجرين ، الذى يبلغ ١٨٦٢٣ مهاجراً . وهكذا نجد بغض النظر عن أسباب الهجرة التى لا نحب الخوض فيها ، أنه لا تنقصنا بحمد الله ، نعمة هجرة المواطنين ، وهى على ما نرى ، هجرة «مبروكة» . أما وجهتها الدائمة وخاصة بالنسبة للأدمغة الثقيلة فهى البلاد المتقدمة .

وصحيح ولا ريب أن المهاجر لا يهاجر وهو راض عن نفسه ... إلا أن الوشائج مع الوطن اكبر بكثير مما يظن الناس ، وحتى المهاجر نفسه ، ومتى وجدت الظروف المناسبة ، فان اكثرية المهاجرين ستلبى نداء الوطن ، وستقوم بكل الخدمات التى تدعى إليها ، وهذه طاقة وطنية «نستثمرها» عادة كما نستثمر كل ثرواتنا الوطنية

والفرق كبير ولا شك بين حسن استثمار هذه الطاقة ، وسوء استثمارها ، ومع أن هجرة الأدمغة عامل سلبى فى ذاته ، وخسارة وطنية مؤكدة ، فان مما لا ريب فيه أن فى وسعنا جعلها هجرة رابحة لا خاسرة . إذ لن يعجزنا أن نجند من نحتاج إلى كفاءته من بين هؤلاء ، لحساب منظمة عربية ما ، أو مؤتمر عربى ما ، على طريقة الصهاينة ، أو اية طريقة اخرى نبتكرها لدواعى الحاجة الحيوية

وعلى ذلك ، فان جهل اللغة ليس هو العائق ، ولا عدد المهاجرين ، وإقامتهم الدائمة فى الخارج ، بالشىء الذى نفتقد وجوده ، وهذا شىء هام ، ولكن هل نملك مؤسسات صحفية ، أو إعلامية ، أو دور نشر ، أو دور سينما ، أو مخرجين سينمائيين ، أو ما يشبه ذلك من وسائل الاعلام ، لتكون بين أيدى الرجال الذين نكلفهم بواجب ما من الواجبات الاعلامية وفى هذه المرة نتساءل : ماذا تنفق كل دولة عربية على الاعلام جملة ، وما هى نسبة ما يخص الاعلام الخارجى من هذا الانفاق ؟ ولئن كان هنالك ما نسميه بالاعلام الخارجى ، فما هى خطته ؟ وما هى أدواته ؟ ومن ألقى عليه يوماً نظرة تقويم أو تقييم ؟ وحتى الاعلام الداخلى

هل نحن حقاً بحاجة الى ذلك ؟ وهو يحرص على الاشادة بمنجزاتنا الداخلية ، وروائع ما نفعله، ولكن هل فطن الاعلام الى مدى التوازى بين الاعلام الرسمى والاعلام الشعبى ، وايهما هو المصدق لدى الناس ؟ ولئن كان الاعلام الداخلى مخفقاً فى ناحية أو اخرى ، كما لو انه يخدم بصورة عكسية جملة الأهداف الموضوعة له ، فهل قام اى انسان بقياس مدى هذا الاخفاق . ؟ وبالتالى أيمكن ان يخفق الاعلام الداخلى ، وينجح الاعلام الخارجى ؟

مقترحات للمستقبل

وفى هذا الاطار يمكن التساؤل : لماذا لا يقدم المفكرون اية صورة رائعة عن منجزاتنا العربية المشهود لها فى الاعلام الرسمى ، بالعظمة والتفوق ؟ أو لماذا لا يقدمون إلا صوراً سلبية ، غاية فى السلبية ، لا عن قطاع الاعلام وحده ، بل عن كل قطاع ؟

ولندع هذا الآن ، ولنتساءل : هل بين المسئولين العرب من يتمنى انتصار إسرائيل ، وهزيمة العرب ؟ واقول لاريب أن كلا منهم يتمنى لو صوره التاريخ بصورة صلاح الدين ، وسجل له نصراً فى معركة كمعركة حطين .

ومع ذلك فان الاعلام العربى الخارجى فيما يتصل باسرائيل ، يمكن أن يكون واحداً ، وإن مؤسسات كثيرة كدور النشر أو التوزيع ، أو المسارح ، أو الاعلان ، يمكن أن تشترى ، وإن إعداد الاعلاميين ، وتيسير السبل أمامهم للتسرب إلى دوائر الاعلام الأجنبية ، أمران ممكنان بصورة أو بأخرى .. لكن المشكلة هى اننا نريد أن يتحقق كل شىء بمعجزة خارجية بلا خطة منا ، ولا جهد يبذل ...!

ترى أليس الوقت مناسباً ـ بعد كل معاركنا مع اسرائيل التى نقدر أنها لن تنتهى بسهولة ـ لفتح ملف الإعلام العربى ، وغيره من الملفات أيضاً ، ولا سيما تلك التى يستند اليها هذا الاعلام ، ويصورها ، ويعبر عنها. ؟

د. حافظ الجمالى

القرآن الكريم يضعنا فى قلب الطبيعة على مستوى الكون والعالم

ليس هناك مبرر فى الرؤية الاسلامية لأى توقف أو رجوع إلى الوراء

المسلم الجاد يرفض وصاية أحد من الوضعيين ويرفض تصنيفهم للناس

الاسلام يستقبل قرنه الخامس عشر

الانسان المسلم هو التقدمى

د عماد الدين خليل

يمثل الاسلام موقفاً فى قمة (حركة) التاريخ لأنه دعوة لاكتشاف قوانين الحركة والتوافق معها .. ليس مع حركة التاريخ فحسب ، ولكن مع نواميس الكون والعالم كله : (أولم ينظروا الى ملكوت السماوات والأرض ؟) (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أكثر منهم قوة ..) (فلينظر الانسان مم خلق ؟) (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ؟) (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ؟) .

ولو شعر المسلم الجاد انه يقف فى موقع ساكن ، او رجعى ، لغادره مباشرة بمجرد أن يملك ذرة من ذكاء فى التعامل مع معطيات دينه ، لكن قناعته تنبثق من كونه ينتمى الى العقيدة التى تجعله الارادة الفاعلة فى العودة بذاته وبمجتمعه وبالبشرية عموماً ، الى طريق (التوافق) ، والتقدم ـ من ثم ـ بزخم عظيم يتولد ـ بالضرورة ـ من التقاء الطاقات الانسانية والمادية فى إطار التوافق وليس تصادمها وتقاطعها وتفتتها .. التقدم إلى كشف اعظم ، وخطوات أوسع ، وبناء حضارى أكثر ديمومة ورسوخاً يقام على هذه الكشوف

ولو تمعنا قليلا فى كتاب الله فاننا سنجده يؤكد ، فى موقفه من العمل الحضارى ، على الجوانب الأخلاقية ، الروحية والمادية على السواء .. وسنجد انفسنا بازاء آيات عديدة تضع الجماعة البشرية المؤمنة فى قلب العالم والطبيعة وتدفعها الى أن تبذل جهدها من أجل

الانسان المسلم هو التقدمى

التنقيب عن السنن والنواميس فى اعماق التربة وفى صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرات .. اننا بازاء حركة حضارية تقدمية شاملة تربط وهى تطلب من الانسان ان ينظر فى بنية السماوات والأرض ، بين مسالة الايمان ومسالة الابداع ، بين التلقى عن الله والتوغل قدماً فى مسالك الطبيعة ومنحنياتها وغوامضها ، بين تحقيق مستوى روحى عال للانسان على الأرض وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق نفس الدرجة من التقدم والعلو الحضارى على المستوى المادى (المدنى) .

ولم يفصل القرآن يوماً بين هذا وذاك ، إنه ـ كعادته ـ يقف دائماً موقفاً شمولياً مترابطاً ، ويرفض الفصل والتقطيع والتجزيىء فى تقييم الموقف (الحيوى) او الدعوة اليه ..

التوازن المبدع

لقد انعكس هذا (التوحد) بين قيم الروح والمادة بوضوح كامل عبر مسيرة الحضارة الاسلامية التى قطعت القرون الطويلة وهى تحتفظ بتوازنها المبدع بين الطرفين ، وانجزت وابتكرت وكشفت ونفذت الكثير الكثير من المعطيات الحضارية التى لم تهمل جانباً من الجوانب المرتبطة جميعاً ارتباطاً متيناً بخلافة الانسان على الأرض ودوره الحضارى فى العالم . وليس من داع لأن نشير هنا الى ان ما حققه ابناء هذه (الحضارة) التى استمدت منهجها من القرآن الكريم نفسه ، فى مجالات الطبيعة والفلك والرياضة والطب والعلوم التطبيقية وغيرها لايقل فى مستواه ـ كما ونوعاً ـ عما انجزوه فى ساحات العلوم والدراسات الانسانية ..

وعما تحققوا به فى مجال الروح والتعبد .. وما كان لها إلا أن تكون كذلك وهى تعمل فى ظلال مناخ حضارى متوازن غير ساكن نتلمسه بوضوح من خلال آيات عديدة عرضنا لبعض منها وهذا بعضها الآخر ، على سبيل المثال لا الحصر : (فلينظر الانسان الى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبة . وفاكهة وأبا) (أولم ينظروا إلى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء ؟) (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ؟ والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت ؟) (وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) (فلينظر الانسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض) .

إن القرآن من خلال هذه الآيات وغيرها كثير ـ يريد أن يضعنا فى قلب الطبيعة ، على مستوى الكون والعالم ، وان يختار لنا موقعاً (تجريبياً) يعتمد النظر الحسى والتمعن والفحص والتجريب من اجل الكشف والابتكار والابداع ، والتقدم من ثم ، ومن اجل ألا نفقد توازننا الحضارى فنجنح باتجاه الروح او الأخلاق ونهمل التكييف والتطوير الماديين الملازمين لأية حضارة متوازنة .. إن هنالك بداهة من أشد بداهات الايمان اهمية (رغم شدة الظهور تقود أحياناً الى الخفاء !!) ، تلك هى أن الله سبحانه ما دام قد (عبر) عن ابداعه وقدرته الكلية على مستوى الروح والمادة ، الانسان والطبيعة ، فليست ثمة معنى ابداً لأى موقف بشرى من المادة أو الطبيعة يتميز بالهروب أو الاحتقار أو السلبية أو الاستعلاء ، إن هذا (الموقف) مهما كانت درجته ، غير مبرر فى بداهات الايمان ولا فى مقتضيات استخلاف الانسان فى الأرض ، ليس هذا فحسب ، بل إنه يقف نقيضاً لهذه البداهات والمقتضيات ، ومن ثم فهو مرفوض فى القرآن ابتداء ..

حركة فى قلب العالم

إن القرآن يوجه انظارنا فى الآيات السالفة إلى أشد الأمور مادية وثقلا : الطعام ، النطفة الأولى ، الأرض والسماء والجبال ، والى دنيا النبات والحيوان ... ويدعونا لأن نسير بحثاً عن سنن هذه العوالم ، وادراكاً لأبعاد خلقها المعجزة التى لا تتحقق الا بارادة كلية نافذة لا يعجزها شىء .. إن القرآن يدعو الى (حضارة) (تنمو) و(تتقدم) على كل المستويات الروحية والاخلاقية



والطبيعية .. وهو يخصص المقاطع والآيات الطوال للمسالة الحضارية فى مستواها الطبيعى ، المادى ، ولكن شرط أن تضبطها القيم والمقاييس الدينية الآتية من عند الله .

إن كل آية تتناول مسالة طبيعية او حيوية أو مادية تنتهى بافعال التقوى والايمان وبالدعوة الى ربط آية فاعلية بالله .. وهذا التاكيد المتكرر له مغزاه الواضح .. إن منطق (التوازن الحركى) الذى يرفض الانحراف أو السكون ، هو القاعدة التى نتلمسها فى القرآن الكريم بوضوح من خلال عدد كبير من آياته ، والتى تكفل نمواً سليماً لأية حضارة تستطيع أن تحافظ على نقطة التوازن بين تجربتى الروح والمادة ولا تنحرف باتجاه احداهما ، مهملة الأخرى ، أو ضاغطة عليها ، مستخدمة إزاءها أساليب القمع والكبت والتجديد .. التوازن الذى يمكن الحضارة من الحركة لأن الأهداف التى يضعها أمامها تاخذ مستويات صاعدة لا يحدها افق ولا يقف فى طريقها تحديد صارم إنها تبدأ بتامين متطلبات الحياة اليومية المباشرة .. وتتقدم ، بعد هذا ، صوب إعمال الفكر فى قلب العالم للكشف عن نواميسه ، او فى أماد الكون لادراك سره المعجز ، هذه الفاعلية الفكرية التى ما لها من حدود تقف عندها ، حيث تشتعل دوماً فتيلة الايمان التى ما لها من نفاد ..

لا تناقض مع العقيدة

لو أن المسلم الجاد يشعر لحظة بانه يقف فى موقع رجعى أو ساكن لتخلى عنه تواً لانه لا يريد أن يناقض نفسه وعقيدته ، ولكنه يحس انه يتحرك فى قمة المسيرة التاريخية دائماً .. لانه ملب لكلمة الله التى تقوده وتحدوه .. وكلمة الله ترفض ، أشد ما ترفض ، نزوع بعض الزعامات والقيادات والجماعات الى الوراء ، ومواقفهم الرجعية التى ترفض أية دعوة تسعى لكى يحتلوا مواقع فى الأمام :(أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟) (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ؟) (واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا) (قالوا : أجئتنا لنعبدالله وحده ونذر ما كان يعبد

لقد تحدث عشرات الوضعيين عن مفاهيم الحركة واتخذ كل منهم موقفا إزاءها

آباؤنا؟) (قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) (إن هذا إلا خلق الاولين) (وانهم الفوا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يهرعون . ولقد ضل أكثر الاولين) (بل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل : أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون !)

من الذى يصنف الناس ؟

ومن غير الله سبحانه يقدر على تحديد مواقع الرجعية ، والسكون ، والتقدمية ، .. الله الذى يعلو على مواضعات الزمان والمكان النسبية ، ويستشرف بعلمه المحيط صيرورة الكون .. والتاريخ .. والطبيعة .. والحضارات ؟

لقد تحدث عشرات الوضعيين ، بل مئاتهم ، منذ عهد أرسطو وسقراط وأفلاطون .. وحتى عصر برغسون ، وديوى ، وتوينبى ، وسارتر .. تحدثوا عن مفاهيم الحركة .. وكل اتخذ موقفاً إزاءها وحدد على ضوء موقفه ما هو رجعى ، وما هو ساكن (ستاتيكى) ، وما هو حركى تقدمى (ديناميكى) .. موقفاً يختلف بدرجة أو أخرى عن مواقف الآخرين .. فمن منهم يا ترى يكون مصيباً ؟ ولماذا يكون إدعاء العلمية والصواب المطلق حكراً على هذا المفكر أو الفيلسوف .. أو ذاك .. ما داموا أنهم جميعاً أعملوا عقولهم ، من خلال قدرات نسبية ومعرفة غير كاملة بالحقائق .. ثم أصدروا حكمهم بعد هذا !

ليس ثمة قول فصل فى هذا المجال .. كما هو الحال فى أى من مجالات الفكر الوضعى فيما يسمى بدائرة العلوم الانسانية والتى يحلو لرجالاتها ادعاء العلم المطلق ، وأن ما يطرحونه من فلسفات هو بمثابة كشف نهائى لسنن العالم والحياة .. على العكس من رجال العلم المختبرى الذين علمتهم مناهج بحثهم (العلمية) حقاً أن يتواضعوا فلا يقعوا فى مظنة الادعاء .. ونظرة فى كتاب الكسيس كاريل (الانسان ذلك المجهول) وكتاب سوليفان (حدود العلم) تمنحنا حشداً من الشواهد على ما نقول

والمسلم الجاد يرفض وصاية احد من الوضاعين ، ويرفض تصنيفهم للناس الى رجعيين وسكونيين وتقدميين ، كما يرفض تصنيفهم للحقائق والسنن والنواميس ، لأنهم كما يصفهم القرآن (إن يتبعون الا الظن .. وما تهوى الأنفس) .

والمسلم الجاد ، الذكى ، مقتنع حتى آخر قطرة من دمه ، وأعمق خلية فى دماغه ، أنه يختار باسلامه أكثر المواقع حركية وتقدمية فى مسيرة التاريخ ونواميس الكون وخرائطه .. وأن جهاده ، الذى هو بمثابة ثورة دائمة ، انما هو ستراتيجية الحفاظ على هذا الموقع ، ودعوة الانسان فى مشارق الأرض ومغاربها الى اختياره ..

الجهاد .. حركة صوب الأمام

والجهاد هو حركة المسلمين التقدمية الدائمة فى العالم لاسقاط القيادات الجاهلية الضالة واتاحة حرية الاعتقاد للانسان حيثما كان هذا الانسان ، بغض النظر عن الزمن والمكان والجنس واللون واللغة والثقافة والانتماء .. إنه – فى الحقيقة – مبرر وجود الجماعة الاسلامية فى كل زمان ومكان ، ومفتاح دورها فى الأرض ، وهدفها العقيدى ، ومعامل توحدها ، وضامن ديمومتها وتطورها .. وبدون هذه الحركة الجهادية يسقط المبرر ويضيع المفتاح ، وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الوحدة والتماسك والاستمرارية والبقاء .. إن الجهاد ، كهدف إيمانى حركى دائم ، أشبه بمعامل عقائدى – اجتماعى يشد أفراد المجتمع الواحد بعضهم الى بعض ويوجههم صوب بؤرة واحدة ، ويدفعهم الى تجاوز السكون والتحرك الدائم الى

الانسان المسلم هو التقدمى

أهداف أبعد فأبعد ، وهذا – بطبيعة الحال – يجيىء بمثابة ضمان أكبر لوحدة الجماعة المسلمة وتماسكها واستمرارها وصيرورتها التحريرية المبدعة ..

وعلى العكس ، ما إن تفتر روح الجهاد فى نفوس المسلمين ، أفراداً وجماعات ، قيادات وقواعد ، حتى تتفكك عرى وحدتهم ، وتتعدد أهدافهم ، وتميل تجربتهم الاجتماعية الى التباطؤ فالسكون ، وتتساقط مواقعهم الأمامية ، بدلا من أن يسددوا ضرباتهم الى القوى الجاهلية ، ويمتلكوا زمام المبادرة الاستراتيجية فى العالم ، اذا بهم يتلقون الضربات من هذه القوى ويتراجعون ، صوب المواقع الدفاعية فى الخطوط الخلفية .. وإن تاريخنا ليقدم لنا عشرات الأمثلة التطبيقية على صدق هذه المعادلة ..

التقدم الى آخر لحظة

إن الجهاد ، يقول الرسول المعلم عليه السلام (ماض الى يوم القيامة) .. فليس ثمة مبرر فى الرؤية الاسلامية لأى توقف أو رجوع الى الوراء .. وإن الابداع ماض هو الآخر الى يوم القيامة .. فاذا قامت الساعة ، يقول الرسول – أيضاً – عليه السلام (وفى يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر) !! فليس ثمة توقف ، أو استسلام ، أو رجوع .. إنما هو الانطلاق ابداً الى الأمام .. والى آخر لحظة ..

ومادام المسلم يلتزم طريق الله ، وقد ألمنا ببعض أبعاده ، فليس ثمة (رجعية) فى الحسبان .. وإنها لكلمة باطلة هم قائلوها ليدفعوا المسلم الى التشكك بسلامة الاتجاه حيث تنعدم الرؤية وتتفرق السبل ..

وصدق الله العظيم (.. انك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض) .

د. عماد الدين خليل

- **المرونة ، والاتزان العاطفى ، والقدرة على اتخاذ القرارت . اهم مكونات القيادة**
- **متطلبات الحياة تقتضى إعادة النظر فى القديم وتشكيله من جديد بصورة معاصرة**
- **تنمية جانب الثقافة العامة تدفع القياددة التنفيذية إلى ملاحقة مايجد من دراسات**

الخبرات الادارية ؟
كيف تقتلع الهياكل الجامدة

د.حسن أبشر الطيب

لقد تعاظم دور الدولة فى مجتمعنا الحديث بالقدر الذى جعلها السلطة المهيمنة والمنسقة لكافة وسائل الانتاج وكيانات الخدمات ، وهو دور تؤديه من خلال الأجهزة الفنية فى الوزارات والمصالح ، وعبر الكيانات التنظيمية فى الأقاليم والادارات المحلية .

إن بناء الدولة الحديثة وتحقيق سبل النمو والتطور فيها قد أصبح رهيناً بفاعلية مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

لهذا كله فان السمة اللازمة والمميزة للدولة الحديثة هى أنها دولة مؤسسات .

إن تنوع أساليب الحياة فى مجتمعاتنا الحديثة وما استوجبه من تعدد أساليب الانتاج والخدمات ، اضافة الى معطيات التقدم التقنى ، قد انعكس بطبيعة الحال على تكوين المؤسسات ، سواء أكانت انتاجية أو خدمية ، فنجد لذلك ان فروع العمل فيها قد تشعبت وتعددت أساليبه وأصبحت فى كثير من الحالات تكويناً مركباً ومعقداً من المناشط وعمليات الاتصال . يضاف الى ذلك حقيقة ان جميع هذه المؤسسات تعمل فى ظروف متغيرات عديده فى البيئة ، وهو تغيير دائم ومستمر لأن متطلبات الحياة تقتضى دوما إعادة النظر فى القديم وتشكيله من جديد لكى يتواءم مع مقتضيات النمو والتطور .

القيادة الموهوبة

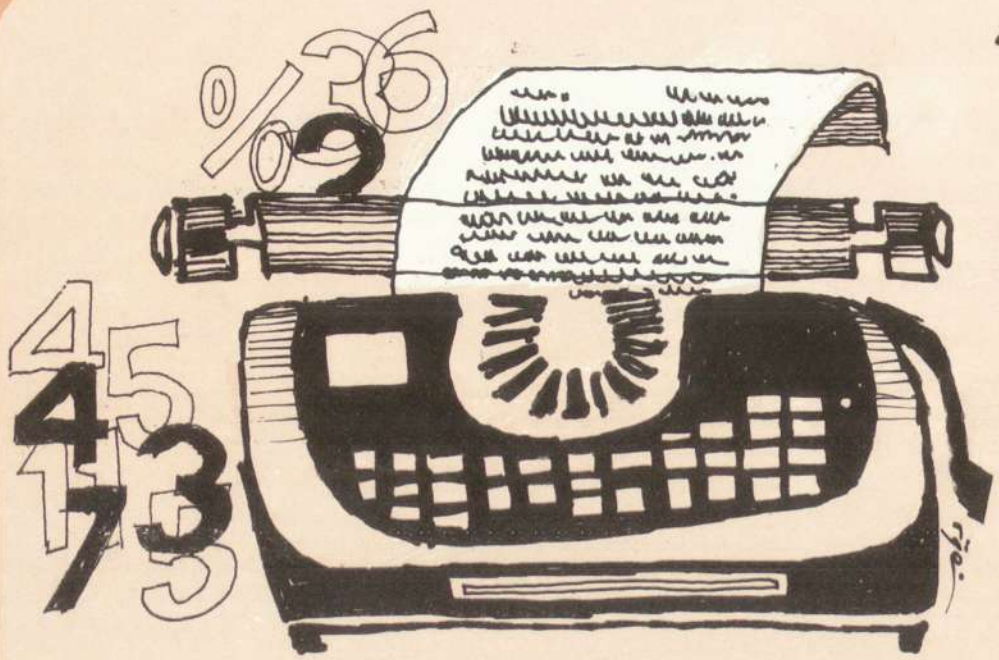
إن أهمية المؤسسات فى الدولة الحديثة والضرورة اللازمة لتحقيق فعاليتها فى اطار ظروف التغيير المستمر تقودنا منطقيا الى القول بان اهم القدرات والكفاءات التى نحتاج اليها فى مجتمعنا الحديث هى قدرات القيادات التنفيذية ذات الكفاءات العالية التى تستطيع أن تحقق لهذه المؤسسات فعاليتها وتمكن من تامين الأهداف المحددة لكل منها .

لقد بينا قبلا أن السمات الاساسية الواجبة فى القيادات التنفيذية لادارة المؤسسات فى الدولة الحديثة تختلف فى جوهرها عن طبيعة القيادات التقليدية . بينما يعنى مفهوم القيادة فى المعنى التقليدى المهارات الشخصية ـ الموروثة والمكتسبة ـ المبنية على الموهبة وحسن تدبير المقالب وانتهاز الفرص ، فان القيادة فى معناها العلمى المحدث تنبنى على حقيقة أن العملية الادارية علم له أصول وقواعد ومبادىء . لهذا يصبح القائد التنفيذى شخصا لابد أن تتوافر فيه مؤهلات يكتسبها بالعلم والدراسة ومهارات يصقلها بالتدريب والمتابعة المتانية للتجارب المتجددة . واتجاهات ينميها بالانفتاح على كل النظم والاساليب التى أثبتت جدواها فى تجارب مماثلة .

من هنا تنبع أهمية تنمية القيادات الادارية كعملية لها قواعدها واصولها واهدافها فى اثراء وتوجيه نمو القيادات سواء أكان ذلك عن طريق برامج المدى القصير التى تفتح آفاقا للقيادات الحالية لمواكبة التطور فى النظم والعلوم الادارية والسلوكية وتعينهم على التعرف والافادة من الوسائل والأساليب المتجددة ، أو عن طريق برامج المدى الطويل للتنمية الادارية التى تركز على إعداد وتأهيل بعض أفراد الادارة الوسطى للقيادة فى اطار الظروف المرتقبة والمتوقعة بحكم ما تستوجبه مراحل التغيير والنمو والتطور .

التنمية الادارية

إن التنمية الادارية فى مفهومها المتكامل لا تقتصر على مجرد التدريب النظامى ، فهى عملية مستمرة ومتصلة تتكون من جوانب ثلاثة :



أولها : انتقاء الأفراد الذين تتوفر فيهم بعض من الصفات والقدرات اللازمة للقيادة .

وثانيها : التدريب العملى الذى يثرى المعرفة ، يكسب مهارات وخبرات جديدة ويهدف لتطوير السلوك وتنمية الاتجاهات .

وثالثها : التثقيف الذاتى الذى يحقق التغذية المستمرة بالنظم والتجارب والنظريات والاساليب المحدثة فى العلوم الادارية وما يتصل بها من معارف

ترتبط هذه العناصر الثلاثة المكونة للتنمية الادارية ارتباطا عضويا بالقدر الذى يجعل إغفال عنصر من العناصر الثلاثة عاملا مقوضا للنتائج الكلية المرتقبة من التنمية الادارية .

القدرات العقلية

وينبغى أن يهدف جانب الانتقاء أو الاختيار للأفراد الى المقارنة والمفاضلة بينهم على ضوء المقومات النفسية والقدرات العقلية الواجبة فى القيادة التنفيذية، وهى عملية أساسية لابد أن تؤخذ بالدقة والحيطة اللازمة اذ أن أى خطأ يتم فيها لايمكن تلافيه مستقبلا مهما تنوعت مناهج التدريب وتعددت أساليب التثقيف . إن من أهم المقومات النفسية والقدرات العقلية ، التى اتفقت حولها الدراسات النفسية والاجتماعية ، والتى يمكن أن نفيد منها كمؤشر لتوفر بعض المكونات الاساسية للقيادة السمات التالية :

ـ الاتزان العاطفى ونضج المشاعر النفسية .

ـ القدرة على التاثير الايجابى فى الآخرين .

ـ المرونة فى تقبل آراء الآخرين والاستعداد للاقتناع بالرأى الموضوعى .

ـ القدرة على التصور الكلى دون ضياع فى الجزئيات .

ـ القدرة على تحليل الظواهر ، والتعرف على العوامل المكونة لها وتحديد البدائل لحلها .

ـ القدرة على اتخاذ القرارات .

ـ القدرة على الابتكار واخصاب مناخ الابداع .

الاختيار بالترقية

وعادة ما تمثل المستويات الوسيطة فى المنشأة المصدر الأساسى لتغذية المناصب الادارية العليا بحكم أن كل المؤسسات تميل الى اختيار القيادات العليا من الداخل من خلال الترقية .

إن من أبرز مزالق هذا الاتجاه التى ينبغى التحوط منها هو أن الترقية فى كثير من الأحيان تتم على أساس الأقدمية ، فاذا أخذنا هذا الاسلوب بحرفيته فاننا نجد أن كل من أكمل عددا معلوما من السنوات يصبح صاحب سبق فى الوصول الى المناصب القيادية العليا دون أن يثبت جدارة مبنية على بعض خصائص القيادة .

يضاف الى ذلك حقيقة أن مبدأ الترقية عادة ما ينبنى على أساس كفاءة

الخبرات الادارية

الشخص فى عمله الحالى وقد يكون عملا فنياً بحتاً لا يمكن من اختبار مقدرات الشخص الأساسية فى القيادة ، فتكون نتيجة الترقية فى بعض هذه الحالات أن يوضع الموظف فى موضع حرج حيث ينقل من وظيفة أثبت فيها كفاءة الى وظيفة لايملك من متطلباتها الأساسية شيئاً ، الأمر الذى يقود الى احباطه وينتهى به الى العجز والفشل .

تحسباً لمثل هذه المزالق ينبغى أن تكون القيادة الاساسية فى الترقية للمناصب الادارية العليا مبنية على الخصائص والمقومات الواجبة فى تلك المناصب ، وليس على الكفاءة فيما دونها من وظائف ، وهو أمر يستوجب بالضرورة نظرة فاحصة متانية ومفاضلة بين الأفراد على ضوء الخصائص النفسية والاجتماعية والفكرية وما يتصل بها من قدرات ومهارات واجبة فى القيادة العليا.

تنمية القيم والاتجاهات

وكثيراً ما يتخذ بعض الدارسين من مصطلح «التدريب» ، معنى مرادفاً لمصطلح «التنمية الادارية» ، وما حقيقة الأمر كذلك ، إلا أن هذا الفهم يثبت من جانب آخر الأهمية القصوى «للتدريب» كجهد نظامى مكثف يهدف الى تنمية وتطوير كفاءة ومقدرات القيادات العليا . ينبغى أن يكون الهدف دائماً من برامج التدريب للقيادات العليا هو تهيئة المناخ المناسب لهم للافادة من المبادىء والنظريات الحديثة فى علم الاداره ، وتمكينهم من ممارسة الاساليب والنظم المتجددة فى العمل على أساس تجريبى يعينهم على الانتقاء منها لما هو أمثل لمواقف العمل المختلفة .

إضافة الى عونهم فى استكشاف جوانب النقص والقصور فى اتجاهاتهم وميولهم الحالية بالقدر الذى يحفزهم لتنمية قيم واتجاهات ايجابية . تحقيقاً لهذه المكونات الأساسية فى برامج التدريب للقيادات العليا فان التخطيط لها يستوجب العنايـة الكاملة بالعناصر الثلاثة التالية :ـ

- تنمية المعرفة واثراء المعلومات بفتح آفاق تمكن المتدرب من التعرف على النظريات والمبادىء العلمية المحدثة فى علم الادارة والعلوم الاقتصادية والاجتماعية المكملة لها . اضافة الى المعلومات المتصلة بالعوامل البيئية (سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية) بالقدر الذى يعينه على الادراك المتكامل والتحليل الموضوعى للتغيير والتطور الذى يحدث فى المجتمع ويزيد من قدرته فى التفاعل معه تفاعلا ايجابياً هادفاً .
- تنمية المهارات الواجبة فى الوظائف القيادية وهى فى جملتها تتبلور فى القدرة على تحليل المشاكل واتخاذ القرارات المناسبة بشانها .اضافة الى اكتساب مهارات ادارية متخصصة فى أساليب التخطيط ، طرق التنظيم وتبسيط الاجراءات ، كيفية تحديد معدلات الاداء ، وغيرهامن الاساليب والوسائل المحدثة التى تزيد من قدرته فى ممارسة مهام القيادة .
- تنمية الاتجاهات الايجابية بمنح المتدرب فرصة التعرف على مزايا اتجاهات مغايرة للاتجاهات التى عرفها وتعود عليها . مثال ذلك أن يهدف التدريب الى تغيير اتجاه القيادى من تركيز السلطات فى شخصه الى الاقتناع والممارسة الفعلية لمبادىء التفويض الادارى واساليب مشاركة العاملين فى اتخاذ القرارات .



الثقافة العامة

إن مزايا التنمية الادارية لاتكتمل ولاتتحقق الفائدة الكاملة منها الا بتحقيق جهد مستمر ومنظم لتوسيع دائرة اهتمام القائد الادارى بأكثر مما تستوجب مقتضيات العمل الماثلة .

من هنا تنبع أهمية الركن الثالث فى عملية التنمية الادارية وهو جانب الثقافة العامة التى تحفز القيادة التنفيذية على متابعة ما يجرى حولها من أحداث داخلية وخارجية وتدفعها للتزود من المعارف الانسانية على اختلافها وتنمى رغبتها فى ملاحقة ما يجد من دراسات وبحوث وتجارب فى مجال العلوم الادارية وما يتصل بها من معارف

وبالرغم من أن جانب الثقافة العامة يعتمد على دوافع الفرد ورغبته الذاتية إلا أن المنشاة يمكن أن تسهم فى هذا الجانب اسهاماً فعالا بتوفيرها لأدوات الثقافة وتشجيعها لكل ضرب من مناشط الثقافة الهادفة ومنها على سبيل المثال انشاء المكتبات العلمية ، عقد المؤتمرات الدورية والندوات العلمية ، ايفاد القادة لزيارة مؤسسات مماثلة ، تكليف مجموعات عمل من القياديين لاجراء دراسات وبحوث تستوجب فى طبيعتها مشاركة تخصصات متعددة .

علم وفن

ويمكننا أن نخلص من دراستنا هذه الى القول بان القيادة الادارية علم وفن .

علم فى مناهجها المتكاملة المبنية على توظيف المبادىء والقواعد والنظم المحدثة فى علوم الادارة وروافدها لبناء الاطر التنظيمية المتجددة التى تنمى وتعمق التناسق الداخلى والتعاون الطوعى بين الفروع الفنية ، وتحقق التفاعل الايجابى والتوازن الديناميكى مع البيئة ، وتجعل من كل العمليات والمناشط جهداً هادفاً لتامين الاهداف .

والقيادة فن فى ممارستها واسلوبها الذى يبث الحياة فى الهياكل الجامدة بابتداع سبل التاثير وابتكار نظم المشاركة الايجابية التى تجعل الافراد والجماعات فى المنشاة كلا موحداً ، معتزاً بحاضره ، منتمياً اليه ، متطلعاً للزيادة فيه بكل ما توفر له من امكانات .

إن القيادة الادارية هى قطب الرحى فى الفعالية الادارية وبدونها تصبح كل اجتهاداتنا فى وضع الهياكل التنظيمية ، وتوفير الامكانات واستقطاب الوسائل التقنية جهداً مبدداً وكماً زائلا لا طائل منه .

ايماناً بهذا الدور الأساسى للقيادة فانه لمن الواجب الملزم ان تكون الاسبقية الأولى فى كل مشروعاتنا الانمائية موجهة لانتقاء الكوادر القادرة من القادة الاداريين ، وأن نوفر لهم من أساليب التنمية الادارية ما يصقل مهاراتهم ويعمق اتجاهاتهم الايجابية وينمى فيهم الرغبة المتصلة لمواكبة الجديد من المبادىء والتجارب فى العلوم الادارية وما يتصل بها من روافد .

حسن ابشر الطيب

- **هل تؤثر المنتجات المحتوية على الفلور فى طبقة الأوزان المحيطة بالأرض ؟**
- **الروابط بين العلماء على المستوى العالمى تخطت كل الحواجز**
- **مازالت الخبرة التكنولوجية غير موزعة توزيعا عادلا بين دول العالم**

العلم و التكنولوجيا بين الحاضر والمستقبل «٣»

نحو قدرات علمية عالية فى عالمنا العربى

د . محمد كامل

استعرضنا فى المقالين السابقين أهم التطورات العلمية والتكنولوجية المعاصرة والمتوقعة فى السنوات القليلة القادمة ونواصل فى هذا المقال الحديث عن ثلاث موضوعات هى :ـ

أولا : زيادة الروابط بين العلماء على المستوى العالمى .

ثانيا : أهم المشكلات التى يواجهها العلم والتكنولوجيا فى عالمنا المعاصر .

ثالثا : دعم القدرات العلمية والتكنولوجية فى بلدان العالم الثالث وخاصة فى بلدان العالم العربى .

وبالنسبة للموضوع الأول يمكننا أن نقول ان الروابط تزداد بسرعة كبيرة بين العلماء فى جميع أنحاء العالم متخطية جميع الحواجز الجغرافية والسياسية وغيرها ويظهر ذلك بوضوح فى انتشار المجلات والنشرات العلمية العالمية المتخصصة التى ينشر فيها العلماء من جميع أنحاء العالم أبحاثهم ، كما يظهر ذلك جلياً أيضاً فى آلاف المؤتمرات الدولية التى تعقد سنوياً فى مختلف أنحاء العالم ويحضرها المتخصصون من جميع الجنسيات ، ولعل أكبر دليل على تحرك المجتمع العلمى العالمى نحو الترابط هو انشاء الجمعيات والمجالس العلمية العالمية التى من أهمها المجلس العالمى للاتحادات العلمية وهو عبارة عن هيئة يتبعها ١٨ اتحاداً عالمياً وأكثر من ٦٠ أكاديمية ومجلس بحوث ، ويتبع هذه الأخيرة عديد من الجمعيات العلمية الوطنية . ومن أهم أهداف المجلس العالمى للاتحادات العلمية هو تشجيع النشاط العلمى العالمى لخدمة البشرية جمعاء . وتقوم اللجان التى تتبع الاتحاد بتبنى عديد من المشروعات العلمية العالمية مثل البرنامج العالمى للبيولوجيا والبرنامج العالمى للبيئة وهكذا .

ويزداد عدد الهيئات والبرامج العلمية العالمية يوماً بعد يوم .

المشاكل والتحديات

أما عن المشاكل التى يواجهها العلم والتكنولوجيا ، ففى الوقت الحاضر يواجه جميع البشر وبينهم العلماء مجموعة معقدة من المشاكل والتحديات يمكن تقسيمها الى قسمين رئيسيين :

أولا : المشاكل التى حدثت فى بيئة الانسان نتيجة التقدم .

ثانيا : تقسيم العالم الى دول صناعية متقدمة ودول نامية أو ما يسمى بالتناقض بين الشمال والجنوب .

وفيما يتصل بمجموعة المشاكل التى حدثت فى بيئة الانسان نتيجة للتقدم ربما كانت مشكلة سرعة استنزاف الموارد الطبيعية ومشاكل تلوث البيئة هى أخطر هذه المشاكل .

ولعل من أهم القضايا الحاحاً أمام العلم والتكنولوجيا فى الوقت الحاضر وفى المستقبل القريب وخاصة فى بلاد العالم النامى هى قضية توفير الغذاء

نحو قدرات علمية عالية

المناسب للاعداد المتزايدة من البشر مع عدم استنزاف الأرض الزراعية ومصادر المياه فى نفس الوقت . فمن المعروف أن مساحة اليابسة تبلغ ٣٠ر٤ بليون فدان ربعها فقط اراضى قابلة للزراعة وربع آخر اراضى قابلة للرعى والنصف الآخر لا يصلح لا لهذا الغرض او ذاك .

ومن الأرض القابلة للزراعة يستغل النصف حالياً اما النصف الآخر فهو لا يزال إما على شكل غابات او اراضى جرداء او صحارى تحتاج أساساً الى وجود مياه لريها .

اما بالنسبة لمشكلة المياه فكما هو معروف يخضع رصيد الماء لحصيلة الأمطار وتتناقص كميته مع زيادة الاستهلاك وسوف يواجه العالم فى المستقبل القريب نقصاً فى الغذاء والمياه ان لم يبادر المجتمع العالمى الى دراسة هذه الأمور وايجاد الحلول العلمية لها .

وقد ظهرت فعلا فى الوقت الحاضر بوادر النقص الشديد فى الغذاء الذى يكاد يصل الى حد المجاعة فى عدد من بلدان آسيا وافريقيا ، إذ ان هناك حوالى ٥٠٠ مليون شخص يعانون من نقص التغذية كما ان هناك ثلاثة ارباع المليون يموتون كل شهر نتيجة الأمراض الناشئة عن شرب المياه الملوثة فى بعض بلدان العالم الثالث .

كما أن من اخطر القضايا التى يواجهها العالم ايضاً هو النقص الشديد فى الطاقة المتمثلة فى احتياطات البترول والغازات الطبيعية والفحم ومساقط المياه واحتياطات الوقود النووى كما سبق أن ذكرنا ويتضاعف الطلب على البترول والغازات الطبيعية مرة كل عشر سنوات ، اى بمعدل يزيد ثلاث مرات عن معدل النمو السكانى العالمى وعلى المجتمع العلمى والتكنولوجى أن يجابه هذه المشكلة وان يجد الحلول المناسبة لها قبل نهاية هذا القرن .

الأرض فى خطر

إن النمو المطرد فى معدلات استخدامات المعادن والخامات الأخرى يمثل هو الآخر قضية أساسية مطروحة على العلماء والتكنولوجيين لايجاد بدائل للخامات التى ينضب معينها واستنباط مواد مصنعة جديدة .

إن تغيير معالم البيئة بل والاعتداء عليها احياناً هى ظاهرة صاحبت النمو العمرانى فتحويل الغابات والأراضى الزراعية الى مدن ومبان ومنشئات وشوارع هى اعتداء صارخ على البيئة يحدث كل يوم فى اجزاء كثيرة من العالم وللأسف يمر دون انتباه كبير .

إن تلوث البيئة بمخلفات المدن والصناعة من غازات وسوائل ومواد صلبة اصبح حقيقة واقعة فى عديد من بلدان العالم الصناعى وبعض بلدان العالم النامى .

إن الانسان ظل مدة طويلة يعتقد ان الأراضى الفضاء والأنهار والبحار والمحيطات هى سلة المهملات التى يلقى فيها بنفايات المدن والصناعة مستغلا فى ذلك نظرية التخفيف وقدرة البيئة على تمثيل ما هو قابل للتحلل والاستهلاك بواسطة الميكروبات والاحياء المائية وقد حان الوقت لكى يغير البشر مفاهيمهم كما حان الوقت لفرض الرقابة فى جميع انحاء العالم على مصادر التلوث سواء فى اليابسة أو فى البحار والمحيطات .



إن الزيادة التى تحدث فى نسبة ثانى اكسيد الكربون فى الجو نتيجة حرق الكميات الهائلة من الوقود فى جميع انحاء العالم فى الوقت الذى تقطع فيه الغابات التى تمثل المصادر الأساسية لتمثيل هذا الغاز وما سوف يترتب على ذلك من تغيرات فى جو الأرض مثل احتمال زيادة الحرارة بضع درجات مئوية وما قد يسببه ذلك من تغير كمية الأمطار اصبح خطراً حقيقياً وموضع اهتمام العلماء وهناك فى الوقت الحاضر برنامجاً علمياً عالمياً لرصد هذه الظاهرة

ومن المشاكل المقلقة ايضاً هو زيادة نسبة الغازات المسماة بالهيدروكربونات المحتوية على الفلور المستعملة فى جميع انواع المنتجات المستعملة بالرش إما للتجميل او للقضاء على الحشرات أو غير ذلك وتؤثر هذه الغازات تاثيراً ضاراً على طبقة الأوزون المحيطة بالأرض .

البحث عن حلول

وعلى الرغم من ضخامة المشاكل والتحديات السابقة التى تجابه البشرية جميعاً ، فان هناك تفاؤلا عالمياً بقدرة العلم والتكنولوجيا على حل هذه المشكلات . ويكفينا أن نذكر الجهود التى تبذل فى الوقت الحاضر فى البحوث الزراعية لزيادة الانتاجية وتقليل الخسائر فى المحصولات الزراعية وبحوث ترشيد استغلال الأراضى والمياه وحماية النبات والحيوان واستنباط اصناف جديدة ذات صفات ممتازة ، ولعل من البحوث العلمية الرائدة التى تجرى فى الوقت الحاضر لزيادة الغذاء هى البحوث التى سبق الإشارة اليها وتهدف الى زيادة تثبيت النتروجين الجوى بالطرق البيولوجية وزيادة قدرة النباتات على التمثيل الضوئى واستنباط وسائل جديدة للتحكم فى الصفات الوراثية للنباتات .

وفى مجال مجابهة مشاكل المياه ونقصها يقوم العلماء والتكنولوجيون فى الوقت الحاضر بتحسين الوسائل المعروفة لتحلية المياه المالحة بطرق أكثر بساطة واقتصادية كطريقة التقطير والازموز العكسى كما يقومون بتطوير تكنولوجيات الرى بالرش والتنقيط ومحاولة استخدام المياه المالحة فى الزراعة .

وللتغلب على مشاكل نقص المعادن سبق أن نوهنا الى الجهود التى تبذل حالياً بالبحث عن أنواع جديدة من المواد تحل وقت اللزوم محل المواد التى سوف تنضب مصادرها وهكذا .

أما فى مجال المحافظة على البيئة فالعمل قائم على قدم وساق وخاصة فى الدول المتقدمة فى اصدار التشريعات واجراء البحوث للمحافظة على التوازنات الطبيعية بين الانسان وبيئته وقد أنشات الهيئات العالمية والوطنية المختلفة للمحافظة على البيئة .

الفجوة الهائلة

على أن أخطر ما يجابه البشرية فى الوقت الحاضر هو الفجوة التكنولوجية الهائلة الموجودة بين الدول الصناعية الكبرى والدول النامية ، فالخبرة العلمية والتكنولوجية ليست موزعة توزيعاً عادلا بين دول العالم المختلفة ، فاكثر من ٩٥ بالمئة من ميزانيات البحوث والتطوير وأكثر من ٩٠ بالمئة من علماء العالم موجودون فى الدول الصناعية الكبرى وهى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان والمانيا الغربية وفرنسا والمملكة المتحدة . وليت الأمر اقتصر على هذا بل أن هناك اتجاهاً متزايداً لتركيز القدرة التكنولوجية فى عدد محدود من المؤسسات والشركات فى هذه البلاد نفسها ، ويكفى على سبيل المثال أن نذكر أن حوالى ٥٠ مؤسسة عملاقة وبعض مؤسسات البحث العلمى الحكومية التى تعمل فى مجالات الدفاع والفضاء والصحة تنفق وحدها حوالى ثلاثة ارباع ميزانية البحوث والتطوير فى الولايات المتحدة الامريكية التى بلغت فى عام ١٩٧٦ حوالى ٣٨٫٠٠٠ مليون دولار .

وقد أدى هذا الوضع غير المتكافىء الى أن عدة مئات من الأفراد فى الدول الصناعية الكبرى أصبحوا يملكون القرار فيما يتعلق بحصول هذا البلد أو ذاك على هذه التكنولوجيا أو غيرها وباى شروط .

إن معظم الجهود العلمية والتكنولوجية فى الدول الصناعية الكبرى موجهة فى الوقت الحاضر إما الى انتاج الأسلحة أو انتاج السلع الترفيهية غير الضرورية دون النظر الى المشاكل الحقيقية التى يجابهها العالم النامى .



فحوالى ٥٠ بالمئة من الجهد العلمى فى العالم موجه لانتاج الاسلحة التى يصدر معظمها الى بلاد العالم الثالث ، وحوالى ثلثى الباقى موجه لزيادة استهلاك سلع غير ضرورية .

وفى حين تنفق فى كل دقيقة حوالى ثلثى مليون دولار على الأسلحة هناك ٥٠٠ مليون شخص يعانون من نقص التغذية ، ٨٠٠ مليون أمى ، ١٥٠٠ مليون انسان محروم من الخدمات الصحية والطبية ، ٢٥٠ مليون طفل تحت سن ١٤ بلا مدارس فى بلدان العالم الثالث فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

تدعيم القدرات

إن بلدان العالم الثالث محتاجة الى التكنولوجيا لتنمية مجتمعاتها ، والتكنولوجيا موجودة عند الدول الصناعية الكبرى ، وقد أدى ذلك الى تحكم هذه الدول فى الطاقة الانتاجية لدول العالم الثالث والحصول على المواد الخام منها بالشروط التى تفرضها وقد أدى هذا الوضع الى سيطرة الدول الصناعية على أسواق البلاد النامية واغراقها بمنتجات استهلاكية غير ضرورية .

إن العلاقات بين الدول الصناعية الكبرى والبلاد النامية أو ما يسمى بمشكلة الشمال والجنوب أصبحت من أهم الموضوعات التى يدور حولها الحوار فى الأمم المتحدة وكافة المستويات الدولية فى الوقت الحاضر ، ومحور هذه المشكلة هو مشكلة انتقال التكنولوجيا والمعرفة التى أصبحت المصدر الوحيد للقوة بعد أن تمكنت بعض بلاد العالم الثالث وهى البلاد المنتجة للنفط من التحكم فى رؤوس الأموال ، التى كانت الى عهد قريب وسيلة الضغط التى تستخدمها الدول المتقدمة للسيطرة على أسواق العالم الثالث .

وقد انعقد فى فيينا فى أغسطس من العام الماضى مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا من أجل التنمية ، وكان من أهدافه الرئيسية مناقشة تدعيم القدرات العلمية والتكنولوجية لدول العالم الثالث .

وقد أجمع المجتمع العلمى والتكنولوجى الذى حضر المؤتمر أنه لا بديل عن أن تقوم الدول النامية نفسها بتطوير قدراتها العلمية والتكنولوجية الذاتية بأن تضع لنفسها سياسة وطنية للعلم والتكنولوجيا تحدد فيها الموضوعات حسب أهداف خطة التنمية لهذه الدولة . كما رأى الحاضرون فى المؤتمر أن تقوم حكومات الدول النامية بتنشيط التعاون العلمى والتكنولوجى على المستويين الاقليمى والعالمى .

وقد أوصى المؤتمر بمجموعة من الاجراءات اللازمة لتعزيز القدرات العلمية والتكنولوجية . مثل ضرورة أن يقوم كل بلد نام بانشاء هيئة وطنية أو أكثر تقرر السياسة العلمية وتنفذها على أن تتمتع هذه الهيئة بأعلى مستوى من الدعم الأدبى والمالى وأن تضم ممثلين لمختلف قطاعات المجتمع .

وفيما يتعلق بحرية انتقال التكنولوجيا رأى المؤتمر أن تقوم الدول المتقدمة بتشجيع مصدرى التكنولوجيا فيها على الامتناع عن الممارسات التجارية المقيدة والمستغلة وأن تساند منشآت وصناعة البلدان النامية للحصول على مزيد من المعلومات التكنولوجية والاطلاع على وثائق تسجيل الاختراعات .

وعلى المنظمات الدولية مساعدة ودعم هذه الأنشطة واتخاذ التدابير المؤدية الى زيادة قدرة البلدان النامية فى مجالات العلم والتكنولوجيا والى احتفاظها بالعقول القادرة والقوى العاملة الماهرة .

كما اتخذ المؤتمر مجموعة من التوصيات فيما يتعلق باعادة صياغة العلاقات العلمية والتكنولوجية الدولية وخاصة فيما يتعلق بحيازة التكنولوجيا ونقلها واعادة تنظيم الاعلام العلمى والتكنولوجى الدولى والاجراءات اللازمة لاعادة تنسيق العلاقات الدولية .

كما أوصى المجتمع العالمى بتعزيز دور منظمات الامم المتحدة فى ميدان العلم والتكنولوجيا وتوفير موارد مالية متزايدة .

نحو قدرات علمية عالية

ولعل أخطر ما اتفق عليه هو :-

١- انشاء اللجنة الحكومية للعلم والتكنولوجيا من أجل التنمية تكون تابعة للجمعية العامة للامم المتحدة وترفع تقاريرها اليها من خلال المجلس الاقتصادى والاجتماعى بالامم المتحدة ،

٢- انشاء جهاز دولى لتمويل انشطة العلم والتكنولوجيا تنفذاً لبرنامج العمل الحالى وقد تم الاتفاق على أن جملة الاسهامات التى تقدمها الدول المتقدمة خلال المرحلة ١٩٨٠ - ١٩٨١ لن تقل عن ٢٥٠ مليون دولار كل عام .

مازلنا فى المهد

وفيما يتعلق بعالمنا العربى تمثل مشكلة نقل التكنولوجيا أحد أهم المشاكل التى تعوق انطلاق التنمية وتعتبر المنطقة العربية من أكبر المناطق فى العالم استيراداً للتكنولوجيا والسلع والخدمات ، ويبلغ اجمالى استيراد المنطقة للسلع (أسلحة - مواد غذائية - مواد خام - وسائل نقل - سلع هندسية - وماكينات وغيرها) حوالى ٦٠٫٠٠٠ - ٨٠٫٠٠٠ مليون دولار سنوياً وتتوسع السوق العربية عاماً بعد عام .

فالدول العربية التى تمتد على مساحة شاسعة من المحيط الى الخليج يسكنها حوالى ١٥٠ مليوناً من البشر يتزايدون بمعدلات تبلغ حوالى ٣ بالمئة وتعتبر الزراعة الحرفة الأولى بها أذ يعمل فيها نحو ٥٠ بالمئة من القوى العاملة العربية رغم أنها لاتسد سوى ٥٠ بالمئة من الاستهلاك من الغذاء .

والصناعة فى دول العالم العربى لازالت فى مهدها ومعظم السلع الهندسية والصناعية تستورد رغم وجود عدد من الصناعات كالصناعات النسيجية ، وصناعة الأسمدة والحديد والصلب والبتروكيماويات وغيرها فى عدد من البلاد العربية والطريقة السائدة لنقل التكنولوجيا فى العالم العربى هى طريقة «ادارة المفتاح باليد» .

وفى رأينا أنه قد آن الآوان لان تولى حكومات الدول العربية المختلفة الموضوعات المتصلة بالعلم والتكنولوجيا عناية خاصة حتى تستطيع أن تلحق بالركب العالمى فى هذا المضمار

د. محمد كامل

متى ظهرت فنون وعلوم ومناهج الأدب العربى ؟

لايجوز محاكمة الأدب العربى بقوانين المذاهب الغربية

هناك خلاف عميق بين الأدبين : العربى والغربى

الأدب العربى ومقاييس المذاهب الغربية

أنور الجندى

لاريب أن الأدب هو واحد من عناصر الفكر ، يستمد منه وجوده ويتحرك فى دائرته ويختص بالتعبير عن النفس الانسانية فى تركيبها القائم على عقيدة الأمة التى يمثلها وثقافتها .

وأدب أى أمة هو نتاج عواطفها ومشاعرها وعقولها ، وهو عصارة مزاجها النفسى وطابع روحها ، وهو فى نفس الوقت مرتبط بهذه الأمة : أرضها وسماءها وقيمها وتقاليدها وأحداثها ومجتمعها . فهو عصارة وجهة نظرها الى الحياة مستمدة من داخلها ومن هنا كان الاختلاف بين أدب أمة وأدب أمة أخرى ولاريب أن الأدب هو نتاج الفكر الاسلامى وعنصر من عناصره التى لاتنفك عنه ،

تمثل المزاج النفسى للعرب الذى شكل الاسلام ثقافتهم وعواطفهم ومشاعرهم وعقولهم وكون طابعهم الروحى والنفسى

والأدب العربى : أدب أمة عريقة وأدب لغة عريقة تشكل فى صورة كاملة بعد ظهور الاسلام الذى جمع العرب فى الجزيرة العربية فكان عاملا فى تحويل القبائل العربية الى أمة تامة ، وبذلك يمكن القول بأن الأدب العربى قد تشكل فى صورته الحقيقية بالاسلام، ولايمنع هذا من وجود (ديوان الشعر القديم) وما يتصل به من أسجاع الكهان وهى فى مجموعها لاتشكل صورة الأدب بمفهومه الفنى ولابمعالمه الأصيلة ، التى وضحت بعد نزول القران : الذى كان هوالعامل فى بناء الأدب العربى الاسلامى وظهور فنونه وعلومه ومناهجه

اساليب النقد

واللغة العربية سابقة على الاسلام ، وهى عماد وجود الأمة العربية ، وهى لغة تطورت ونمت خلال مئات السنين حتى وصلت الى صورتها التى عرفت بها قبيل الاسلام وإن ظلت لها لهجاتها المتعددة فلما نزل القرآن الكريم انصهرت اللغة العربية فى لهجة واحدة ثم كان أن أعطاها القرآن ـ كما أعطى الأدب العربى ـ هذا البيان المعجز الفائق الذى فهمه العرب واعجبوا به وعجزوا فى نفس الوقت عن الاتيان بمثله .

وفى مجال أدب اللغة العربية نجد الأمة العربية كانت مجموعة من القبائل التى لم تجتمع تحت أى لواء سوى الاسلام ولكنها كانت ذات قيم وتقاليد ولها طابعها الذى أورثه اياها مكانها فى هذه الجزيرة شبه المنعزلة عن حضارتى عالمها:حضارتى الفرس والرومان : هذا الطابع البدوى الخالص الذى أهلها لتلقى رسالة انسانية كبرى كالاسلام فقد عماها وجودها المنعزل عن أن تذوب فى مقارف الحضارات وانحلالهاومكن لها من تنمية قيمها .

كل هذه العوامل أعطت أدب اللغة العربية ذاتية خاصة وطبعتة على نحو خاص يختلف به عن آداب الأمم الأخرى فظهرت فنون لم توجد فى الآداب الأخرى واختفت فنون وجدت فى الآداب الأخرى ، وظهور هذه الفنون فيه واختفاء تلك الأخرى منه لاينقص من قدره ما دام


ارسطو

يصدر من أعماق روحه الطبيعية ومقوماته الخاصة .

ومن هنا فان هذا الأدب لا يدرس على ضوء مناهج وضعت لآداب أخرى ، ذلك أن اساليب النقد والبحث إنما توضع للآداب بعد ظهور هذه الآداب ، ولذلك فهى مستمدة منها ولا يمكن العكس .

ومن هنا فان مذاهب الأدب التى يحاول النقاد محاكمة الأدب العربى عليها هى فى جملتها مذاهب غربية وضعت مسمياتها ومناهجها بعد قيام ظواهرها فى الآداب الأوربية وهى فى الحقيقة ليست مذاهب وانما هى أسماء عصور : كالكلاسيكية والرومانتيكية وغيرها ، وهى تتصل فى مجموعها بتاريخ الأمم التى وضعت هذه المذاهب فلماذا تنقل لتكون قوانين يخضع لها أدبنا الذى يختلف من حيث تكوينه وطابعه وتاريخه وبيئته ومظاهر حياته عن هذه الآداب ؟!

اختلاف المفاهيم

هذا من ناحية النقد ، أما من ناحية أصول الأدب نفسه : أصول الشعر والنثر والقصص والتراجم ، فلماذا يخضع الأدب العربى لقواعد مستمدة من آداب تختلف عن الأدب العربى : مزاجاً وشكلا وطابعا .

وهل يمكن أن يقال أن هناك أصولا يضعها الأوربيون لتخضع لها الآداب فى العالم كله ؟ وإذا قالوا هم ذلك فهل نقبل نحن ذلك ، والأدب العربى عريق الجذور وسابق لهذه الآداب كلها فى النشأة والتكوين ؟ هل نقبل أن يخضع أدبنا لقواعد غريبة عنه ، بينما يشكل أدبنا بوجوده أربع عشر قرنا قواعد وقيماً مستمدة من جوهره وطوابعه ؟

إن اختلاف المصادر والمنابع بين الأدب العربى والآداب الغربية تجعل من العسير خضوع الأدبين لمقاييس واحدة أو لقوانين واحدة ، والمعروف أن الآداب الغربية جميعاً تستمد مصادرها من الأدب الهيلينى والفلسفة اليونانية والحضارة الرومانية ، فقد اتجه الأدب الاوربى الحديث منذ أول ظهوره فى عصر النهضة الى هذه المنابع وربط نفسه بها وجعلها أساساً ثابتا لمختلف وجهات نظره ومفاهيمه وقيمه .. واتخذ من النظرات التى قدمها ارسطو فى الأدب والنقد والشعر وغيره اساساً له ، ولا ريب أن هذه الحصيلة التاريخية الضخمة وهذا التراث الأغريقى الرومانى يقوم على اساس يختلف اختلافا واضحا عن الاساس الذى يقوم عليه الأدب العربى الذى استمد مصدره أساساً من القرآن الكريم والاسلام والقيم العربية الإصيلة التى تلاقت مع مفاهيم الاسلام وانصهرت معها ، ومن هنا كان ذلك الخلاف الواضح والتباين الكبير بين المشاعر والعواطف والاحاسيس فى كلا الأدبين .

ولا شك أن هذا الاختلاف البعيد المدى فى طبيعة البيئة وفى طبيعة النفس الانسانية وانعكاس هذه البيئة عليها يجعل من المستحيل التقاء أدبي العرب والغرب فى وجهة واحدة ، أو مشاعر واحدة ومن ثم فانه من المستحيل أن يخضع كلا الأدبين الى قوانين واحدة ومناهج فى الصياغة والنقد والبيان والمضمون واحدة .

العلماء الخمسة

هذا هو أهم أوجه الخلاف بين الادبين العربى والغربى وهو خلاف عميق أشد العمق ، متصل بالنفس الانسانية باعثة الأدب ومنشئته ، ومن ثم فان خضوع الأدب العربى لقوانين وقواعد ونظم قامت اساساً فى ضوء حصيلة الأدب الاوربى وفنونه أمر بالغ الخطر وبعيد الاثر .

الأدب العربى

هذا هو « التحدى الأول » الذى يواجه الأدب العربى فى مطالع القرن الخامس عشر من حيث نرى تلك المحاولة الخطيرة لاخضاع الأدب العربى الى مذاهب سانت بيض وتين وبرودنير مع أن هذه المذاهب قد صيغت لتقويم الأدب الغربى واستمدت مفاهيمها من الفلسفة المادية ونظريات فرويد للتحليل النفسى ونظريات دوركايم فى علم الاجتماع .

وقد أشار ستانلى هايمن فى كتابه (النقد الأدبى ومدارسه الحديثة) الى أن النقد الأدبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم : دارون وماركس وفريزر وفرويد ورلوي . أما دارون فقد جاءت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعى (أى أن دارون قد نظر الى الانسان على أنه حيوان وطبق عليه علمياً كل ما يطبق على الحيوان والحشرات) .

أما ماركس فهو الذى ذهب الى أن الأدب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحياناً العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر أو ذاك . أما (فرويد) فهو الذى يرى أن الأدب تعبير مقنع ، وأنه تحقيق لرغبات مكبوته قياساً على الاحلام ، وأن هذه المعتقدات لتعمل حسب مبادىء معروفة وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعى وأن بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعاً مستمراً .

أما (فريزر) فهو صاحب الأفكار عن السحر البدائى والأسطورة البدائية وأن هذه كلها تكمن فى أساس أعلى النماذج والموارد الأدبية .

أما (ديوى) فهو يرى أن قراءة الأدب وكتابته ليست الا صورا انفعالية انسانية يمكن أن تقاس بأى فعالية أخرى وانها خاضعة للقوانين نفسها .

هذه المفاهيم التى قامت عليها نظرية نقد الأدب تكشف فى وضوح عن الاساس المادى المغرق فى المادة الذى تعتمد عليه والذى يتعارض تعارضاً كاملا مع مختلف قيم الأدب العربى ومفاهيمه وأسسه حتى حين يتصل هذا الأدب بأخطر إنحرافاته فى مجال الغزل والكشف . وأخطر ما تحمله هذه المناهج هى إزدراء (أخلاقية) الأدب واحتقارها والتخلى عنها .

مراحل وليست مذاهب

والمنهج الاجتماعى الذى كان أبرز المناهج فى مجال النقد الادبى انما يقوم على مفاهيم الفيلسوف دوركايم اليهودى الاصل والمادى النزعة . وقد استمدت نظريات تين وسانت بيف وبرودنير التى أغرقت نقد الأدب العربى مفاهيمها من الفلسفة المادية الداروينية التى ترى (أن الانسان بمواهبه ومعنوياته . إن هو إلا أثر من آثار البيئة بمعناها الاجتماعى الواسع ولايكاد يفترق عن الحيوان والنبات فى انتقاء الحول وانعدام الاراده) .

فضلا عما اثبته (تين) : من أن الفضيلة والرذيلة ليستا الى حد كبير الانتاجا لعملية تلقائية مثل الاحماض والقلويات وانهما منتوجات مثل الزواج والسكر . هذا بالاضافة الى أثر نظرية النشوء والتطور الواضح الأثر فى هذه المذاهب الأدبية والتى تنكر انسانية الانسان وارادته وقيمه الوجدانية والروحية وتشبيهه بالحيوان الذى لا حول له ولا قوة والتى تنظر إليه على أنه شيء تافه جدا فى الكون وانه تحت رحمة القوى المحيطة به ومن ثم فان الانسانية - عندها - ليست إلا نتاجاً عارضا للوراثة والبيئة .



فرويد

ويرى أكثر الباحثين أن (تين) قد إشتط فى اتجاهه المادى فى مفهوم النقد الادبى الى أن اصبح من موارد الحتمية التاريخية أو الجبر التاريخى وهذا هو المذهب الذى قدمه فى الجامعة المصرية القديمة نلينو وكارنوفا ، ولاريب أن هذه المذاهب فى النقد الأدبى تبدو معارضة لمفاهيم الأدب العربى وقيمه معارضة كاملة ولا تصلح لأن تكون منهجا يطبق على الأدب العربى القديم أو الحديث ، ومن ثم فان كثيرا من الأحكام التى صدرت على هذا الأدب لم تكن صحيحة لأنها اعتمدت فى الاصل على مذهب لا يصلح تطبيقه على الأدب العربى .

وكشف كثير من الأدباء عن الخطأ البالغ فى التماس مفهوم (الكلاسيكية) أو (الرومانتيكية) أو (الواقعية) كمذاهب يحاكم على اساسها الأدب العربى ، ذلك أن هذه الاسماء ليست فى الحقيقة مذاهب بقدر ما هى مراحل تاريخية ظهرت فى عصور متوالية وفقدت مكانها واحدة بعد الأخرى ، وافسحت لمراحل أخرى جاءت بعدها نتيجة للتطور السياسى والاجتماعى فى بلادها ، فلماذا تظل تحتل مكان الصدارة فى الحكم على أدبنا العربى بينما يمكن للأدب العربى أن يشكل مراحل أدبية ترتبط بتاريخه وتطوره السياسى والاجتماعى .

الأدب ودائرة الفكر

ومن القضايا الأساسية التى هى بمثابة التحدى مسألة حرية الأدب واستقلاليته أو تقرير مكانه من دائرة الفكر .

ولقد كان من أخطر المفاهيم الوافدة : الدعوة الى فصل الأدب عن دائرة الفكر ، واعطائه الحرية المطلقة فى التعبير دون الالتفات الى مسؤولية الأدب فى المجتمع والأسرة وعلاقته بالدين والقومية ، فاستطال الأدب واندفع يشق طريقه الى مختلف قطاعات الفكر دون دليل واضح أو دراسة عميقة ، فقد تطرق الأدباء - وهم غير متخصصين - الى مجالات التاريخ والفلسفة والعقائد والاخلاق ليصدروا فيها أحكاماً جريئة مستمدة من نظرتهم الأدبية الوجدانية

المتأثرة بمذاهب الغرب فى الحرية والكشف والانطلاق .

وقد واجه هذا الاتجاه معارضة ورداً فى سبيل تحديد دائرة الأدب ودفع خطر التدخل بين دوائر النشاط العقلى المختلفة وكف عدوان بعضها عن بعض وأشار كثير من الباحثين ومنهم فريد جرجي الى هذه المحاذير التى جاءت نتيجة تدخل الادباء فيما ليس من اختصاصهم من المباحث الدينية .

الأدب المكشوف

لاريب أن ابرز ما يواجه الأدب العربى من تحديات هو مذهب «الفن للفن» .

هذا المذهب الوافد الذى حمل لواءه المستشرقون ودعاة التغريب والشعوبية ، وهو يهدف الى تحرير الأدب من طابع الأخلاق ودفعه الى تصوير الغرائز والأهواء فى غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب ، ولقد بدا هذا الاتجاه بظواهر ثلاث :

(١) الافاضة فى الحديث عن حياة بشار وابى نواس والضحال وغيرهم من شعراء الاباحة فى العصر العباسى ونشر الجوانب الشاذة من أحاديثهم واسماءهم.

(٢) ترجمة القصة الفرنسية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع الحسى فى العلاقات الشاذة بين الرجل والمرأة وترجمة أشعار بودلير وغيره من شعراء الأدب المكشوف .

(٣) الاذاعة بمذهب حرية الأدب والدعوة اليه والدفاع عنه وفق منهج علمى زائف بدعوة أنه منطلق انسانى أصيل .

وقد لقبت نظرية حرية الأدب ومعارضة الاخلاق نقدا ودحضا شديدين مصدره تعارضها مع طابع الأدب العربى أصلا . وكشف الباحثون المنصفون عن أن حرية أبى نواس وبشار وغيرهم لم يكن مصدرها الأدب العربى أو مفاهيم الاسلام الاجتماعية وانما كان مصدرها تطلعاتهم الحسية واهدافهم الشعوبية التى ارادوا اذاعتها والجهر بها لهدم مقومات الأدب العربى الأصيلة واعلاء مفاهيم المجوسية والاباحية التى كان الأدب العربى قد تحرر منها بعد الاسلام .

وقد استغل بعض الكتاب فى العصر الحديث هذه الأطروحات فى سبيل

مذهب الفن للفن يهدف إلى تحرير الأدب من طابع الأخلاق تحت شعار: حرية الأدب!

توهين القيم الاسلامية والقضاء على الأخلاق والتقاليد والاعراف الاسلامية حين يرون أنها تعوق الفن وتحول دون ترقى الأدب . وقد دحض هذا المفهوم كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد احمد الغمراوى حين قال : إن الفطرة كلها منشئها واحد ، هو الله سبحانه وتعالى ، والعلم والدين كلاهما قد اجمعا على استحالة التناقض فى الفطرة فاذا كانت هذه الفنون من روح الفطرة كما يزعم أهلها وجب الا تخالف أو تناقض دين الفطرة : دين الاسلام فى شيء . فاذا خالفته فى اصوله ودعت صراحة وضمنا الى رذيلة من أمهات الرذائل التى جاء الدين لا يجابها على الانسان حتى يبلغ ماقدر له من الرقى فى النفس والروح ، إذا خالفت الفنون الدين فى شيء من هذا أو فى شيء غير هذا ، فهى بالصورة التى تخالف بها الدين فنون باطلة ، فنون جانبت الحق ، ودابرت الخير وأخطأت الفطرة التى فطر الله عليها والتى تريد الفنون أن تكون منها فى الصميم ، فاذا كان من شأن بعض من يعمل أو يكتب باسم الفن والأدب أن يتجاوز فى تأثيره مما سبق فيحول بين الانسان وبين ربه ويدخل عليه الشك فى دينه بأى صورة من الصور ولأى حد من الحدود ، كان ذلك البعض المعمول أو المكتوب باسم الفن. أو باسم الأدب زوراً وإفكا فى الفن والأدب والفطرة والدين على السواء . فالمسالة فى الأدب ليست مسالة لفظ ومعنى فقط ، ولكنها فى صميمها مسالة روح : فريق يريد أن يجعل روح الأدب روحا شهوانيا بحتا يتمتع صاحبه بما حرم الله وما أحل ، لا يفرق بين معروف ومنكر ، ثم يصف ما لقي من ذلك من لذة أو ألم أو غيرهما من ألوان الشعور ، ويخرج ذلك للناس على أنه هو الأدب . وفريق يريد أن يحيا الحياة الفاضلة فى حدودها الواسعة التى حدها الله وبمظاهرها المختلفة فى الفطرة كما طهرها الله لا كما دنسها ويريد أن يدنسها الانسان ، والمقياس الذى انتهينا إليه فى الفن والأدب ليس من البعيد عن الفن والأدب بل هو من روح الفن والادب فى الصميم ، اليس روح الفن والأدب «الجمال» اليس الجمال الفنى : روح الجمال الانسانى .

المصادر الزائفة

ولا يزال من أشد التحديات التى تواجه الأدب العربى خطرا مسالة المصادر والرأى فى كتب المحاضرات والنوادر وما سجله الرواة والقصاصين من أخبار وهل تصلح كمصادر علمية يمكن الحكم عن طريقها على الامم والمجتمعات حكماً صادقاً لا شبهة فيه .

ومن اليقين الذى لا شك فيه أن كتب المحاضرات وروايات القصاصين ليست مصادر علمية صحيحة وإنما هى مراجع زائفة اعتمد عليها خصوم الأدب العربى والفكر الاسلامى من أجل ترويج آراء كاذبة مضللة . ذلك أن هذه المؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب حسب أصول العلم والبحث وإنما كتبت للتسلية والترويح وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والاحاجى والقصص الصادق والكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والاباطيل .

من هذه ما كتب اسحق بن ابراهيم الموصلى وابن خرداذبة والمروزى وابن المرزبان وكذلك ما كتبه ابو بكر الصولى الذى مات مستترا بالبصرة لأنه روى خبرا زائفاً عن علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لقتله وله من الكتاب كتاب الأوراق فى أخبار الخلفاء والشعراء . ومن هذه الكتب ثمار القلوب للثعالبى فالثعالبى مهما علت منزلته فى الأدب فليست له منزلة ما فى فن الحديث ونقد رجال الرواية وهو أديب يحبب

الأدب العربى

الفكاهة ويروى النكتة . ومن هؤلاء الاصفهانى صاحب الأغانى الذى قال عنه النوبتجى انه اكذب الناس لأنه يدخل سوق الوراقين فيشترى منها كثيرا من الصحف ثم يحملها الى بيته ثم تكون رواياته كلها منها .

وقد ظلت هذه المؤلفات مجهولة ضائعة حتى جاء المستشرقون والمبشرون فى العصور الأخيرة فكشفوا عنها واعادوا طبعها واذاعوها فى العالم الاسلامى كله واخرجوا أغلبها فى طبعات فاخرة وأوغروا الى تابعيهم من دعاة التغريب الاشادة بها والنقل عنها واعتمادها مصدراً من مصادر التاليف .

وكان كتاب الأغانى من أخطر هذه الكتب التى حاول بعض الباحثين أن يجعلها من المصادر الأساسية للبحث الأدبى بالرغم من أن العلماء الصادقين يرون بأن هذه الكتب تقصد الى الفكاهة والتسلية فكيف تكون ميزاناً يوزن به رجال التاريخ وتؤخذ منه تراجم العظماء

واعتمادا على كتاب الأغانى اصدر الدكتور طه حسين رأيه الذى قال أن القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون اعتماداً على شعر ابى نواس وبشار والضحاك وحماد عجرد بالرغم من أن هذا العصر كان حافلا بعشرات العلماء والباحثين والفقهاء ولا يمكن أن يحكم على عصر عن طريق قلة من هؤلاء المجان الذين كانوا معزولين عن مجتمعهم مكروهون فى مجتمع حافل باليقين والورع والزهد والاحتشام ،

وكيف يمكن أن يكون هؤلاء هم نموذج العصر حيثما يعيش فى هذا المجتمع «حسن البصرى ومحمد بن ادريس الشافعى ومالك بن انس وابو حنيفة النعمان ومالك بن دينار وعبد الله بن المبارك وربيعة الراى ورابعة العدوية وابن شيرين وعمرو بن عبيد والشعبى .. والاعتماد على كتاب الأغانى فى استخلاص هذا الرأى باطل : ذلك أن صاحب الأغانى يحدثنا فى مقدمته بأنه قصد من كتابه الى اللهو والتسلية قبل أن يقصد العلم والتاريخ ، أما شعر الماجنين وحياتهم فلا ينهضان دليلا على فساد عقيدة عصر واخلاقه .

● ● ●

هذا جانب من التحدى الذى يواجه الأدب العربى فى دراساته ونقده ومناهجه .

أما الأدب العربى الحديث فان هناك تحديات أخرى تحتاج الى بحث خاص فالى اللقاء .

انور الجندى

النص استوعب ثروة لغوية هائلة

مجموعة من الحيوانات تتحاور أبرزها فرس وبغل معصوب العينين ؟!

يوسف الشاروني

بعد رسالة الغفران
رسالة الصاهل والشاحج للمعرى أيضا

ترك لنا أبو العلاء المعرى ثروة أدبية عظيمة وصلنا بعضها ولم يصل الينا بعضها الآخر . وهى ثروة متنوعة تبرهن على عبقرية هذا الأديب المفكر العربى وتتراوح بين الشعر الغنائى والشعر الملحمى تتخلله فقرات نثرية والرسائل التى يغلب فيها الأسلوب التصويرى على الاسلوب الوصفى التقريرى .

ومن حسن حظ أدبنا العربى المعاصر أن توفرت أديبة كبيرة مثل الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) على آثار أبى العلاء لتحققها وتنشرها وترفقها بدراسات عنها . ومن آخر ما أصدرته محققا من آثار أبى العلاء رسالته المعروفة باسم (الصاهل والشاحج) وهى موجهة من أديبنا الكبير الى (عزيز الدولة فاتك) والى حلب من قبل المصريين من سنة ٤٠٧ هـ حتى مقتله بقلعتها سنة ٤١٣ هـ وذلك فى أيام الحاكم بأمر الله ، وبعض أيام خلفه الظاهر .

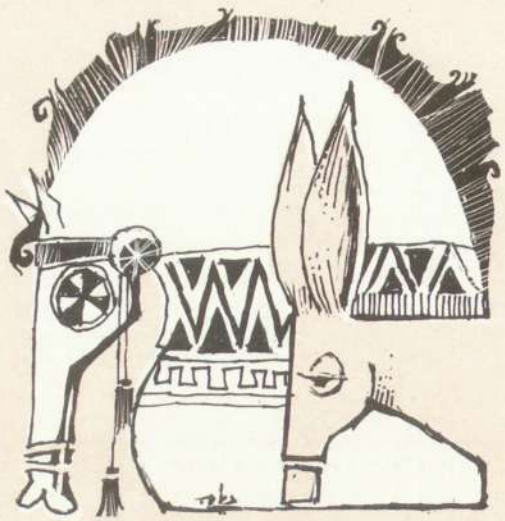
وقد أملى أبو العلاء المعرى هذه الرسالة تحت ضغط الحاح من بنى أخيه لكى يرفع

مظلمتهم الى الوالى بشأن ارض قاحلة لهم (لو أن البغل الذى يكدح فيها أنطقه الله تعالى بقدرته لجأر مما يكابد فيها من عناء ونصب). غير ان الجباةرفعوا الى العزيز أن عليها مالا ينبغى إيداعه بيت المال . وقد أعلن أبو العلاء فى مقدمة رسالته أنه تحرج من مكاتبة السيد (عزيز الدولة وتاج المله) فى هذا الموضوع الهين ، وسأل بنى اخيه أن يعفوه من تجشم عناء هذا الحرج . ولكنهم مازالوا به حتى استجاب لهم ، وفاء بما يجب لهم عليه من حق القربى والرحم ، واستحياء من تفانيهم فى خدمته ورعايته .

لهذا ، ولأن أبا العلاء لايريد لرسالته أن تكون رسالة مما يكتب مثله الافراد العاديون ، فانه يتحين هذه الفرصة ـكما فعل فى معظم رسائله لا سيما رسالة الغفران التى كتبها بعد هذه الرسالة بخمسة عشر عاما ـ ليجعل منها عملا فنيا يقوم على أساس حوار بين مجموعة من الحيوانات أبرزها بغل الشاحج معصوب العينين وفرس (الصاهل) يترجل عنه فارسه ليرد الماء ويأخذ بعض الراحة قبل مواصلة السفر . ويتدخل فى الحوار الحيوانى الحمامة (الفاخته) والجمل (أبو ايوب) والثعلب (ثعالة) والضبع (أم عامر) . ومن حوار هذه الحيوانات نفهم أن سكان حلب ليسوا فى حالة عادية . فقد وقع خلاف بين الحاكم بأمر الله السلطان الفاطمى بالقاهرة وعزيز الدولة واليه فى حلب الذى ضرب الدينار والدرهم باسمهودعا لنفسه على المنبر . فأعد له الحاكم الجيوش لطرده من حلب عام ٤١١ هـ . فما كان من عزيز الدولة الا أن اتفق مع باسيل ملك الروم ليسلم اليه حلب . فلبى باسيل الدعوة حتى اذا وصل الى موضع يعرف بمرج الديباج ، كان قد بلغ عزيز الدولة مقتل الحاكم ، فأرسل الى باسيل يخبره أنه نقض ما بينهما من شروط ، فعدل باسيل عما هم به .

وكان الناس قد أجفلوا من خروج ملك الروم الى حلب . فكانت هذه الجفلة تسمى (جفلة عزيز الدولة) لأنها بسببه . ومما يدور بين الحيوانات من حوار نفهم ما كان يدور بين الناس من مخاوف ومن أنباء متضاربه .

أما بقية القصة كما يرويها المؤرخون فان عزيز الدولة اطمأن بموت الحاكم وضاعف من طمأنينته ما أظهره له خلفه الظاهر من رضى . غير أنه سرعان ما تبين أن كل ذلك كان مجرد خدعة حتى لا يسلم عزيز الدولة حلب الى الروم . فقد حرضت ست الملك أخت الحاكم عمة الظاهر غلاما هنديا يدعى



(ثيزون) دخل على عزيز الدولة وهو نائم فى أول الليل بقلعة حلب ، وفى يده سيف مجرد مستور فى كمه ، ضرب به عزيز الدولة فقتله عام ٤١٣هـ .

تلك هى الخلفية التاريخية لرسالة الصاهل والشاحج . أما الرسالة نفسها فان الدكتوره عائشة عبد الرحمن تعلن فى مقدمتها أنها قصة مترابطة الفصول والمشاهد . وهى لا تؤدى بطريق الحكاية والسمر لسوق العبرة ومضرب المثل ، بل صيغ الحوار فيها على طريق التشخيص والاخراج التمثيلى الزاخر بالحركة والحيوية وكأننا نشهد تمثيلية يؤديها شخوص من البهائم .

والواقع ان الدكتوره عائشة عبد الرحمن تعيد النظر مشكورة فى تراثنا على ضوء مفاهيمنا المعاصرة ، فتحاول أن تبرز العناصر المسرحية فى هذا التراث من حوار وتشخيص وان لم يكن مسرحا بالمعنى المعاصر . والواقع ان العنصر القصصى والمسرحى موجود فى كثير من رسائل أبى العلاء المعرى ، لكنه يتسرب فى باطن الرسائل كأنما فى خفية ، وقد يطفو لحظات من حين لآخر ، لكنه يعود ويختفى تحت ركام الشعر والمسجلات والالغاز اللغوية .

الخيط القصصى فى الرسالة

فرسالة الصاهل والشاحج تبدأ بتحية أبى العلاء الى السيد عزيز الدولة وتاج المله أمير الأمراء أعز الله نصره . ثم يعتذر عن مكاتبته فى شكوى بنى أخيه . وينسحب أبو العلاء بعد هذا المشهد ، ويسمع الشاحج المعصوب العينين (البغل) صهيل فرس يترجل عنه فارسه ليرد الماء قبل متابعة السفر ويبدأ الحوار بقدرة الله تعالى بين الصاهل والشاحج الذى لا يكاد يسمع أن الصاهل فى طريقه من مصر الى حلب حتى يلتمس من خاله أن يرفع له شكوى منظومة الى الحضرة العاليه بحلب . ويستنكر الصاهل خؤولته للشاحج قائلا له : أغرك أن جاهلا من القوم كان يدعو أمك فرسا ؟ ثم يذكر إذلال بنى آدم للبغال والبهائم كالابل والبقر والثيران وذوات الجناح والضب واليربوع وبنات اللجة (أى الحيتان) والنحل . مما يذكرنا على الفور بشكوى الحيوان من جور الانسان فى رسالة الحيوان لاخوان الصفا التى كتبت فى القرن الرابع الهجرى نفسه الذى أملى فيه أبو العلاء رسالته . مما يدل على أن انطاق الحيوان لغة الانسان وان كانلونا أدبيا معروفا من قبل ، الا أن انطاقه بالشكوى من ظلم الانسان كان هو الجديد الشائع ـ فيما يبدو ـ فى أدب هذا القرن . ويدافع الشاحج عن خئولته وامكان نظمه الشعر ، فيطلب الصاهل حكما بينهما ويقترح لذلك الحمامه (الفاخته) . غير أن الشاحج يرفض تحكيم الفاخته التى يضرب بها المثل فى الكذب ويقترح أن يكون الحكم ابلا وردت الماء . وينتصر الصاهل للفاخته بينما ينتصر الشاحج للبعير .

وتسمع الفاخته الحوار فتوقع بين الجمل والشاحج وتثيره حتى يتهجم على الشاحج ويتوعد ، فلا يكون من الشاحج الا أن يسفهه ويدعو عليه ويكشف له عن وقيعة الفاخته ويقترح التكفير عن ذنبه اليه بحمل رسالة نثرية الى عزيز الدولة . ويرحب أبو أيوب (الجمل) بهذه المهمة ، فيلقى اليه الشاحج نص الرسالة منبها الى ما فيها من ألغاز وتورية قصد اليها ، غير أن أبا أيوب لا يفهم الرسالة ويستحمق الشاحج ، فلا يكون من الشاحج الا أن يحل ألغاز رسالته ، فيعلق أبو أيوب على ما سمع من شرح باستبعاده أن يفهم عزيز الدولة منطق البهائم ! فييأس الشاحج من أبى أيوب ويتفنن فى الدعاء عليه بالتورية والالغاز ، ثم يحل ألغاز دعواته على أبى أيوب .

وترد أم عامر (الضبع) فثعالة (الثعلب) الماء وبينما يهزأ الشاحج بأم عامر فانه يثنى على ثعالة ، واذا بضجة تقطع الحوار ، فيطلب الشاحج المقيد المعصوب العينين من الثعلب أن يستكشف جلية الأمر ويعود الثعلب من جولاته ليعلن أن العامة يرددون أن زعيم الروم فى طريقه الى أرض المسلمين ، وان عزيز الدولة أرسل الى الطاغية الرومى يطلب منه الكف عن الغزو ولكنه لم يتلق الجواب ، وانه أرسل اليه هدية رأفة بالرعية وحقنا للدماء . ثم يروى الثعلب

الصاهل والشـــاجح

جفلة الناس وما يحتمل أن يحدث أثناء هجرتهم ديارهم خوف الغزو : كيف يكون تصرف المرضى وأصحاب العاهات والنساء والتجار وأصحاب الحرف والأمهات وأطفالهن والأتباع .. الخ ويصف ارتباك الشركاء فى المتاجر والأملاك وتشاجرهم ، كما يردد أراجيف العدو بأن عزيز الدولة قليل العدد وقلعة حلب معقل المسلمين . وان العدو شيمته الغدر وان ملكهم باسيل مريض مصاب بالشيخوخة فاسق فاجر .

ويفترق ثعالة والشاحج ويلتقيان بعد شهرين فيصف الشاحج لثعالة ما يتصوره من حالة المهاجرين عن البلد فى العودة الى ديارهم باستخدام النكت ... بينما يقص ثعاله ما جد من أخبار استعداد العدو للحرب فاحتمال الغزو قائم ، مع التنبؤ بهزيمته ، كل ذلك بنكت عروضية وتوقع النصر عليه بالفأل والطيره باسماء بلدان الشام ورياحينا وثماره واسماء أصحاب الطاغيه . ثم تروى مختلف الاشاعات ومنها خروج المتطوعين للقتال ، خروج قائد رومى خطير على الطاغيه ، الطاغيه يصرح بعزمه على الاستيلاء على ديار المسلمين بالشام ، هدية من الغلمان الروم الى عزيز الدولة رغبة فى المسالمة ، عزيز الدولة يأمر بحفر خندق حول حلب ، غضب عزيز الدولة على القائد مضيء الدولة لكلام هذى به بعض ولده فى مجلس شراب ، وثعالة يقسم على براءة مضيء الدولة من تهمة الخيانه .

ثم يتحدث عن فروسية السلطان بل وعن نظره فى العروض للخليل (وهذه قريبة من الأولى فى العجب : الملوك وقد شغلوا عن الفروض ، فما بال النظر فى العروض .

ويختتم أبو العلاء رسالته بقوله أن أخاه غرق من احسان الحضرة العالية فأراد أن يعينه فأعداه بالغرق ، فاستعان أخواه الحيوان ، ليدوم شكرها فى كل أوان .

وقصص الحيوان عند أبو العلاء نجدها فى كثير من مؤلفاته مثل (رسالة الهناء) و(الفصول والغايات) و(القائف) الذى لم يصل الينا ولكن وصلتنا نماذج منه فى كتاب (احكام صنعة الكلام) للكلاعى . وقصص الحيوان هنا مستقل بعضها عن بعض يرويها الانسان عن الحيوان على نحو ما نجد فى كليلة ودمنة حيث يروى بيديا الفيلسوف قصص هذه المجموعة . أما رسالة (الصاهل والشاحج) فهى رسالة واحدة متصلة يرويها الحيوان عن الانسان .

الجانب اللغوى فى الرسالة

والجانب اللغوى فى الرسالة يوازن الجانب القصصى (أو المسرحى طبقا لوجهة نظر الدكتوره عائشه عبد الرحمن) بل لعله يغلب عليه فى كثير من الأحيان فيطول حوار احدى الشخصيات عشرات الصفحات حتى نكاد ننسى الخيط القصصى أو الدرامى ، ويبدو كأنما أهم ما فى الرسالة هو الألغاز اللغوية والتورية والنكت العروضية ، وهو أسلوب مألوف لدى أبى العلاء المعرى فى معظم رسائله يستعرض فيها عبقريته وذاكرته الفذة . وقد قابلت فى جامعة امستردام بهولندا المستشرق بيتر سيمور الذى يعد رسالته للدكتوراه عن الألغاز فى رسالة الصاهل والشاحج . والواقع أنه لو استطاع أن يستوعب هذه الألغاز فسيفهم من لغتنا مالا يفهمه كثير من الناطقين بها .

ذلك لأن هذه الرسالة القيمة قد استوعبت ثروة لغوية هائلة ، وقد قامت بنت الشاطىء بمجهود ـ ليس غريبا عليها فى تحقيقاتها السابقة ـ فى تشكيل الألفاظ وشرح كثير منها والتأريخ للاعلام .

ونحن نأمل مع الدكتوره عائشه عبد الرحمن من ناحية أن تتاح الفرصة لتجريد النص مما يتخلله من ألغاز مجهده ونكت عروضية بالغة الدقة ، لتقدم منه نسخة ميسرة لجمهور القراء فى الوطن العربى . لكننا من ناحية أخرى يمكن أن نستفيد من رسالة مثل رسالة الصاهل والشاحج عند تأليف قواميسنا اللغوية ، بل نستخرج قاموسا خاصا بما أورده أبو العلاء المعرى من ألفاظ على لسان حيوانه وشروحها وما استشهد به تأييدا لهذا الشرح ، سواء فى هذه الرساله والرسائل العلائية الأخرى .

يوسف الشارونى

ضغوط الحياة الزوجية على المرأة العاملة



ربما كانت المرأة فى بلدان العالم الصناعى قد حققت بعض المساواة التى ظلت تنادى وتطالب بها .. أمام القانون ، ولكن ليس بالضرورة فى نظر زوجها أو أصدقائها من الرجال .

ففى الاجتماع السنوى للاتحاد الكندى للأطباء النفسانيين ، قالت الدكتورة جوديت جولد أستاذة الطب النفسانى بجامعة دالهوس بهاليفاكس إن الرجال مازالوا يواصلون تقليلهم من شان وجهود زوجاتهم .. وما حققنه ، مما أورث الزوجات العاملات شعوراً بالجرم والشك فى أنفسهن ، وبالتالى صار التردد ديدنهن وخاصة بالنسبة للمطالبة بالمزيد من الاستقلال . فاذا كانت إحداهن قوية فى عزمها على فرض نفسها وسبيلها ، فان غضبها وشعورها بالاحباط والشلل قد يؤدى بها الى الامتلاء بعقد نفسية تدفع بها الى البحث عن العلاج المهنى النفسانى .

وتقترح الدكتورة جوديت أن بداية الحل لهذه المشكلة هو أن تكون العائلة متفهمة لظروف المرأة العاملة ، ومقدرة بشكل أكبر للمساواة بين الجنسين . واعترفت بأن المساواة لايمكن فرضها بقوة القانون ، لأن كثيراً من القناعات والمواقف الراسخة فى الاذهان والسلوك لا يمكن تغييرها بمجرد سن قانون جديد

(مقطوعة من ملحمة القسام التى بعدها الشاعر للنشر)

يا وطنـــى
يا وطنـــى



شعـــر : ناهـــض الريـــس

يا أقصى ·· يا قبلتنا الأولى
يا قبلة رب الكون على جبهة أرض باركها
جبـــلا ·· ســـهلا
امرأة ·· رجـــلا
يا معراج رسول الله الى الملأ الأعلى
أعطيـــك دمـــى
فى مصباحك للســـاهر فوق صحائفه
يتـلو آيـــات النـــور
بيانا كالصبح وبشرى كالفتح
يا أقصى ·· يا علمي
أفسح لي فى صدرك يوم الجمعة موطيء قدم
هـــا أنـــا جئت اليـــك
تسابق روحى قدمي
ويسابق سيفى قلمي
ها أنـــا جئت اليـــك
فجاج الأرض دروب نحوك
كل العـــالم يدفعنى

يـــا وطنـــي
افسح لى فى صدرك مأوى يدفئني
أو مثـــوى يدفنني
يا ثـــديا أرضـــعني
ورفيقـــا لاعبني
وحبيبـــا عانقني
يـــا روحي ·· يا بـــدني
يـــا وطنـــي ·· يـــا وطنـــي

• • •

دع من أزهارك زهرا مياسا
يتخلل وجهي
فى لحظـــات الخطـــر
حتى أضحك بحنان من هذا الطفل اللاهى
دع من بحرك موجا وشواشا
ينشد أهزوجته الأبـــديه
في ســـاعة نومـــي !
حتى أحلم أنى والشمس أنام على مهد
يـــا وطنـــي :

ما شمسك كالشمس
ولا نجمك كالنجم
ولا قمحك كالقمح
ولا صبحك كالصبح
ولا بحرك كالبحر
ولا زهرك كالزهر

أناديك بصوتي وبصمتي
بحيـــاتي وبمـــوتي
يـــا وطنـــي ·· يـــا وطنـــي

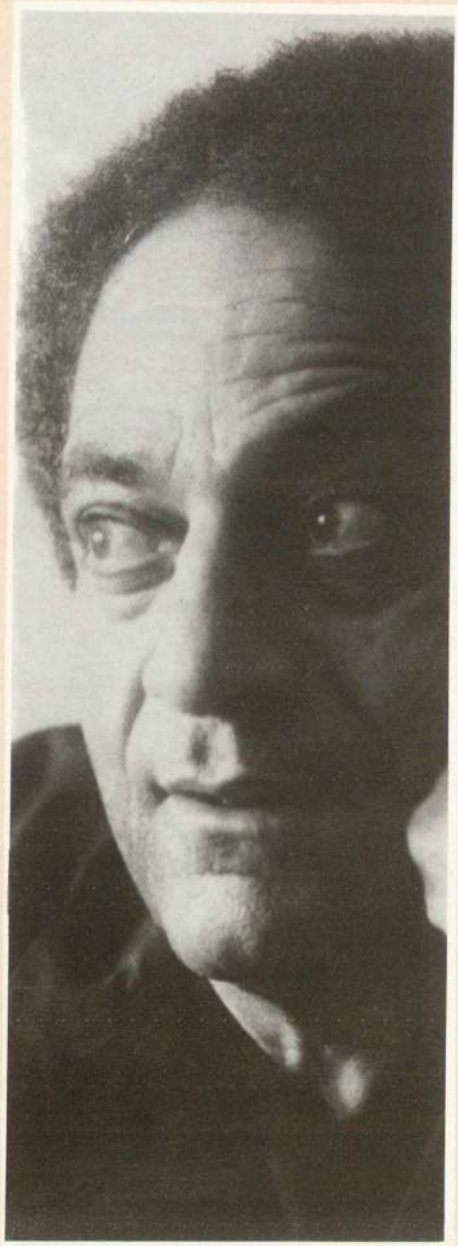
نعمان عاشور

محمود حسن إسماعيل

وشاعرية الشموخ

تميزت الفترة التي اعقبت وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ وقيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ بصراع سياسي عنيف داخل مصر ... خاصة بعد وقوع الازمة الاقتصادية الطاحنة في اوائل الثلاثينات وكان الصراع يتمثل اساسا في ارتكان الاحزاب السياسية على الطلبة . وكان صراع مظاهرات وهتافات طلابية دخلت السراي الملكية الى ساحته بدعم من سيطرة الاحتلال الانجليزي مرتكنة على العديد من المحترفين السياسيين في تكوين احزاب سياسية متتابعة تسعى جميعها الى دحر حزب الوفد وهو حزب الاغلبية الذي قامت على اكتافه ثورة ١٩١٩ . فتبلورت حصيلة هذا الصراع بعد محاولات الغاء الدستور واهدار الحياة النيابية من جانب احزاب الاقلية التي تشكلها السراي وتحميها السلطة الانجليزية المهيمنة على شئون الامن الداخلي والدفاع الخارجي .. تبلورت فيما عرف بالفورة الطلابية عام ١٩٣٦ والتي ادت الى سقوط الآخرين الكثيرين شهداء من طلبة الجامعة والمعاهد وكانت هناك جامعة واحدة هي جامعة القاهرة الحالية وكان اسمها جامعة فؤاد الاول ..

في هذا العام بالذات كان شاعرنا محمود حسن اسماعيل قد تخرج من مدرسة دار العلوم (حاليا كلية دار العلوم) وكانت تقع في حي المنيرة حيث تقوم معظم دور الاحزاب السياسية وجرائدها .. وقد برز محمود حسن اسماعيل اول ما برز كشاعر سياسي فتجلت مقدرته وسطع نجمه في هذه الساحة .. ساحة « الدراعمة » كما



كان يسميهم طه حسين .. فكان صوته اقوى صوت معبر عن هذه الفورة وشهدائها من الطلاب .. بعدها مباشرة احتضنه حزب الاحرار الدستوريين وكان من احزاب الاقلية يمثل كبار ملاك الاراضي ويعمل لحساب السراي ويرأسه محمد محمود باشا الذي اعجب بشاعريته فاجتذبه الى صفوف الحزب وفرض حمايته عليه ورعايته له على الاسلوب الارستقراطي الذي اتبعه امراء اوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر في احتضانهم النوابغ من الادباء والموسيقيين والمفكرين ..

موهبة الالقاء

كانت الميزة الكبرى لمحمود حسن اسماعيل الى جانب موهبته الشاعرية هي قدرته الفائقة على القاء الشعر .. استمعت اليه وانا طالب في الثانوية يلقي احدى قصائده في حفل كبير داخل خيمة اقيمت في فناء مدرسة دار العلوم وكانت هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بذكرى الشهداء وفي مرحلة غلبت عليها الخطابة اذ لم تكن هناك ميكروفونات ولا مسجلات .. ليلتها خرج الناس جميعا أمام براعته في الالقاء وجمال الابيات التي القاها من شعره يؤكدون ميلاد شاعر جديد سيخلف شوقي ان لم يفقه . وبعدها الحقوه باحدى الوظائف وظل موضع اعجاب هؤلاء السياسيين الذين ضموه الى صفوفهم حتى اصبح بمثابة شاعرهم الخاص .. فلما خفت حدة الصراع الحزبي انزوى في الوظيفة او بالأحرى كما فسرها لى بنفسه بعد ذلك .. هرب

كان يفخر دائماً بأنه فلاح وصعيدى . . أي رجل محافظ وعنيد

منذ البداية أدرك أنه ينبغي أن يكون صاحب شخصية أدبية متميزة

كان متقدماً في تفكيره متحرراً في نظرته واسع الأفق في تطلعاته السياسية

ولد فقيرا ومات بعيداً عن أهله وناسه خوفا من الحاجة

طفرة بارزة في شعرنا الحديث وتمهيد لكافة فروع الشعر من بعده

من الاضواء السياسية لانه لم يكن له طاقة عليها وعاد الى حيث الارض والطين والقرية الصعيدية التي نشأ فيها لنخرج لنا اروع دواوينه من الشعر •• «اغانى الكوخ » ثم «هكذا أغني» ومن هنا كانت البداية الحقيقية لمحمود حسن اسماعيل •

شخصية مستقلة

كان محمود حسن اسماعيل يفخر دائما بانه فلاح وصعيدي أي رجل محافظ وعنيد • وكان في تلك الفترة يهيم بحب الارض ويعشق اهل قريته ويتدله في اعزازه لهم •• ولهذا كانت تصرفاته تتسم بالحذر والدقة في معاملته لاهل المدينة التي فرضت عليه ظروف حياته ان يعيش بينهم •• ولهذا ايضا لم يكن يصطفي من الاصدقاء الا من يطمئن الى انهم مثله اميل الى التحلل من التزمت المدني واقرب الى التصرف التلقائي الطبيعي الذي يتسم به اهل الريف • وقد كان كثير المعارف ولكنه قليل الاصدقاء وهذه الطباع الشخصية التي كان يغلف بها نفسه لم يكن مصدرها فقط نشاته والبيئة التي عاش فيها •• وانما كان مصدرها ايضا شاعريته ذاتها •• لانه منذ البداية كان شديد الاعتداد بموهبته ويدرك ادراكا تاما بحكم مكوناته النفسية والثقافية بل وبحكم التجربة القاسية والممارسة الحية انه صاحب شخصية أو يجب ان يكون صاحب شخصية ادبية مستقلة •• ولعل بروزه المفاجيء من مبدأ شبابه كشاعر كبير واصيل كان هو الذي غرس في داخليته هذه الاستقلالية ••

ربطتنا صداقة متصلة في سني حياته الاخيرة وبحكم جيرتنا في السكن فكان يشوقني دائما ان انبش في داخليته على مدار جلساتنا التي كانت تمتد احيانا حتى الصباح ونحن جلوس على حافة النهر الخالد • كان يسبح طويلا وهو يحدثني عن نظرته الى الحياة ورايه في السياسة وفهمه لمسار العالم بالقياس الى ماضينا الحضاري • والحق انني كثيرا ما كنت اذهل أمام اغلب آرائه ونظراته •• فالرجل على عكس ما كان يبدو منه في لقاءاته مع الناس • كان متقدما في تفكيره متحررا في نظرته واسع الافق في تطلعاته السياسية والاجتماعية فلما اظهر له بعض التعجب مما كنت احاوره فيه وخاصة ديوانه «الملك» الذي جمع فيه قصائده أو على الاصح مدائحه لفاروق •• كان يردني دائما الى شعره •• «لا يهم ما قد ادخلته من تجديدات وقوالب شعرية جديدة ولكن موضوع اشعاري دائما كان مناطه الحرية •• انا رجل ثائر انتصر دائما للضعفاء والمقهورين» •

والحق اننا اذا رجعنا الى ديوانه الاول «اغاني الكوخ» او حتى ديوانه السادس «لابد» لما عجزنا عن تبين نفس النظرة كامنة في اشعاره وانا ما تغنيت الا بنصفة الضعفاء •• خذ عندك ما قلته عن الفلاح في اغاني الكوخ •• وفي صدر شبابي •

شهدته يزرو دخان الأسى
والوجد في كانونه ساعر
تبكي سواقي العقل اشجانه
وما بكاه مرة شاعر
شالت بزرع النيل اكتافه
وما رعاه البلد الغادر

الحافظة القوية

كان محمود حسن اسماعيل من اكثر الشعراء حفظا لاشعارهم ولهذا لم يكن اسهل عنده من استحضار قصائده كاملة ليعيد تلاوتها في جلسة واحدة •• ولذلك لم يستعص عليه ان يلاحقني «وليس في صدر شبابي فقط •• بل وفي اوج كهولتي » وراح يتلو علي الكثير من قصائده في احدث دواوينه وفيها يتغنى بالمطعونين •• ولم يتردد في ان يسمي القصيدة بقصيدة الفقراء ويقول في مطلع ابياتها :

من هؤلاء •••
هم الذين تبرجت اعراض كل منعم بعذابهم
من هؤلاء •••
هم الذين تكلمت
للظلم شاهقه بذل رقابهم •••

والحق انه كان شديد الحساسية من هذه الناحية لانه ولد فقيرا •• ومات بعيدا عن أهله وناسه خوفا من العاجة •

في اسر الوظيفة

نشأة محمود حسن اسماعيل لعبت دورا كبيرا في تكوينه لانه عاش دائما يحن الى منبته الريفي •• ولذلك كان الطابع الريفي الصعيدي يغلب على

محمود حسن إسماعيل

طريقته في الكلام ولهجته في النطق مع انه أمضى طوال عمره في المدينة وداخل المكاتب والدواوين الحكومية !! كان أول احتكاكي به وهو في الاذاعة يرأس قسم الاحاديث ثم الادارة الدينية وقد عرف بالتصلب والتشدد في تعامله مع الآخرين ·· ولكنه سرعان ما اندمج في الجو الوظيفي وانطوى في أسر الروتين اليومي ·· وتلك كانت من أسوأ فترات حياته ·· فالرجل لم يكن من مصدر يعيش منه غير مرتبه ولهذا سد عليه الاهتمام بالوظيفة الكثير من مسالك انطلاقاته الادبية

كان يرفض حتى لا يتهم باستغلال وظيفته أن تقدم له الاذاعة شيئا من شعره ·· وهذه النظرة الضيقة جاءته من أثر ما كان يداخله من شعور بالضآلة لانه موظف · على ان هذا لم يكن يمنع ابدا اذا طلبت اليه مجلة او جريدة ان يقدم لها شيئا من شعره ان يسارع بتقديمه ·· ولهذا فكثيرا ما كان ينشر بعض قصائده التي يكتبها في المناسبات الوطنية والقومية العديدة في جريدة الاهرام بتشجيع من رئيس تحريرها انطون الجميل ·· وكان بدوره يتمسك بالتقاليد الصحفية القديمة التي تحتفي بالادب والشعر وتفرد له اوسع الصفحات كذلك كان ينشر بعض قصائده في مجلتي الثقافة والرسالة ·

حياة العزلة

تعودت أن القاه صباحا ونحن في طريقنا الى العمل · كان هو في الاذاعة ·· وكنت أنا اعمل مترجما في بنك مجاور لمبناها بشارع الشريفين· واتردد على الاذاعة بما كنت اكتبه من تمثيليات وبرامج مختلفة ·· كنا نركب الاوتوبيس معا اذ كان يسكن في الجيزة مثلي ، بل انه كان يقطن في المنزل المجاور لمنزلي ·· ولكنني لم اعرف ذلك الا بعدها باعوام ·· ولم يحاول هو ان يخبرني حتى اكتشفت بنفسي انه جاري وهذا يدل على طبيعة ونوعية حياة العزلة التي اختارها وهي حياة تساعده على الانزواء والابتعاد عن الناس طالما هو خارج العمل · مع ان شخصيته رغم ما كان يخيم عليه في تلك الايام من محاولة واضحة للتماسك والانكماش على نفسه ·· كانت شخصية متفتحة وطلقة ومن الصعب اخفاؤها خلف وجه جامد ·· قال لي ذات مرة انه لا يدري لماذا يفتح لي قلبه فلا يخفي عني الكثير مما كان يؤرقه ويضنيه ·· وكانت المناسبة انني كنت أوالي معاتبته على عدم الاهتمام بنشر اشعاره او جمعها في دواوين ·· وتلك المشكلة كانت تؤرقه على الدوام لانه كان يعتقد ان من حقه على الناشرين ان يسعوا اليه لانه لا يستطيع بل يأبى ان يعرض على احد ان ينشر له شعره ·

هيئته الشاعرية

ولعل من اطرف الصور التي اذكرها عنه في تلك الايام ، انه كان يسير دائما وهو يحمل العديد من الدوسيهات والاوراق والملفات على طريقة الموظفين الحكوميين ·· فاذا لم يكن فانه يضع تحت ابطه الجرائد اليومية ليتقي بها حرارة الشمس مع ان رأسه كان مغطى بشعر طويل مشعث لا يحاول ان يصففه ابدا ·· اذ كان يكره الحلاقة كراهية التحريم ·· ولهذا فغالبا ما كنت تراه وقد اغفل حلاقة ذقنه لفترات طويلة · وكان محمود حسن اسماعيل فارع الطول يمشي بحذر ولا يكاد يتوقف أو يحاول متابعة شيء مما يجري حوله ويلتزم دائما بالرصيف · يمرق في سرعة وكأنه يريد ان يهرب من شيء ليلحق بشيء آخر يكفل له الراحة ·

بداية كل جديد

لكن شخصيته لم تكن كذلك على الدوام ·· فبعد نشر اكثر من ثلاثة دواوين وبعد ان ارتدت اليه الشهرة التي صاحبت بداية ظهوره أيام الشباب ·· بدأ يلبس شخصية جديدة ·· وهي شخصية اطلقته من عقال الكثير من الوان التزمت الذي كان يأخذ به نفسه في مواجهة الناس ·· ومن خلال هذه الشخصية الجديدة اخذت أتلمس الطريق الى ادراك قيمة موهبته واصالة فكره وابعاد رؤياه ذلك انني على كثرة قراءتي لشعره وسماعي للعديد منه على لسانه، كنت استغرب من واقع شخصيته التي عرفتها وحللتها من قبل ، ان يصدر عنه مثل هذا الشعر الغريب الذي لا سابقة له عند من جاءوا قبله من الشعراء ·· ولعلي لا اكون مبالغا اذا قلت ان محمود حسن اسماعيل يعتبر بعد شوقي طفرة بارزة في شعرنا الحديث وهو التمهيد الاكيد والرافد الاصلي لكافة فروع الشعر الحديث التي امتدت عندنا من بعده ·· سواء كان ذلك في مبنى قصائده واسلوبه التصوري واخيلته الرائعة ورصانته وتجديداته المتطورة· لانه كان من اكثر الشعراء تجديدا في الشكل ومن اقدرهم على تركيب الصورة الشعرية واحكام الموسيقى في كافة قصائده وقد تجلت في شعره معظم التيارات التي عاصرته وربما جاءت بعده فشعره لم يخل من السيريالية والانطباعية والرمزية ·· وهو يجمع بين الشعر التقليدي والشعر الحر في قوة واقتدار ·· وهو نفسه دائما ما كان يعتز بذلك فاذا انت طالبته بمثال لم يصعب عليه ان يلاحقك بقصيدة لانه كما قلت كان من اكثر الشعراء حفظا لاشعاره ·· وكان يعتقد دائما انه يقف على مفترق الطرق بين القديم والجديد ، وانه اول من طرق بالشعر مسالك الواقعية ، وأول من مهد للشعر الحر ، ويرى انه في شاعريته انما يشكل الركيزة الاساسية لشعر المستقبل بكل الوانه شكلا ومضمونا ·· لكن ماذا عن الشعر الدرامي ·· هذا ما كان يجعده بكل عنف ·· ومرجع ذلك طبيعته ثقافته الاصيلة الغالية من أي مفهوم للدراما ·· ثم عزلته الدائمة عن الحياة الثقافية عامة ··

عاشق النيل

ورغم هذا القصور فقد كنت دائما شديد الاعجاب بشعره ·· ولكني لم اكن احتفي بما فيه من تجديدات في الاشكال والقوالب ·· وانما كان يجتذبني فيه موضوعات أشعاره ·· قضينا سنوات عديدة معه في صحبة يومية وصحبة ليلية ايضا ·· فقد

تعود ان ينام ظهرا لساعات طويلة ثم ينهض الى سمار الليل في قهوة عبدالله بالجيزة ·· احيانا ما يمر علي لنبدأ السهر هناك ·· واحيانا ما يلح لاصحبه الى جلسة منفردة على النيل ·· كان يهيم مثلي بحب النيل ويقطع الليل شاخصا في مياهه ·· خاصة في الليالي القمرية ·· وهنا تلزمنا وقفة ساتخطى فيها لقاءاتي معه بين عديد الادباء في قهوة عبد الله · او انفرادنا معا فيما كان يسميه «امسيات المجد على شاطىء الخلود» ساتخطى كل ذلك لاحاول التعمق في الوصول الى غور فكره بما فيه نظرته الكونية ومفهومه السياسى

مكوناته الثقافية

كان محمود حسن اسماعيل شديد التدين راسخ الايمان كما يتوقع بالنسبة لكل ريفي مصري بل لكل مصري على الاطلاق ·· وكان كثير الفخر باسلامه وعروبته · ولم يكن يفصل بين الاسلام والعروبة فما دمت مسلما فانت عربي· هكذا كان يقول دائما ولكنه لم يكن متعصبا لا في تدينه ولا في عروبته رغم نشاته ودراسته الدينية والبيئية التى تعلم فيها ·· وكان يحفظ الكثير من الآيات القرآنية ويرددها على الدوام في ميل واضح الى طلاوتها وحلاوتها في معناها ومبناها ·· يتذوقها بفن وحس لغوي مرهف ·· وكان دائما يركز في اسلامه وعروبته على التغني بحياة الرسول وخلفائه الراشدين ويعتبر ان هذا هو العهد الذهبي والوجه الحقيقي للاسلام والعروبة · وفيما عدا ذلك فلم يكن يرجع للمفاخر العربية الا من خلال أمجاد التراث في مراحل الحضارة العربية ابان ازدهارها · وكان جوهر الدين عنده يتمثل في العلاقة المباشرة بين العبد وخالقه وهي علاقة لا يجب ان يداخلها وسيط من الاولياء ·· ويؤكد دائما ان جوهر الاسلام هو حرية الفرد ·· ومن هنا كان ارتباطه الدائم بالدعوات العصرية المتحررة · كالديمقراطية وحرية الفكر ·· ولم يكن يعارض تحرير المرأة ولكنه كان يرفض الانحياز



زكريا الحجاوى



محمد عبد الوهاب

للجماعات الدينية التي تتجه نحو السياسة وهي ظاهرة مميزة لعصره ·· ولعل الارستقراطية الوحيدة التي كان يؤمن بها هي ارستقراطية الفكر ·· وكان يتمثلها دائما في نفسه ويعبر عنها بانها «الشموخ الروحي» ·

الشموخ الروحي

ومن مظاهر هذا الشموخ انه كان ذات مرة في ضائقة مالية يواجه مصاريف اضافية ينوء بها مرتبه لمعالجة ابنته ·· وكنا نجلس في قهوة عبد الله بميدان الجيزة وهو في كمد وضيق على غير عادته معنا في مثل هذه الجلسات · وحدث ان الراديو كان يذيع اثناءها قصيدته «النهر الخالد» التى يغنيها عبد الوهاب ومعنا صديق محام له مكتبه المعروف في الجيزة وهو من اخلص اصفيائه ويبدو انه كان على علم بما يؤرقه من متاعب مالية ·· وحين سماع القصيدة سأله المحامي مباشرة عما تقاضاه ثمنا لها · فاذا هو اجر بسيط لا يتناسب مع قيمة القصيدة وذيوعها بما وزع من الاغنية مسجلا على اسطوانات تعدت المائة الف ·· وحاول ان يقنعه مستعينا بعلاقتنا الفنية به انا والصديق الراحل زكريا الحجاوى ان يقبل مطالبته للشركة التي سجلت الاغنية والتي يملكها عبدالوهاب ·· بأن تدفع له حق أداء علني عن الاغنية · ولكنه رفض باصرار واعتبر ذلك نوعا من التسول الذي لا يمكن ان تقبله شاعريته والظاهر ان صديقنا المحامي استطاع ان يسوى المسألة مع الشركة ويحصل له على مبلغ اضافي ·· لانه حدثني عن ذلك وهو غير مصدق ان له حقا على احد فيما يكتبه من الشعر ·

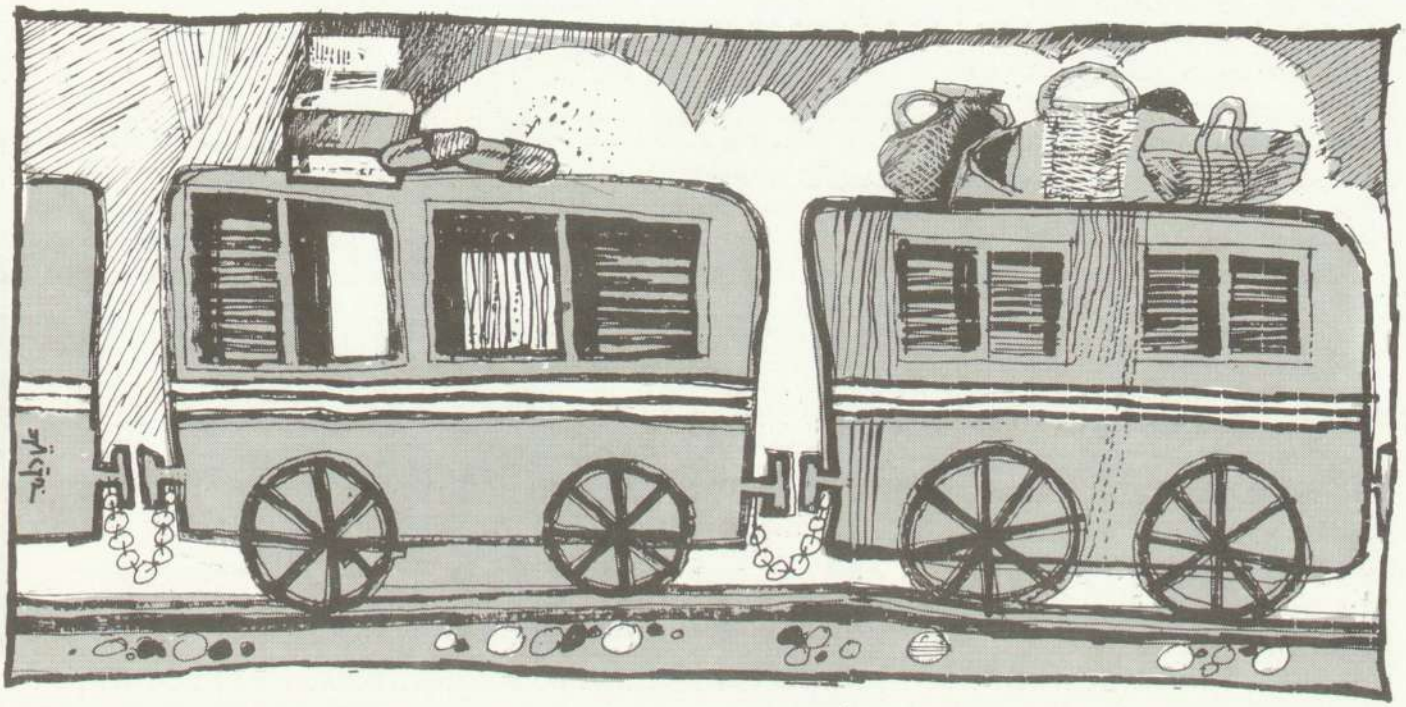
عالمه هو شعر

عاش محمود حسن اسماعيل طوال عمره محدود الدخل من اسر الوظيفة ولم يكن شعره يدر عليه شيئا تقريبا ·· فلقد نشر معظم دواوينه متاخرا وهو على اعتاب الشيخوخة ·· وباعها بثمن بخس ·· دراهم معدودات كما كان يقول ·· ولانه لم يتعود ان يجمع قصائده فقد كان نشره لدواوينه من الاحداث المثيرة · كان يستحث أصدقاءه ومعارفه بأن يمدوه بما يمكن ان يكونوا قد وقعوا عليه منها منشورا في المجلات والصحف ·· ولكنه اعتمد في اغلب الاحوال على ذاكرته الحافظة لانه كما اسلفت كان من امهر الشعراء الذين يمكنهم حفظ واستيعاب أشعارهم ·· رغم ما عرف عنه دائما من نسيان كلي لكثير من صغائر الحياة المادية بل والاسماء والاشخاص والاماكن ·· ذلك انه كان يعيش في شعره ومع كل بيت من ابيات قصائده اذا أبدعه فانه لا يخرج من ذاكرته ابدا ·

نعمان عاشور

من تجارب الشعبية

الـــدرس



عندما أعددت نفسى للسفر فى ذلك اليوم لم أكن أدرى اننى أعد نفسى لتجربة لن أنساها .

كانت محطة القاهرة تموج كعادتها بالحركة ، وأنا أقف على الرصيف المخصص لقطار الصعيد ، وأنا أحمل حقيبتى بعد أن انهيت عامى الدراسى الجامعى واستعددت لقضاء اجازة الصيف مع أسرتى .

ربت أحدهم على كتفى برفق .. التفت اليه .. كان أحد زملائى بالجامعة ، وإن لم تكن لى به علاقة قوية سألنى والخجل يغلف كلماته «هل أنت مسافر الى سوهاج ؟» . فلما أومأت مجيبا قال لى فى حرج :

«إن معى حقيبة صغيرة بها أدوية لوالدى المريض بالقلب ، لابد وأن تصل اليه فى سوهاج .. وإن لم تصل اليوم ، فلا يعلم الا الله ماذا ستكون النتيجة ؟»

ولما كنت ميالا للخير بطبعى ، فقد وافقت على الفور ان أحملها الى والده إذا وافق وكتب لى العنوان على ظهر الحقيبة . وفعلا .. أخذت منه حقيبة الأدوية ، وركبت القطار ، وأنا أشعر بالسعادة الغامرة لأنى سأستطيع نجدة إنسان فى وقت محنة ، وتخيلت الرجل المريض وهو يتألم ، وأهله من حوله لا حول لهم ولا قوة ، ثم دخولى عليهم ـ كملاك هبط من السماء ـ أحمل بين يدى حقيبة الأدوية التى أرسلوا فى طلبها من القاهرة .

وهبط على الليل وانا فى القطار .. فنمت بعض الوقت ثم استيقظت على صفيره ، وهو يدخل محطة سوهاج ، وحملت حقيبتى على عجل ، وقفزت من القطار ، ثم حملتنى إحدى العربات الى منزلى ، قضيت أكثر من ساعة مع والدى أحكى لهما عن رحلتى من القاهرة ، ثم تناولت عشائى ، وارتميت على فراشى بعد عناء السفر الطويل .

وفجأة .. استيقظت من نومى فزعا ، وكأن كابوسا ألم بى .. لقد تذكرت انى نسيت حقيبة الأدوية بالقطار .. أخذت أهمهم بكلمات ليس لها معنى .. كيف نسيتها ؟ .. وماذا سأفعل ؟ كنت أتمنى لو أنى مازلت نائما ، وإن ما حدث فعلا ليس الا كابوسا من عمل الشيطان .. ولكن رويدا بدأت تتضح المأساة أمام عينى .. لقد نسيت الحقيبة .. وخنت الأمانة .. وقتلت مريضا لا ذنب له إلا أن ابنه وثق بى يوما ما .. وبدأت دموع الندم تنساب على خدى .

مرت شهور الاجازة الثلاثة على هذه الواقعة ، ولم يكف ضميرى عن تأنيبى يوما واحدا ، حتى كان يوما لا أنساه ، وأنا بالكلية وجدت زميلى الذى كلفنى بتوصيل الحقيبة يحيينى مرحبا نظرت اليه مستعطفا وفى عينى أسف شديد .. لكنى فوجئت به يقول لى : لست أدرى ماذا كنت سأفعل يومها بدونك ؟ .. لولا انك أوصلت الأدوية فى موعدها لهلك والدى .. انك شهم !

لا تسألونى كيف حدث هذا ؟ .. أنا أيضا لا أدرى .. ربما وجد أحدهم الحقيبة وحملها الى العنوان المكتوب عليها .. كل ما أدريه اننى ذقت فى هذا اليوم طعم النوم الذى هجرنى منذ ثلاثة شهور .. استغرقت فى النوم ، وأنا أتمتم بكلمات الشكر لله الذى شاءت رحمته أن تصل الحقيبة فى موعدها رغم إهمالى ، وأن أنال ـ أنا ـ درسا لا أنساه !

حماده محمد محمود
مصر ـ سوهاج

مواقف ثقافية



دعوة لانتماء حميم

كل منا يبحث عن نفسه ، عن آخر فيه أكبر من حياته وسعيه اليوميين .. آخر لا يقذف به خارج إطار المجموعة الثقافية والانسانية والحضارية التى ولد ، نشأ ، ويعانى هذا البحث فيها .. نحاول اذن أن ننتمى وبشكل حميم وفعال ومقدر انسانياً .

فى العمل والصداقة والحياة الترفيهية العامة ووسائط الثقافة والاعلام جرعة عالية من المعطيات التى تشكل خطانا نحو ذاك الانتماء الحميم ... أو هكذا كان ينبغى أن يكون الحال . ولكن ما نتبلغه من كل هذه المجالات فى حياتنا العربية المعاصرة يغربنا أكثر وأكثر عن حلمنا البهيج .. لأن هذه المجالات كلها تتعامل مع الواحد منا وكأنه لا سبيل له لمعرفة ما يجرى فى العالم .. وكأن هذا العصر لا يفاخر ما سبقه من تاريخ فى الابداع الانسانى والاتصال العالمى بأنه أكثر العصور ازدحاماً بالمعارف ، وأحفلها بوسائط الانتقال الثقافى وأرفعها قدرة ودراية بتبليغ الرسائل : علمية كانت أم سلوكية أو خبرية أو ترفيهية أو دعائية ..

هل كان هذا من قبيل الصدفة أو الاتفاق التلقائى ان جاءت أحداث بولونيا وتحولات الأوضاع فى الصين مكشوفة دقيقة فى تفاصيلها ودواعيها ونتائجها ؟ أم ان السرية فى التوجه والتحوط أصبحا أمراً محالا فى عصر الاقمار والعيون التى ترصد كل شىء فى المعمورة ؟

ان ساحة الاختيار لم تكن يوماً مثل ما هى عليه الآن تنوعاً واتساعاً ، فان الاختيار تحت مظلة الدمار النووى يكاد أن يضحى عسيراً بشكل لا انسانى .. أما الانحياز فهو مستحيل ، لأن الحقيقة ـ كما تشاع ـ لم تعد تتمتع بذلك القبس اليقينى والوثوق .

بلغاء السياسة بيننا يبشرون بتوحيد الاستراتيجية والتضامن .. ويكثرون النفخ فى بعض القرب العجفاء المثقوبة ، كل وفق هواه الذى يعتقده .. ولا نقول مصالح أفق محلى لا يحق لها أن تفرض ذاتها على رحابة اطار المجموعة الثقافية والانسانية والحضارية التى أورثها الله من من عليهم بنعمة ضوء وقدرة الدين الحنيف فى قلب معطيات الحياة فى ديار العرب والعجم على السواء .

والمتربص بنا ـ وان تبدى الصديق الأرفع علاقة معنا ـ يرسم عنا لوحة يستعير ألوانها من تفرقنا واساءاتنا لبعضنا الآخر ولارثنا الانسانى وواقع المسافة بين فعلنا وهوانا وقدرنا وحالنا الحقيقى . ولذا كان الواحد منا يتمنى أن يقل التطوع والحرص بين كتابنا وحملة الاقلام منا على التوكيد الذى يتيحه بتباين القناعات السياسية والفكريات المستعارة أو تلك المحتفرة خصيصاً لتبييض فضائل قومها وتبخيس جواهر غيرهم ، والذى تيسره الاعفاءات والتسهيلات فى بلاد قوامها الاتجار والربحية العالية .

لأهل السودان تقليد ورثه الفقراء عن أول تجربة وحدت تلك البلاد الشاسعة لتصبح سنارية متوجهة نحو كعبة الهداية ورفعة الانسان .. ذلك هو حرصهم على العالم الفقيه العامل الفقير المجاهد فى شأن الله ومصلحة الأمة ، طاهر اليد واللسان ، شجاع الرأى والبيان ، فارس الملمات وطلاع المواقف الصعبة .

وكانوا يوفون بما يشير به ، ويحتكمون الى الضوء الذى يحصله لنفسه المنذورة لاعلاء شأن الحق والخلق .. ما كان يهجر قومه إلا لحجة يطلب فيها زكاء النفس وزاد المعرفة ..أو لينشر نور الهداية فى بقاع لم يتيسر لها أن تشهده .

وحين أغوى العدو الصليبى سادة العثمانيين فغزو تلك الديار طمعاً فى خيرها واستعباداً لانسانها الطاهر المزكى ، جاءوا بعلماء سوء ، أفرخوا علماء غرض حاولوا طمس الاطار الحضارى الثقافى الانسانى فى البلاد . ولكن الحرص فى وجدان أهليها على الانتماء لانسانية مؤمنة موحدة فاعلة قذف بهم الى ساحة الجهاد ، فشرفوا سادة فى بلادهم ، وكتيبة نصرة للحق فى أرض الله الطيبة .

للغة أثرها الذى يمتد خلف قيامها بمهمة البيان والاتصال .. فعبر اللغة يتم اكتشاف للحياة والنفس وأثر التجربة العامة والخاصة على المخيلة والذاكرة والمزاج . وعبرها نكتشف الآخر فى أنفسنا وفى اللغة . وحياة اللغة هى محاولتها التعبير عن كيان يبحث عن وجود عبر الذات والآخر والعالم . فاذا تشددت الحياة اليومية فى حرصها على الانصات لطرق الفاظ مكرورة تواكب معطياتها ، فان اللغة تفرغ من محتواها الأكثر نقاء واتصالا بينبوع القدرة والخلق فى الانسان .. ويتم بذلك استلاب لقدرة الوعى على التمييز .

لقد استقر فى يقيننا بفضل أدوات تحرير المعلومات والأفكار والتوجهات أننا نعانى من التخلف وعدم القدرة على مخاطبة التفوق الغربى ، وأننا غير عقلانيين ، وأننا نعانى ازدواجاً فى الشخصية ونحن نتعامل مع العصر ، وأنه لن تقوم لنا قائمة لأننا ندمن الاحتجاج بالماضى .

بعض هذه الاهانات والتهم يقدمه مخلصون لوجه التغيير والارادة الجديدة فى العالم العربى والاسلامى . ولكن الأثر الذى يتركه كل ذلك أفظع كثيراً من ظلم الانسان لأخيه الانسان فى عالمنا .. فالظلم يظل فى الاطار النفسى والحضارى الذى ننتمى إليه ، ويمكن تصحيحه .. ولكن هذا الآخر تحطيم للاطار الشامل ، ونسف لمجال حيويتنا وصراعنا وفاعليتنا فى التغيير لاستعادة السمات والقسمات الأفضل فينا ، والملامح الأعمق والأرسخ لأصالتنا وتفردنا .

وفى ظنى أن الوعى بضرورة تغيير الأمور لأفضلها ينبغى ألا يسقط فى متاهة سب الأخضر والمصفر واليابس فى أوطاننا ، لأن ذلك لا يؤدى إلا إلى زيادة الشعور بالنقص فى عصر التكنولوجيا ، والاحباط فى أيام الجهاد المعلن ..

رأيت سمعت قرأت

رأيت

ماذا سيفعل بأمه



رأيت امراة ممزقة الثياب متسخة البدن منفوشة الشعر تقدم طفلها للطبيب وهى صامتة تملأ الدموع محاجر عينيها ، وقد ادرك الطبيب بحسه الانسانى ما يعتلج فى صدرها وما يموج بخاطرها فمس جبين وليدها وتفحص جسمه وشخص مرضه واعطاها تذكرة الدواء وثمنه فتلقفت ذلك ببسمة شاحبة والدموع لا تزال تفيض بعينيها ...

رأيت ذلك فعجبت له وعجبت اكثر لحديث الناس ، فقد زعموا انها مجنونة لا تهتم بامر نفسها ولكنها تقدس طفلها وتمنحه من العناية والرعاية ما يتجاوز الحدود ، تجوع ولا تنسى ان تمد ثديها لرضيعها .. تلهبها الشمس ولا تغفل ان تسدل ثوبها عليه .. يمزقها البؤس ولا يفوتها ان تدغدغ صغيرها وتهزه حتى يفرح ويضحك ويلوح بيديه .. تتمزق وتتوجع وتتعذب لكى تصنع من التمزق والتوجع والنداب بسمة على ثغر ذلك الصغير .

وتمنيت لو اننى عشت لكى ارى هذا الطفل وهو يكبر ويقوى ويشتد ساعده ماذا سيفعل بامه وقد وهن العظم منها واشتعل الراس شيباً ، وكيف سيرد لها بعض ما منحته من حنان وعطف وحب ، وكيف سيرعاها ويتعهدها ويعتنى بها كما رعته وتعهدته واعتنت به ؟

أحمد الطيب عبد الرحمن
الأبيض ـ السودان

سمعت

انهم يرعون الأغنام

سمعت أن استراليا تتميز باتساع مساحات اراضيها مع قلة السكان ، ولهذا فانهم يبتكرون الاساليب العلمية التى تمكنهم من التغلب على تلك المشاكل . واخر هذه الابتكارات هى ابتكارهم لطائرة جديدة للقيام بعملية الرعى ومراقبة قطعان الماشية حتى لاتخرج عن المنطقة المخصصة لها ، وذلك نظراً لاتساع مساحات المراعى وكثرةقطعان الماشية ، والطائرة المستخدمة تطير على ارتفاع ٩٠ متراً بسرعة ٢١٥ كيلو متراً فى الساعة وتحتاج لمساحة ٥٥ متراً فقط للاقلاع ، ٤٦ متراً للهبوط ، كما انها مزودة بموتور قوته ٧٠ حصاناً وتستهلك ٩ لترات من البنزين كل ساعة ونصف وتصدر صوتاً يعيد الماشية الهاربة الى قطعانها ... وهكذا تثبت الأحداث ان الحاجة ام الاختراع .

نبيل عبد العليم كفافى
مصر الجديدة ـ القاهرة

اسطورة ذات مغزى

سمعت من أساطير السابقين أن رجلا صادق ملك الموت فكان اذا جاءه يساله الرجل ازائراً جئت ام قابضاً ؟ فيقول الملك : جئت زائراً ؟

وفى يوم قال الرجل للملاك : ـ أسالك بحق الصداقة ان ترسل لى رسولا حين يحين اجلى يخبرنى بقدومك لقبض روحى فقال عزرائيل : ـ لك ذلك .

ثم هبط الملك على الرجل يوماً فقال له : ـ لعلك جئت زائراً فقال عزرائيل : ـ بل قابضاً . فقال الرجل أما سالتك ان ترسل لى رسولا يخبرنى بذلك ؟ فاجاب عزرائيل : قد فعلت .

فقال الرجل : ـ لم ياتنى رسولك هذا .

قال : بل اتاك ... تقوس ظهرك بعد استقامته .. وابيضاض شعرك بعد سواده .. وارتعاش صوتك بعد ثباته .. وضعفك بعد قوتك ... طلبت رسولا واحداً .. فارسلت لك عدة رسل ... فما بالك تلومنى ؟

منال عبد الحميد الضمور
مأدبا ـ الأردن

قرأت

حديث النباتات



كان من بين ما قراته ان قليلا من العلماء يؤمنون بان الانسان يستطيع ان يتحدث الى النباتات ، ولكن هنك مهندساً يعتقد بان الانسان يستطيع ان يلتقط اشارات كهربائية تعطى معلومات مفيدة عن بعض المحاصيل مثل الطماطم والقطن

وقد بدأ وليام جنسلر تجاربه فى جامعة اريزونا منذ سنوات عن طريق وضع اسلاك داخل الطماطم ، وهو لا يؤمن بامكانية ان يكون للنباتات مشاعر واحاسيس مثلما يؤمن اصحاب المدرسة التى تطالب بان يتحدث الانسان الى نباتاته لكنه يعتقد بامكانية التوصل الى بعض الاشارات التى تتولد خلال مراحل نمو النباتات وقد توسع جنسلر وهو مهندس كهربائى فى تجاربه فوضع اسلاكاً داخل الاشجار ونباتات القطن مما ينمو فى ولاية اريزونا . وتتصل هذه الاسلاك فى النهاية بصندوق مركزى يتم داخله قراءة الاشارات الآتية من النباتات كل ١٥ دقيقة كما تسجل ايضاً بعض الظروف الخارجية مثل درجة حرارة الجو ، ثم يتم بعد ذلك نقل هذه المعلومات عبر جهاز ارسال مكتب جنسلر .

ويقول جنسلر بانه توصل الى معلومات ستكون مفيدة للغاية للمزارعين حيث وجد مثلا ان نبات القطن يبدى استجابة واضحة بالنسبة لموعد ريه كما انه عن طريق هذه الاشارات يمكن تحديد افضل وقت للحصاد .

ومازالت تجارب جنسلر فى بدايتها لكنها تحمل امكانيات عظيمة لدرجة ان حصل على معونات مادية للاستمرار فى تجاربه ليس فقط من المزارعين المحليين ولكن ايضا من وزارة الداخلية الامريكية . ومن يدرى فقد يقف النبات فى المستقبل امام شاشة الكترونية ليحدد احتياجاته من الرى والوقت الذى يجب فيه حصاده .

رضا ابراهيم محمد سيد
ج . م . ع

قصيدة فى بيت

يمتاز الشعر العربى بانه يحوى ابياتاً كثيرة ، كل بيت فيها يعادل قصيدة .. ابياتاً تجرى مجرى الحكمة ، وتصلح لضرب المثل او للتعريض او للنصيحة الخفيفة ، ويود كل عربى مثقف ان يحفظها ليزيد بها ثقافته . واخترت هذه من القصائد الشهيرة :

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالباً
فانك لا تدرى متى انت راغب
(ابو الأسود الدؤلى)

ولاتجلس الى اهل الدنايا
فان خلائق السفهاء تعدى
(ابو العلاء)

ولا ذكرت جميلا من صنائعها
إلا بكيت ولا ود بلا سبب
(المتنبى)

عبد القادر ديرى
سورية ـ حلب ص.ب ١٥٧

الحب في زماننا

للشاعرة : وفاء وجدى



(١)

ابحث فيك عن حقيقتى
لكنك السراب
اعيش فيك رحلة اغتراب
وحين ابتغى الرجوع
لا املك الرجوع
من رحلة العذاب

(٢)

لم تعرف الحب كما عرفته
لم تعرف الحياة
لم تلتقط سوى قشورها
ما اسقطته الريح فى يديك
لكن جوهر الحياة لم يمت
والحب لم يمت
ما مات إلا قلبك الذى
لم يعرف الحب كما عرفته
لم يعرف الحياة

(٣)

رحلت ما خلفت فى طريقك الوهمى
إلا نعيق البوم والغراب
يحجل فى حديقة الأحزان
ينعى إلى الزمان
ما كنت قلته فى الحب والحنان

(٤)

رويت لى وكم رويت من احاديث الهوى
سهرت كم سهرت ترضع الأسى
وتلعق الجراح
وحينما جمعت من حديقتى
زهر الهوى الفواح
اغسل من رحيقه جراحك المريرة
رحلت بعد ان شفيت فى وقت الظهيرة

(٥)

هل قلت لن تعود يا حبيب ؟ لا
ما قلت غير معسول الكلام
صدقت كل ما رويتــه
لاننى لم أعرف الكذب
لم اعرف الهوان

(٦)

احجل كما تشاء يا صديق الذكريات والهوى
بالأمس كان ها هنا حبيب
واليوم غاب
فاحجل كما شئت هنا
فاننـــا
انا وانت ها هنا
صرنا صديقين فلا
لوم علينا يا غراب
امسح ريشك الحزين ليس لى
سوى حكايــة كتبتها بادمعى
ـ وكنت انت شاهدى ـ
فى لوحة يباب .

(٧)

اعرف فيك كل ما مضى من السنين
يومى وما اعيشه ـ لو عشت ـ فى غدى
اعرف فيك كل ما احببت من جمال
اعرف فيك نضج موسمى
خلاصة الحياة فى دمى
اعرف فيك جوهرى ..
ومسكنى
ونبع إلهامى الذى تطمسه
عواصف الرحيل .

(٨)

كذبت حين قلت يا حبيب أن ما مضى سراب
كان السراب انت بينما
الهث خلف قطرة
لا ارتوى إلا من العذاب
إن كنت من خيالاتى التى رسمتها
بريشة الحب على السحاب
فما تكون يا ترى حقيقتى
من بعد ما افيق من غيابة الضباب

(٩)

الحب فى زماننا مسافر غريب
تلفظه الأوطان ..
تطحنه الدروب
وتصفق الأبواب حينما تراه
مستجدياً للأمن فى مجاهل القلوب
قلبى عليك يا غريب
تسير تلعق الذنوب
تهان كم تهان فى زماننا
وتطلب الأمان فى ديارنا
ولا مجيب .. لا مجيب

(١٠)

الحب فى زماننا غريب
رحلته إلى قلوبنا اغتراب
كما يطوف الأنبياء طاف فى زماننا
ومنذ اولينا عهدنا
سرنا كما يسير فى طريق الاغتراب
حقيقة تبحث عن حقيقة
وربما سراب
يبحث عن سراب

وفاء وجدى

عبد المنعم الجداوى

الصياد يحاصر الغزالة

لماذا العنف ، والقسوة ، والوحشية فى أيام المماليك ؟!

هل هو الخوف الذى يلف كل شىء ؟ هل هو عدم الاستقرار ؟ هل هو الفشل فى ادراك أسرار المرحلة ، ودهاليزها ، ومزالقها ؟ هل هو ضغط القمة ، التى تضغط كالآلة العمياء ، ذات الألف ذراع ، ولكل ذراع الف اصبع ؟ هل غياب القمة كعقل ، وحضورها كبطش ممثل فى اصغر الاصابع ، هو الذى جعل العنف الأسلوب الأمثل للحياة ، يضغط الكبير على الصغير حتى يسحقه ، ويتحين الصغير الفرصة للوثوب على الكبير ليطحنه ؟..

ربما كان كل ذلك وراء تصرفات المماليك المجنونة ، فلا امان ولا أمن ، ولا قواعد مكتوبة أو حتى متعارف عليها للحكم ، إنها القوة وحدها ، والقدرة على استقطاب اكبر عدد من الأتباع والفرسان الذين لا تساندهم حكمة تحد من شراستهم ، وتعتقل جموحهم ، وتصحح مسارهم حتى لايصبحوا مجرد قوة بطش وجبروت !

ورغم هذه المنابع الموحدة للبطش ، إلا أن الأساليب كانت تتميز باختلاف الأشخاص ، تمشياً مع سير حياتهم ، وما تعرضوا له من أزمات ، ومعاناة ، والطريقة التى جيء بهم بها الى القاهرة ، والذكريات المبعثرة فى ضمائرهم عن حياتهم الأولى ، قبل أن يخطفوا ويباعوا

● هل كانت الذكريات المبعثرة فى أعماق المماليك هى سر العنف والقسوة والوحشية ؟





اطفالا ليدربوا على أعمال الفروسية ، والقتال ، ويحال بينهم وبين ماضيهم ، فى تعسف لاقصائهم إقصاء كاملا عن المنبع الذى جاءوا منه عاطفياً ووجدانياً ومادياً ، فيكبرون على الولاء لسيدهم أو أستاذهم كما كانوا يطلقون على صاحب المماليك ، الذى هو فى ذات الوقت واحد منهم لكنه تدرج فى الوظائف ، أو وثب الى الصدارة ! والغريب أنه عندما كان يموت الاستاذ يرثه تلميذه الأول فى كل ما ترك حتى فى زوجاته ، دون أولاده ، الا اذا كان قد أوصى لاحدهم ببعض الأبناء . فقد كانوا يرون أن صلة المملوك باستاذه المملوك أوثق وأقرب من صلة المملوك بابنه !

عدم الانتماء

قد يكون من هنا تمركز فيهم العنف والقسوة ، انعكاساً للأهوال التى لاقوها اطفالا ، حين الخطف ، وحين القيود ،

● **كيف ماتت فاطمة هانم .. وماسر انتحارها بعد رحلة من العذاب الدامى ؟!**



الصياد يحاصر الغزالة

وحين السجن ، والبيع .. ثم الشعور عند الكبر انهم بلا جذور ..وبلا أهل حقيقيين .. حتى انجابهم للأولاد والبنات لم يكن يعوضهم عن ذلك .. أو يزرع فى صدورهم الشعور بالانتماء !

وما كان استكثارهم من المماليك ، والجوارى الا دفاعاً من أعماقهم ضد الضياع الذى يشعرون به .. وما كانت المظاهر الفخمة ، والتظاهر بالاستعلاء إلا غطاء لما يقبع فى جوانحهم من هوان !

وكان ذلك النقص المستتر ، يدفعهم الى المبالغة فى حب مصر ، وتملك مصر .. المبالغة التى تصل الى ضدها ، فقد كان بعضهم يكره الشعب المصرى من كل قلبه ، ويرى انه لايستحق ان يكون فوق هذه الأرض التى يشقها النيل ، وكانوا يطلقون على انفسهم المماليك المصرية تمييزاً لهم عن المماليك الاتراك أو الشوام

ومن خلال قصة «فاطمة هانم بنت رضوان بك» .. أستطيع أن اضع أصبع القارىء على بعض خصال المماليك الغريبة التى أراد بها الجبرتى أن يفسر لنا ظاهرة العنف والقسوة عند المماليك ..

الأذن الصماء

... القت نظرة على ما حولها .. حاولت أن تكون شامخة .. لا يجب أن يرى الناس منها الا قوتها .. سطوتها .. عزة ابنة رضوان كتخدا الأستاذ لمئات المماليك .. الذين يجرون حول حصانه اذا ركب فى احتفال .. أو ذهب الى القلعة ..

الف طعنة وطعنة وجهتها لها الأيام .. لكن لابد أن تصمد .. صبرت طويلا .. حتى اذهلت كل من حولها ..

كانت تحاول أن تصمد وتصمت فى وقت واحد .. أن تجعل من آلامها بسمات وان تذيب احزانها فى اللامبالاة .. وتشغل جروحها بالذكرى وتخلطها بهموم الآخرين .. تحتضن محنتها .. تدفعها عن جبهتها .. حتى يظل جبينها موطن اشراق .. فقد كان أكثر ما تخشاه نظرة اشفاق ، قد تطوى شماتة مستترة !

ارسلت آهة من الأعماق .. هبت جاريتها التى تجلس عند قدميها تحت الأريكة : سلمت من الآهات والأنين ياسيدتى .

أرخت فاطمة أهدابها الطويلة على عينيها الواسعتين ، وتركت بصرها يتسلل الى غزالة «محنطة» تقف فى أقصى القاعة .. فوق قاعدة من الفضة .. حملقت فى عينى «الغزالة» كانها تراها لأول مرة !

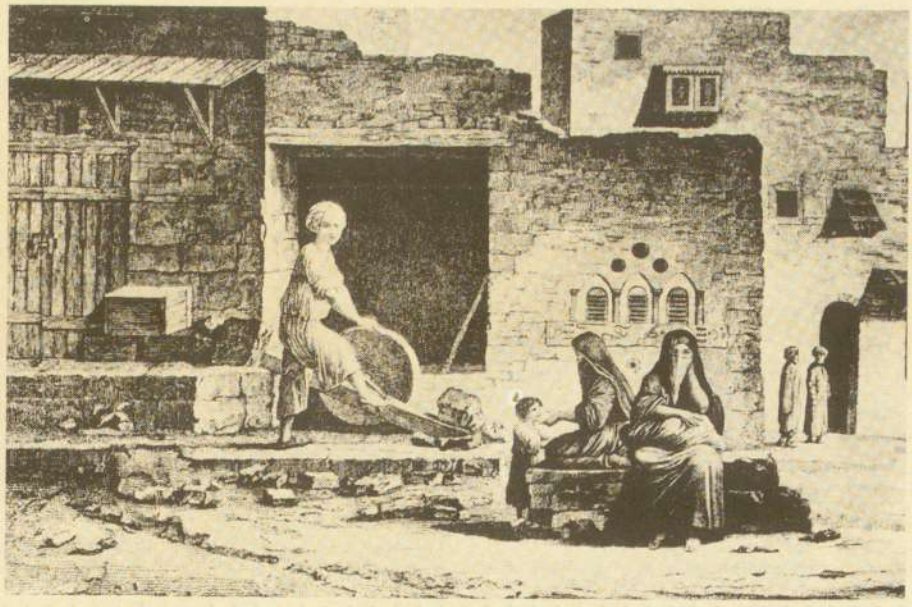
ليتها تستعير هذه النظرة الميتة .. الساكنة .. التى ماتت الأسئلة فيها على الحدقتين .. ورغم الموات التى هى فيه ، إلا أن البعث يرقد بارزاً ، الى جانب الموت .. هى فى حاجة الى مثل هذه النظرة ، حتى لاتشى بها الأحزان التى تشوى أعماقها !

زوبعة الخلاف

لقد شهدت هذه القاعة أحلى أيامها ولياليها ، وها هى تشهد أحلكها وأقساها .. شهدت عقد قرانها على «على آغا» الذى عينه والدها «رضوان بك» فى وظيفة "سنجق" وامتلأت يومها الدار بالمماليك وعلية القوم !

كان والدها فى صدر السلطة ، ولذا حضر الحفل «على بك الكبير» و «محمد بك أبو الدهب» ، ونثرت الدنانير الذهبية على الرؤوس ، وضاقت الدار بالهدايا التى جاد بها التجار ، والأعيان .. وحمل اليها تجار الصاغة طربوشاً من رقائق الذهب !

وقبل أن يتم الزفاف بايام وقعت الواقعة .. هبت زوبعة الخلاف بين «على بك» و «أبو الدهب» ، وانقض هذا على ذاك ، وبطش المماليك ببعضهم البعض ، وفر «رضوان بك» والدها ، ومعه «على آغا» سنجقه الى بغداد ، تاركا خلفه كل حريمه ، وأهله ، وحوصر القصر بجاويشية «ابو الدهب» ، وهموا بنهبه أسوة ببقية القصور التى فر أصحابها ، لكنها تصدت لهم ، وواجهت كبيرهم ، وهددته بإنه قد يدفع رأسه ثمناً لأى خطأ يقع من رجاله ، فقد حصلت على الأمان من «محمد أبو الدهب» ، ولم تكن راته أو تحدثت اليه ، الا فى حفل عقد قرانها .. وتراجع كبير الباشجاويشية ، وظل يحرس القصر من موجات الفوضويين .. حتى أقبل الليل .. فلما دخل يستاذنها فى الانصراف .. أمرت لهم بالعشاء ،



● لم تكن تلك الأحاسيس التى تعتصر قلبه بخافية على ذكاء مثل ذكائها الوقاد !

وبعشرة أكياس من الدنانير له ولرجاله ، فظل فى الحراسة حتى الصباح ..

وحينما علم «أبو الدهب» بالقصة ، أعجب بذكائها ، وصدق على روايتها .. الا أن هموم الحكم شغلته .. فقد خلا له الجو ، وأصبح شيخ البلد بلا منازع ، فنسي القصة وصاحبتها ، الى ان برز بين يديه من مماليكه «اسماعيل آغا» الذى راح يتتبع أعداء استاذه ، ويوقع بهم الواحد بعد الآخر ، الى ان انتهى به الأمر الى اكبر منصب فى البلد بعد المشيخة ، فنودى به «كتخدا» اى الوزير الذى يحرك العسكر من كل الاجناس ، وتدين له جاويشية البلد ، وقادة الجنود

عاشق الذكاء

وفوجىء أبو الدهب يوما برسول قادم من «بغداد» .. من عند «رضوان بك» ، و «على آغا» يحمل عشرة آلاف دينار ، وعدة قناطير من البن ، والسكر ، والاقمشة كمهر «لفاطمة هانم» ، حتى يسمح لها بالسفر الى بغداد ، لتزف الى عريسها !

هنا فقط تذكر «أبو الدهب» القصة ، واسترجع فى خياله . ذكاء وفطنة هذه الانسانة التى لايجب ان تخرج من مصر فاجتمع بالمشايخ الذين حضروا عقدها ، وقال لهم إنه لا يريد أن يرسلها الى بغداد ، لأن الزوج الذى تركها وفر لايليق بها ، ولا يستحقها .. ولوانه جاء يطلبها بنفسه لما حجبها عنه ، لكن ان يظل هناك ، ويرسل فى طلبها وهى على هذا الجمال والذكاء ، فانه يرى ان فى ذلك إهانة ما بعدها إهانة .. وافتى مفتى المالكية ان من حق ولى الأمر أن يفسخ عقد القران لعدم التكافؤ ، فعاد الرسول الى بغداد ، ليقول لمن ارسله إن فاطمة هانم طلقت منه !

وذهب اليها «محمد أبو الدهب» .. جاء الى هذه القاعة ، وبرزت اليه من خلف التل «الدانتيلا» الأبيض ، فلما أبلغها انه فعل كذا وكذا من اجلها فما قولها؟ اجابت بجنان ثابت : لقد صدقت على قولى الذى قلته عنك .. وهو ضد مصلحتك ـ افلا أصدق على قولك فى ـ وهو فى مصلحتى ؟!



واردفت قائلة :

● لو أن الرسول جاءنى ما قلت له غير الذى قلته ، وإنى لأشكر لك اهتمامك بى ، وحرصك على كرامتى .. وإذا لم يرع الوالى الكرامات فمن يرعاها ؟!

اذهل الرد «أبو الدهب» ، ولولا ان له اربع زوجات لتزوجها ، فهو لا يرضى لها أن تكون محظية أو من السرارى ، وتمنى لو انه استطاع أن يقول لها ذلك ، غير انه خشي أن يجرحها او يخدش مشاعرها !

فجأة وهو يبحث عن كلام يختم به حديثه .. تذكر أن وزيره «اسماعيل بك الصغير» وكتخداه غير متزوج .. فقال لها .. إنه يخطبها اذا قبلت لوزير مصر وتلميذه ، وله عنده منزلة الابن ..!

فقالت انها تسال الله ان يطيل عمره .. حتى تنتهى أيام خروجها من القصر القديم .. ثم هى بعدها واحدة من رعاياه .. يرى فيها ما يراه .. !!

لم تكن تلك الأحاسيس التى تعتصر قلبه .. لتخفى على ذكاء مثل ذكائها ، وكان بوسعها لو أرادت ، ان ترفع رموشها فترميه فى أعماقه .. ثم تسحبها فاذا بدماء قلبه تسيل حتى تصبغ ملابسه ، فيجثو على ركبتيه ويسالها أن تتزوجه هو .. لا وزيره .. لكنها لحظتها لن تكون «فاطمة هانم رضوان» التى عاشتها .. «فاطمة» التى رقصت القاهرة يوم عقد قرانها ، ولن تكون جديرة بان تصدر أوامرها الى كبير الباشجاويشية .. فيصدع به ، ويخالف امر «أبو الدهب» .. إن فعلتها فما كان يمكن ان تكون جديرة بذاتها !!

هى فوق الجميع

هى تعرف انه لا يعبا فى تحقيق اهدافه بأى شىء .. لكنه نشأ مدللا .. أعطاه «على بك الكبير» كل شىء ، وهيأ له كل أمر . دون مماليك مصر .. كان لايحمل فى جيبه الا الذهب .. تجرى وراءه كل الدنيا .. ولا يجرى هو خلف اى شىء .. اعتاد أن تاتيه الدنيا طائعة .. فكيف يسعى اليها وهو يطلبها ..؟ اليس فى طلبها لوزيره رمزية يختفى خلفها ، حتى اذا رفضت تكون قد رفضت وزيره ، واذا قبلت كان له معها شان آخر !

وهرع يخرج كانه يفر من خطر .. خطواته الثابتة لم تعد هى .. لو بقى ليراها من خلف «التل» الأبيض .. ذلك القوام الرائع ، والتكوين البديع . ولو انها رفعت وجهها وعاجلته بنظرة من عينيها ، وزحفت عليه بشخصيتها .. لسقطت مشيخة البلد التى كان لا يجرؤ على أن يحلم بها «رضوان بك» لعبة فى يد ابنته !

هنيئا لك بها يا اسماعيل بك .. همس بها لنفسه .. عند باب القصر ، وهو يهم بركوب حصانه الذى امسك به الخدم .. كان يتكلم مع نفسه .. لو انها ابدت نحونا عطفا .. لأوليناها عطفنا .. اما نحن فلا يجب أن نبدأ .. قال ذلك في شىء اشبه بالهمسات .. ومضى !

ظلت ساعات تفكر .. فى النهاية اقتنعت بما فعلت .. فهى عنيدة شامخة .. ترى انها فوق الجميع .. وابو الدهب له نفس الأخلاق .. لهذا لم يلتقيا .. من المؤكد أن وزيره يختلف عنه .. لو كان مثله ما استوزره .. لهذا تشعر انها سوف تكون سعيدة .. لأن كلمتها سوف تكون العليا !

وبدأت تصلها أخبار «اسماعيل بك» .. انه قرة عين «أبو الدهب» .. دموى .. قاتل .. مثله فى ذلك مثل بقية المماليك .. لكنه رائع الطلعة .. جميل التقاطيع .. باهى اللحية .. لبق الحديث .. كان أبو الدهب يختاره ليكون رسوله الى الآخرين .. واسع الحيلة .. داهية فى التفكير .. لو سارت الأمور فى مجراها الطبيعى ، لتولى مشيخة البلد بعد استاذه .. إن لم يكن بالحيلة فبالقوة !

الصياد يحاصر الغزاله



أنا لا أبكى

وانتهت أيام العدة ، وكان ابو الدهب قد حدث «اسماعيل بك» عنها ، فجن جنونه ، وارسل اليها فلم ترده ، واقيم الحفل بعد تنفيذ شرطها الوحيد بان تظل فى قصر والدها .

وشهدت القاعة للمرة الثانية اعظم فرح اقيم فى القاهرة !

ظل «المشاعلية» يحملون الشعلات حول القصر حتى اذن الفجر .. ووزع على الفقراء مائة قنطار من الحنة ، والف قنطار سكر ، ونبح ثلاثمائة عجل ، وثمانمائة خروف ، وعاشت منطقة «الازبكية» ثلاث ليال من ليالى الف ليلة وليلة !

وعلا ذكر «اسماعيل بك» ، وجرى اسمه على كل لسان ، واحست «فاطمة هانم» انها تشترى سعادتها بايام التعاسة ، وليالى الخوف الطويلة التى عاشتها بعد فرار والدها .. عملت على دعم مركز زوجها، وتوطيد اسمه ، فقد كانت ذات نشاط ضخم .. تهدى عظيم الهدايا فى المناسبات والاعياد ، وتكسو مئات الفقراء إذا اقبل رمضان ، وتطعم الآلاف فى عيد الأضحى .. باسم «اسماعيل بك الصغير» كتخدا مصر !

جعلت من ايامها معه الحانا ، تعزفها من ذاتها لذاتها ، تنشده حبا صباح مساء .. لو انه لم يكن اصم العواطف .. لتحول الى شاعر رقيق الأحاسيس .. يرى فى النجوم معزوفه ، ويرى فى الوردة عين الشمس .. لكنه تشغله أمور الحكم ، وتاخذه من نفسه محاذير المؤامرات .. لا يلتفت الى شذى الزهرة الفواح التى حبست نفسها من اجله !

أرسلت تنهيدة عميقة .. وشقت عينها دمعة .. مضت وهى لاهية عنها .. حتى سقطت على يد الجارية .. ففزعت مرة اخرى ألما .. قالت الجارية .. فداك روحى يا سيدتى .. اتبكين .. ؟

اجفلت «فاطمة» كانها ضبطت فى عار .. صاحت فى لهفة .. عينى توجعنى فتدمع .. انالا ابكى .. انا لا ابكى .. !

تركتها الجارية ، وانصرفت .. كانت تعرف انها تانف أن يرى الآخرون دموعها .. لكنها كانت تبكى ، وداخلها كان يبكى اضعاف خارجها ..!

فرغم انه لم يمض على زواجها منه اكثر من عامين ، الا انه يفكر منذ اسابيع فى الزواج من ارملة اخيه الذى مات عنها .. وقد كانت قبل زواجها من شقيقه محظية «لرضوان بك» والد «فاطمة» ..





وعلمت أن «محمد ابو الدهب» حاول أن يثنيه عن ذلك ، وقال له ان ذلك قد يؤذى مشاعر «فاطمة هانم» ، الا انه لم يصدع بالأمر ، واصر على بلوغ اهدافه ، وخطب الأرملة فوافقت .. فلما اقبل ينقل الخبر اليها ، تلقته ببرود كلفها كل اعصابها .. قالت له :

ـ تسالنى إن كان ذلك يغضبنى أم لا .. يجب ان تعلم اننى تزوجتك صدقة عن نفسى ، وزكاة عن حماتى .. والمتصدق لايندم .. اذهب فتزوج كما تريد .. بمن تريد .. لكن لاتدخل بها قصرى .. فقد كانت هنا «محظية» مكانها مع الجوارى !

أزمة الغزالة

وبدات الحرب بينهما فى صمت .. هى ترى انه لا معركة ، وانه اتفه من ان يكون خصما لها .. تقتله باحتقارها له .. تلقاه بازدراء يقض مضجعه ، وتشبعه باشمئزاز يربكه فى طوال يومه !

وذات يوم فوجئت بجاريتها .. تدخل عليها باكية ، وتطلب منها ان تحمى عنقها من الذبح ، فلما سالتها عن السبب اخرجت الجارية من صدرها ورقة بها مسحوق ابيض .. قالت ان سيدها «اسماعيل بك» ، وعدها ان يعتقها إذا دست هذا لها فى الطعام ، لكنها لاتستطيع ان تقدم على هذا الجرم .. وإذا علم سيدها انها ابلغتها بالمؤامرة فلن يتردد فى قتلها !

مدت يدها فى هدوء واخذت السم من الجارية .. قالت لها .. قولى له انك اديت المهمة ، وطالبيه بالثمن !

وبعد ايام .. ماتت «فاطمة هانم رضوان» .. ولم يعرف احد كيف ماتت ! الذى كشف سر انتحارها ..جاريتها الخاصة .. قالت إنها سالتها يوماً ما .. ماذا تفعل الغزالة حينما يحاصرها اكثر من صياد ، وتدرك انها مقتولة لا محالة ؟ قالت لها : تموت انتحاراً .. تقفز من على الصخور .. أو تموت من الجرى !

قالت الجارية .. ان سيدتها لمعت اساريرها وومض بريق فى عينيها عندما قلت ذلك .. وهتفت : هذا هو الحل !

وعانقت إحباطها لا عجزاً ولا قهراً ، وإنما اعتزازاً بنبل محاولاتها فى اجتيازه حتى لا يذهب اسمى ايام نضالها بلا مقابل .. خاصة بعد ان وجدت ان الحياة لا تستحق ان نقدم من اجلها ادنى التنازلات حتى لا نضعف ولا نتنازل عن هذا الكنز الثمين الذى نقتنيه فى اعماقنا والذى نسميه فى اغلب الأحوال : الكرامة !

عبد المنعم الجداوى

حافظ أحمد أمين

مسرح العبث واللامعقول لا يناسب العرب

المسرح الجاد ، في عصر ما ، وفي وطن ما ، يصور الازمات الحادة التي يحس بها المواطنون في ذلك العصر احساسا قويا عميقا • كان المسرح العربي الجاد – مثلا – يهاجم الاستعمار عندما كان احساس العرب به احساسا جماعيا عنيفا • وقد كانت أول مسرحية لتوفيق الحكيم عام ١٩١٩ (الضيف الثقيل) تعريضا بالاستعمار مثل (العشرة الطيبة) و (شهرزاد) •••• الخ •

فلما أخفى الاستعمار نفسه وراء حكام من أهل البلاد يأتمرون بأمره ، انتقلت الازمة من أزمة احساس بالمستعمر الى أزمة احساس بالظلم الاجتماعي ، فلما قامت الثورات في الوطن العربي ، وسمحت للمسرح أن يعبر عن هذا الظلم ، تركز الصراع في المسرحيات الجادة حول الصراع الطبقي • فلما انتقلت الازمة مرة ثانية من أزمة احساس بالظلم الاجتماعي ، الى أزمة فساد سياسي ، انتقل توفيق الحكيم من (الصفقة) الى (السلطان الحائر) وانتقل يوسف ادريس من (ملك القطن) الى (المخططين) •• وهكذا •

ومؤلفو المسرح الجاد هم – عادة – أشد الناس احساسا بالازمات الحادة لدى مواطنيهم وأقدر الناس على التعبير عنها بعمق وصدق كبيرين ، ولهذا نرى بعض المؤلفين المسرحيين الناجحين يتوقفون تماما عن الكتابة اذا ما تغيرت الازمات الحادة الى أزمات من نوع آخر ، وذلك لعدم احساسهم بالازمات الجديدة بنفس العمق والقوة •

الغضب والاحتجاج

ومسرح العبث واللامعقول – لا شك – مسرح المثقفين الاوروبيين في العصر الحديث ، لانه هو المسرح الذي يعبر عن أزمتهم الجديدة الحادة، وهي أزمة بدأت مظاهرها بعد الحرب العالمية الاولى ، الحرب التي فجرت في نفس الاوروبي مشاعر الغضب والاحتجاج ، ورفض النظم والقيم السائدة في ذلك الوقت ، حتى ظهرت فنون السريالية والدادية ومسرح الاحتجاج •

بلغت مصائب الحرب العالمية الاولى حدا جعل الانسان الاوروبي المثقف يكفر بالدين والكنيسة ويثور على القيم والمباديء السائدة ، ولكن سرعان ما حل الايمان الشديد بالعلم وتطبيقاته محل الكفر بالدين ، وحلت الآمال العريضة بالتكنولوجيا محل الغضب والاحتجاج ، وتوقع الناس أن يبلغوا السعادة الكاملة اذا ما نجح العلم في القضاء على الفقر والجهل والمرض ، أسباب البؤس والشقاء في ذلك الوقت •

ولم يمض وقت طويل حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ، كانت آلامها ومصائبها فوق درجة التصور ، فضاع الايمان بالعلم والتكنولوجيا كما ضاع من قبله الايمان بالاله وبالقدر ، وساد الكفر بالمنطق والتفكير بعد أن كان الكفر فقط بالانظمة والقوانين ، وانتشرت مشاعر اليأس والمرارة بعد أن سادت مشاعر السخط والغضب ، وجاء مؤلفون للمسرح تمتليء نفوسهم بأحاسيس الخيبة والضياع ، ونعرف عن حياتهم أنها كانت حياة يسودها الغربة والوحدة والانطواء ، جاءوا ليكتبوا كلاما يتقطر عذابا وشقاء ، وليعبروا عن قسوة الحياة وفظاعتها ، هذه الحياة التي أصبحت بلا معنى ولا غرض ، وعرضوا مسرحياتهم فأقبل عليها جمهور المثقفين اقبالا كبيرا ، اذ وجدوا فيها تصورا صادقا لمشاعرهم •

لا تفكير ولا منطق

والانسان – عادة – يميل الى وصف الحياة كلها بالصفة التي تصبغ حياته هو ، وينسى أن الحياة لها امتدادات في المكان والزمان • فان قاسي – مثلا – من أمه أو زوجته ، فالمرأة عنده جنس منحط ، وان شعر بالعزلة والوحدة ، فالحياة كلها قاسية ظالمة وان شعر بالضجر أو القلق ، فالحياة – على وجه العموم – رتيبة مملة ، وان شعر باليأس والخيبة ، فالحياة كلها عبث لا معنى لها ، وهذه كلها


سيد درويش


توفيق الحكيم


يوسف ادريس

- كُتَّاب المسرح الجاد هم أشد الناس إحساساً بالأزمات الحادة لمواطنيهم.
- الإنسان يميل إلى وصف الحياة كلها بالصفة التي تصبغ حياته هو.
- مسرح العبث يطالب جمهوره بعدم إعمال العقل لكي يمكن السيطرة عليهم.

أفكار. ومشاعر قد تربح صاحبها بعض الوقت ، لانها تساعده على الهرب من التفكير في مراجعة الماضي ومن النظر الى المستقبل ، ولانها تعفيه من البحث عن حقيقة الحياة في قيم وأوطان أخرى ، ولكن هذا الهرب والوهم ، وهذه الراحة الوقتية ، أمور خطيرة مفسدة ، تعطل أية محاولة للاصلاح والبناء ·

ان مسرح العبث يطالب جمهوره بعدم أعمال العقل ، حتى يستطيع أن يسيطر على المتفرجين كما يسيطر المنوم المغناطيسي على جمهوره حين يطلب منه الاستسلام التام وعدم بذل أية مقاومة ، ولعل سبب اقبال الجمهور على هذا المسرح هو أنه جمهور مجهد منهك ، لا يريد أعمال عقله ، فلا يطلب من العروض المسرحية الا كما يطلب من طقوس الرقي والتعزيم والذكر والسحر ·

لهذا فان الترجمة الامينة لمسرح العبث الى اللغة العربية ـ والى أية لغة أخرى ـ عملية محكوم عليها بالفشل ، لأن الترجمة الأمينة تعني تفكيرا منطقيا ، ومسرح اللامعقول يرفض أصلا التفكير والمنطق · كذلك فان التأليف على منواله محكوم عليه أيضا بالفشل ، لأن المتفرج العربي لم يبلغ به الكفر بالحياة بعد الدرجة التي بلغها الانسان الغربي ·

الضحك الاسود !

لقد كان لطول الفترة التي أمضاها الانسان الغربي الحديث في كفر بالله ، وايمان شديد بالعلم والتكنولوجيا ، أثرها في تقبل العلاقات الجديدة بين الناس ، تلك العلاقات التي صنعتها الآلة وحياة المدن الكبيرة بين أفراد الاسرة وبين مجموعات العمل ، وهي علاقات ـ وان زاد عددها واتسعت مجالاتها ـ لا عمق فيها ولا مشاركة ، فكانت وراء احساس الانسان بالوحدة القاتلة ، والغربة المميتة ، ومن هنا جاءت مسرحيات العبث لتصور أبطالها غير قادرين على التوافق مع من حولهم من الناس ، لا يستمعون الى من يتحدثون اليهم ، ولا يفهمون ما يقال لهم ، وذلك لفقدان الاهتمام والتعاطف ·

اننا نحيا ـ في حقيقة الامر ـ بمقدار ما نحيا في عقول ونفوس الآخرين ، فان عشنا لا نحس بالناس ولا يحسون بنا ، ولا نفكر فيهم ولا يفكرون فينا ، فقد حكمنا على أنفسنا بالموت ·

وهذا ما فعلته ـ فعلا ـ الحياة الجديدة بعلاقة الفرد بأسرته وبزملائه في العمل ، فقد حكمت التكنولوجيا على الانسان الحديث بأن يعيش منطويا على نفسه ، مستغرقا في ذاته ، علاقته بمن حوله علاقة سطحية هزيلة ، واتصالاته بهم اتصالات سريعة خاطفة ، وقد بالغت مسرحيات اللامعقول في تصوير مثل هذه العلاقات ، فجعلت الزوج لا يعرف زوجته ، وجعلت الحديث بين الصديقين لا يربطه منطق أو معنى ··· الخ · فجاءت المسرحيات أقرب الى الكوميديات الضاحكة ، ولكن الضحك فيها ضحك أسود ، لانه يعبر عن سخرية انسان متوتر ، يريد المؤلف أن يزيل التوتر عن طريق اقناع المتفرج بأن كل شيء زائف زائل ، حتى الثقافة والحضارة والكلام والمنطق ، كلها أمور باطلة ، عديمة النفع والجدوى ·

لقد أدى الايقاع الشرس لحياة الغربيين في المدن الكبيرة ، والسيطرة الكاملة للحكومات على هذه الحياة ، الى احساس الناس بضآلة شأنهم ، ولقد فهم المثقف الغربي أن التكنولوجيا المتقدمة هي التي تقف وراء كل هذا، وأنه لا يستطيع التراجع عن هذه التكنولوجيا بعد أن تذوق ثمارها ، كما لا تستطيع المومس أن ترجع عذراء طاهرة ·

ورغم الاوهام التي تدخلها الحكومات والمؤسسات الكبيرة في عقل الانسان الغربي ، بأنه حر ، له كل حقوق التعبير والاختيار ، فقد اكتشف المثقف الغربي أن هذه الحكومات والمؤسسات تسيطر على كل كبيرة وصغيرة في حياته ، وأنه لا أمل في تنازلها عن هذه السيطرة ، ومن هنا سادت مشاعر اليأس والاحباط ، وجاء مسرح العبث ليكسر الاوهام التي تزعم بأن الانسان ما زال حرا أو غير وحيد ، ولقد استخدم هذا المسرح ، أسلوب المبالغة والتهويل ليصدم الناس بالحقيقة المرة ، وهي أنهم غير أحرار وغير أحياء ·

لقد أدت سيطرة التكنولوجيا والحكومات والمؤسسات الكبيرة على حياة الانسان الغربي ، الى الكفر بالمعتقدات ، والعزلة القاتلة ، فكان مسرح العبث واللامعقول تصويرا صادقا لهذه الحياة ، وهو مسرح لا يمكن أن يقبله وجدان المثقف العربي ـ وان فهم سببه ودوافعه ـ ذلك لأن العربي ـ بطبيعته ـ انسان مؤمن : مؤمن بالله وبرحمته وعدالته، مؤمن بالحياة وعظمتها وخيراتها ، مؤمن بقيم التعاطف والتماسك بين الناس ، تنحصر آماله وأحلامه في الانتفاع بالعلم دون تقديسه ، واستخدام الآلة دون عبادتها ·

حافظ أحمد أمين

محمد ابو طالب

ماكبـــــــث

« بيتر أوتول » بين اللعنـــــة والغـــــرور

● رغم أن أوتول لم يمثل ماكبث من قبل، إلا أنه ليس غريبًا على مسرح شكسبير

في الأسبوع الأول من سبتمبر الماضى افتتح مسرح «أولدفيك» موسمه الأول برائعة شكسبير «ماكبث» حيث قام بالبطولة الممثل العالمى «بيتر أوتول» وأخرجها «بريان فوربس» صديقه القديم

والمعروف أن مسرح «أولدفيك» من أحب المسارح الى قلوب المشاهدين فى لندن نظراً لتاريخه القديم وارتباطه فى الأذهان بالأعمال الجادة وعلى وجه الخصوص أعمال ويليام شكسبير ، رغم أنه مرت به عدة تغيرات منذ أن افتتح عام ١٨١٨ تحت اسم «مسرح كوبرج الملكى» حيث لم تمض عدة سنوات حتى تغير اسمه الى «مسرح فيكتوريا» الذى صار فيما بعد «أولدفيك» .

وقد غلبت الميلودراما على انتاجه خلال الخمسين سنة الأولى وان كان يقدم بين الحين والآخر أعمالا لشكسبير لكن الطابع الخشن كان مسيطراً على وجه العموم مما جعل النقاد يصفون انتاجه فى ذلك الحين بأنه مناسب لجمهور يتميز بالصلافة والفجر .

فى عام ١٨٨٠ انتشلت «ايماكونز» هذا المسرح من مستواه المتدنى لتحوله الى مقهى وقاعة للموسيقى حيث كان يقدم المنوعات و «الكونشرتات» ، استمر ذلك حتى آلت الادارة الى «ليليان بايلس» بعد موت «ايما» عام ١٩١٢ .

تحت ادارة «ليليان بايلس» اكتسب المسرح شهرة عظيمة تخطت حدوده المحلية وبدأ انتاج الدراما وبشكل رئيسى أعمال شكسبير .

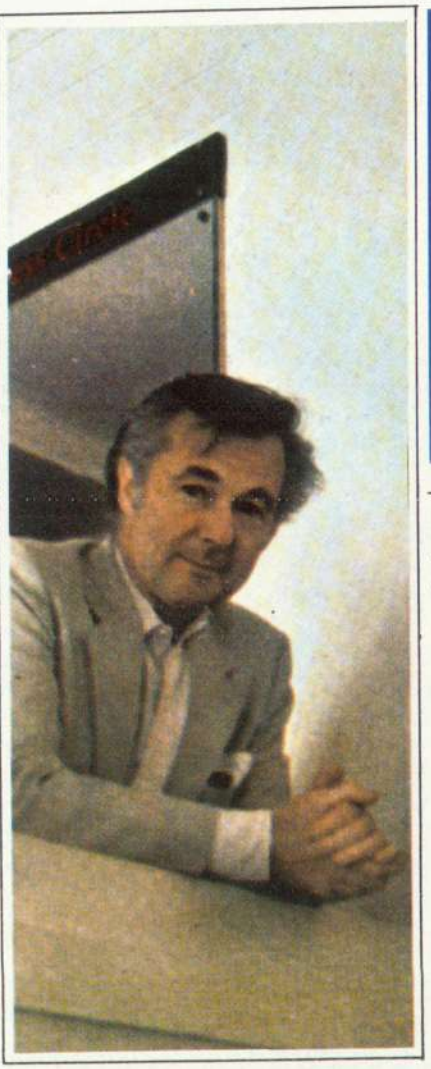
وجدير بالذكر أن المسرح تعرض للقصف عام ١٩٤٠ مما اضطر الفرقة للعمل على مسارح أخرى الى أن افتتح من جديد عام ١٩٥٠ .



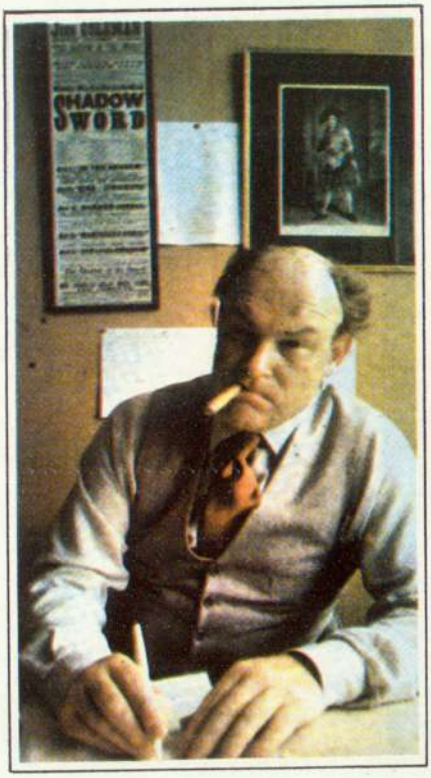
- بيتر أوتول

افتتحت المسرحية لتواجه بعاصفة من ضحكات الجمهور وازدراء النقاد.





– بريان فوربس مخرج المسرحية



– تيموثى ويست المدير الفنى لمسرح اولدفيك

بيتر اوتول

منذ عامين بدأ المسئولون عن مسرح «اولدفيك» التفاوض مع الممثل العالمى المعروف «بيتر أوتول» وكان الاعتقاد أن اسم النجم وشهرته قد يزيد من اقبال الجمهور ويضفى مذاقاً جديداً على انتاج المسرح .

ورغم أن «أوتول» لم يمثل «ماكبث» من قبل الا أنه ليس غريباً على مسرح شكسبير فقد مثل «شايلوك» منذ عشرين عاماً كما أدى دور «هاملت» فى أول انتاج للمسرح الوطنى ، وارتبط عام ١٩٦٣ بمسرح «اولدفيك» بعد أن مثل «لورانس العرب» وقبل أن يقوم بتمثيل عدة أفلام منها «كيف تسرق مليون دولار» تلك التى رشحته لأن يكون خليفة «كارى جرانت» بما كان يتسم به من الأناقة الشديدة والمكانة العظيمة فى قلوب المشاهدين .

والمعروف أن «أوتول» كان ناجحاً ولامعاً فى أدواره التاريخية التى مثلها فى السينما مثل دور «هنرى الثانى» فى «بيكيت» على سبيل المثال .

«ماكبث» و «أوتول»

منذ ثلاث سنوات عندما أعجب «أوتول» بالممثل الانجليزى «مايك جويلايم» وهو يمثل «ماكبث» فى بريستول تولدت لديه الرغبة فى تمثيل الدور رغم الهواجس الكثيرة التى تدور حول المسرحية ، حيث ينظر اليها الممثلون نظرة تكاد تخلو من التفاؤل لكثرة المصادفات غير السعيدة التى تصاحب عرضها ، حتى أن «سير جون جيلجود» قرر أن هناك شيئاً ما عندما مات ثلاثة أشخاص أثناء تمثيله المسرحية عام ١٩٤٢ ، و «بيتر أوتول» نفسه فشلت زيجته من «سيان فيليبس» واصطدمت سيارته بجرف صخرى بمجرد بدء التفاوض بخصوص المسرحية .

الجمهور والنقاد

يبدو كما قال «سير جون جيلجود» أن هناك شيئاً ما غير معروف بخصوص هذه المسرحية فبالرغم من الدعايات المكثفة والتحقيقات الصحفية وأحاديث التليفزيون والاذاعة التى سبقت العرض ورغم الأمل الكبير الذى احتشد به محبو «أوتول» وعشاق شكسبير ، جاءت الليلة الأولى لعرض المسرحية بما لا تشتهى السفن .

افتتحت الستارةالوردية مساء الثالث من سبتمبر الماضى لتواجه بعاصفة من ضحكات الجمهور وازدراء النقاد ، ورغم أن الاطراء الوحيد كان فى جريدة «ديلى تلجراف» إلا أنه جاء ضعيفاً وتحت عنوان «أوتول وفقدان الذوق السليم» ، أما فى «الجارديان» فقد كان الهجوم عنيفاً حيث وصف «مايكل بلنجتون» العرض بأنه مغامرة مخجلة ، وأخذ على «أوتول» عدم مقدرته على التنويع فى درجات صوته مما جعل القاء المقاطع جميعاً بصوت عال وعلى وتيرة واحدة كمدلو كان المشاهدون من صم الاسكيمو الذين لم يسمعوا أبداً بشكسبير على حد تعبيره ، كما أخذ عليه أيضاً عدم التفريق فى الاداء بين مناجاة النفس والكلام الواضح الصريح ، مضافاً الى ذلك فشل «اوتول» فى التمييز بين اشارات التهكم البسيطة وبين الضحك وبين التفكير الجاد .

ماكبث

« بيتر أوتول » بين المهنة والغرور

كان من رأي مدير مسرح أولدفيك أن أوتول رجل موهوب جلب لنفسه الغم والأسى بسبب الغرور

بيتر أوتول مع ثلاث ممثلات



وفى جريدة الفايننشال تايمز انتقده ناقدها الفنى لعدم قدرته على ابراز اى فارق بين «ماكبث» الشاب الطموح فى الفصل الأول و «ماكبث» منهك القوى فى نهاية المسرحية

اما «بيتر أوتول» عندما سئل عقب العرض كان كل ما استطاع قوله هو ان المسرحية كانت مناسبة للجمهور وانه سيكون احسن فيما بعد ، وعندما طلب منه تفسير لضحكات الجمهور افاد بان الجمهور لم يضحك بما فيه الكفاية حيث لم يستوعب النكات لان المسرحية حسب رؤيته غاية فى الطرافة وتحوى كما هائلا من التهكم .

ومن ناحية اخرى كان المدير الفنى لمسرح «اولدفيك» « تيموزى ويست» يحاول بقدر ما يستطيع ان يبعد نفسه عن تلك النهاية المحزنة ، وكان من رأيه أن «أوتول» رجل موهوب ، جلب لنفسه الغم والأسى بسبب الغرور حيث أصر على ان تكون له السيطرة الكلية على المسرحية متجاهلا النصيحة فى كيفية العرض وتمثيل الدور ، وقد عبر من خلال الاذاعة البريطانية عن اعتقاده بان «أوتول» لم يخلق علاقة جيدة بينه وبين الممثلين على خشبة المسرح مما أدى الى تعثر طاقم المسرحية بالكامل .

ووافق «ويست» النقاد فى آرائهم وارجع سبب الفشل الى ان «أوتول» و «بريان فوربس» مخرج المسرحية غير المتطور اثنان عملا معظم الوقت فى وسط آخر ولم يخطيا خطوة تامة فى الطريق الذى يتحرك عليه المسرح الكلاسيكى ، فكانا بعيدين كل البعد عن التطور الذى وصل اليه فى الوقت الحاضر مما حدا باحد النقاد إلى أن يصف العمل بانه أعاد الجمهور مئات السنين الى الخلف .

محمد ابو طالب

مرور ثلاثة قرون على انشاء الكوميدى فرانسيز

«بيت موليير» أو الكوميدى فرانسيز أقدم مسرح معاصر فى العالم مر على تاسيسه ثلاثة قرون منذ ان أصدر لويس الرابع عشر امراً ملكياً بذلك فى ٢٥ اغسطس عام ١٦٨٠ .

عندما كان «لويس الرابع عشر» فى زيارة لحصنه بالشمال علم بموت الممثل المشهور «لاتوريلييه» قائد الفرقة الملكية المتخصصة فى تمثيل تراجيديات راسين والتى كانت المنافس الأعظم لفرقة الملك الكوميدية بقيادة «موليير» المتوفى قبل ذلك بسبع سنوات .

تولدت الرغبة عند الملك فى أن يجتمع كل الممثلين الذين تحت رعايته فى مسرح واحد ليمثلوا الأعمال المسرحية الفرنسية ، فاصدر أمره المشهور والذى مازال محفوظاً فى أرشيف الكوميدى فرانسيز فى باريس .



نابليون



راسين

ويحتل الكوميدى فرانسيز الجناح الجنوبى الغربى من القصر الملكى «صالة ريشيليو» منذ عام ١٨٠٣ بعد أن أعيد تكوين الفرقة مرة أخرى بعد أن تفرقت أثناء الثورة الفرنسية وتكونت من عدد من الممثلين برئاسة «تالما» حيث أعانتها الدولة بالدعم المالى ونظمت بمقتضى «مرسوم موسكو» الذى أصدره نابليون عام ١٨١٢ .

ومن الطبيعى خلال تلك القرون الطويلة أن تمر بالمسرح ظروف واحداث كثيرة ومتباينة ، ففى عام ١٩٠٠ تعرض المسرح للحريق مما أدى إلى تدمير جزء كبير منه ، ورغم أن الفرقة تتكون من ٢٧ ممثلا إلا انه فى منتصف هذا القرن تضاعف هذا العدد ثلاث مرات بالاضافة الى طاقم الفنيين والاداريين .

ولكن رغم مرور ثلاثمائة عام وخمسة ملوك وامبراطورين وسبعة عشر رئيساً وخمس جمهوريات إلا أن الكوميدى فرانسيز ظل محتفظاً بكيانه وبريقه وإشعاعه ومكانته لدى محبى المسرح للمقدرة الفائقة على التغيير والتطور بما يواكب الزمن .

والحب له وجه ثالث

شعر: عبدالمنعم عواد يوسف

لا ، لم تكن أنت ..
أقسمت أنك لم تكونيها ..
لا لا ، ولم يك ملمح منك ..
أو لمسة فيها ..
الوجه غير الوجه ، كان الوجه بستانا ،
وهذا الوجه مسخ كالح ، أفعى يطل السم من فيها ..
لا ، لم تكن أنت ..
لا ، لم تكونيها

●●

لا ، لم تكن أنت
لا ، لم تكونيها ..
تلك التي قد أغلقت في وجهي البابا ، .
هذا الصباح ، وأدبرت عني ..
لا ، لم تكونيها ..
ان التي بالامس صافحني طيب الشذا فيها ..
كانت سحابة رحمة وندى ، كان الغمام رضى يوافيها ..
كانت رحيق منى يباركنا ..
كف النمو تطوف بالنبت ..
كانت ، فهل يتغير الانسان ؟ ،
قولي ، هل تغيرت ؟ ..
لا ، لم تكن أنت ..
لا ، لم تكونيها ..

●●

اني أسائل وجهك الامسى ،
وجها لم يزل في خاطري يحيا ..
في خاطري ، كالامس ، وجها رائقا نضرا ..
وجها يبث مشاعرا خضرا ..
أترى ضللت الدرب ،
يا من كنت حتى الامس
لي الازهار والعطرا ..
أوليس هذا الباب بابك ؟ ،
أم ترى
ضل الطريق اليك احساسي ؟ ..
العطر كان الامس يرشدني ،
يقود خطاي ،
كان العطر نبراسي ..
واليوم لا عطر يقود خطاي ،
جف العطر بالكاس ..
لا ، لم تكن أنت ..
لا ، لم تكونيها
اني ضللت الدرب ،
كان العطر منساتي ،
أجل كان الاريج اليك عكازى ..
من يرشد الاعمى سوى عكازه ،
وديبيب انفاسي ؟ ..
أترى ضللت الدرب ،
أم ضل الطريق اليك احساسي ؟ ..

• حواجز فى لمح البصر ، تلخص كل الخلل الذى أصاب حياة المواطن العادى

• المدينة تواصل دورها فى طبع الكتاب العربى رغم كل ما تعانيه من ظروف صعبة

• امتدادات الشوارع تتوقف فجأة .. ويصبح الانسان معرضا لرصاص القنص

مشاهد بيروتية

فى مدينة محصورة

بين الجبل والبحر والبارود



جمال الغيطانى

وصلت الى مطار بيروت الواقع بين الجبل والبحر ، الخضرة تكسو الجبل الذى تتسلل مرتفعاته حتى تحد الأفق ، عدد الطائرات فوق أرض المطار قليل ، بعكس ما رأيت عام ١٩٧٣ ، عندما جئت لأول مرة الى بيروت .

فى صالة المطار تبدو أولى ملامح الوضع الخاص ، المسدسات تبرز واضحة حول خصور رجال الأمن ، أولئك الذين يرتدون الملابس الرسمية ، أو المدنية ، أحدهم مديد القامة ، يطوف فى القاعة ، قاسى العينين ، فى نظراته حدة شرسة سوف أرصدهما كثيراً فيما بعد ، خاصة فى عيون المسلحين الذين يقفون عند النواصى ، وداخل الأكشاك المؤقتة ، وعند الحواجز ، انها النظرات التى تصلبت واكتست بقسوة من أتون الحرب ، عندما يواجه الانسان الانسان ، وتتفجر الكراهية الى أقصى مدى ، كراهية لحظة الاشتباك لحظة أن يركز الانسان كل كيانه من أجل افناء الآخر وابادته واذا ما استقر السلم زمنا فان هذه النظرة الحادة تشحب من العيون ، لكن بقائها حتى الآن يعنى أن الظروف لاتزال ملتهبة ، وان الحرب لم تتوار ..

فى الطريق من المطار الى المدينة عدة حواجز ، كلمة حاجز من الكلمات المرتبطة بالحرب الأهلية اللبنانية ، والتى ترددت كثيراً فى الأخبار والكتب والحكايات ، الحاجز الذى يقيمه المسلحون ، حواجز ثابتة للتأكد من شخصيات المارة ، وحواجز مفاجئة تقام فى لمح البصر لاحتجاز عدد من الرهائن ، أو لاختطاف عدد ما ، إما كعمل انتقامى ، أو للرد على طرف آخر ، فى أى مكان يمكن أن تقام الحواجز الطيارة ، وفى كل مكان ترى الحواجز الثابتة ، فى الحاجز يتلخص كل الخلل الذى اعترض الحياة العادية .

ملامح المدينة

.. من يعرف بيروت الماضى ، بيروت ماقبل الحرب ، يمكنه أن يدرك بسهولة التغيير ، البثور التى طفت فوق الوجه الجميل ، القروح التى أصابت الملامح ، عند زوايا الطرقات ، والنواحى ، تتجمع أكوام القمامة شىء عادى مع ضعف اجهزة الخدمات ، فوق واجهات المبانى الأنيقة ، تبدو أحياناً نقر احدثتها الشظايا ، تتزايد هذه الحفر وآثار القذائف كلما اقتربنا من المنطقة التى تفصل بيروت الشرقية عن بيروت الغربية ، فى منطقة الأسواق ، جاليرى سمعان ، وهذه الاسماء ترددت كثيراً فى الاذاعات خلال حرب السنتين ..



المشهد الحزين



انقسمت بيروت بالفعل ، وما أصعب أن تنقسم مدينة ، مدينة كانت تمثل وحدة واحدة ، يؤدى كل شارع منها الى الشارع الآخر ، الآن اصبحت الشوارع تنتهى فجاة ، امتداداتها تتوقف فجاة ، يصبح التقدم فيها مخاطرة ، يصبح الانسان معرضاً لرصاص القنص ، يوجد كوبرى علوى يخترق بيروت من أقصى نقطة فى الغرب ، وحتى الشرق ، انه غير مستخدم الآن ، الاستمرار فيه يعنى الاندفاع الى المخاطرة ، لكن هذا لايعنى أن الحركة قد توقفت تماماً ، إن أهالى الطرفين ينتقلون بين هذا القسم وذاك ، ولكن وفقاً لظروف معينة ، أما منطقة الأسواق فلم تهدأ بعد ، فى الليل جرى اشتباك استخدمت فيه المدفعية الثقيلة ،



• إرادة الحياة الفذة
تثير اعجاب أى انسان يعايش الحياة اللبنانية

• عندما يواجه الانسان
انسانا وتنفجر كراهية لحظة الاشتباك

• صديقى الذى التحق بصفوف المقاومة
عقب نكسة حزيران وقابلته بالصدفة !

من غرفتى فى الفندق الذى يقع فى منطقة الحمراءكنت اصغى الى الانفجارات .

إرادة الحياة

الموت هنا «بينما» ..

تسمع ان فلانا مات «بينما» كان يعبر الطريق ..او شخص مات «بينما» كان يقف الى جوار سيارة ملغومة ..

ونترك كلمة «بينما» لنجد ان المتاجر مزدانة باحدث انواع البضائع ، باعة الخضر عند النواصى ، الكرز يتصدر سلال الفاكهة ، الملاهى الليلية تغرق فى الأضواء ، دور السينما تعمل وفقاً للنظام العادى ، تنتهى آخر حفلاتها فى الثانية عشرة عند منتصف الليل ، السيارات تمرق عبر الطرقات طوال الليل ، السهر داخل البيوت وخارجها ، الحياة لم تتوقف ابداً ، تمضى فى شكلها العادى بل وتنمو تحت ظلال الخطر ، الحياة الثقافية تشهد الجديد ، مسرحيات جديدة ، دور نشر جديدة ، سيل من الكتب لاتزال المطابع تخرجه كل يوم ، بيروت تواصل دورها فى طبع الكتاب العربى ، مجلات جديدة تظهر

فى منطقة الحمراء خمسة دور سينما جديدة ، فى شارع كورنيش المزرعة خلاطات ضخمة تصب الاسمنت ، تخلطه بالزلط ، مبانى جديدة متعددة الطوابق ، فى منطقة الروشة كازينو ضخم ملاصق للبحر ،

حدث هذا كله بعد الحرب ، ارتفعت الجدران واضيفت الزخارف ، وانفقت ملايين الليرات ، مع أن أصحابها يعلمون جيداً أن هذا من الممكن أن يتبدد فى لحظة لو انفجرت سيارة ملغومة أو لو سقطت قذيفة ، أو دارت معركة لأى سبب من الأسباب . إن ارادة الحياة الفذة التى تتجلى لدى هذا الشعب العربى الصغير تثير اعجاب اى انسان يعايش الحياة اللبنانية ولو لأيام معدودة .

التصفيق على الطلقات

دفعات من طلقات الكلاشنكوف .

دفعات لاتتوقف طوال الليل او النهار تبدو اكثر وضوحاً فى الليل ، أصبحت شيئاً عادياً ، اكتسبت الأذان خبرة ، وقدرة على معرفة المصدر والاتجاه والهدف .

فى شرفة منزل الصديق الفنان حلمى التونى الليل يتقدم يوغل ، الجلسة تضم عدداً من الأصدقاء اللبنانيين والمصريين، طلال سلمان الصحفى اللبنانى البارز ، سليمان صبح المثقف السورى وصاحب دار «ابن رشد» للنشر ، والناقد الأدبى الفلسطينى «فيصل دراج» ، ومحمود احمد الصحفى المصرى ، الدكتور على مختار ، وعدد من الأصدقاء ، يتشعب الحديث ، وتسود حميمية ربما لا القاها الا فى السفر ، فى المنزل المقابل تلمع الأضواء فى احدى الشقق ، يبدو أن ثمة احتفالا عائليا ، ثمة تصفيق ، وغناء قديم للمطربة «لور دكاش» آمنت بالله . ثم ينتظم ايقاع التصفيق وتبدو امراة طويلة الشعر ترقص .

تحت فى الشارع تدوى طلقات مدفع سريع الطلقات ، تستمر دقائق ثم تتوقف فجاة .

على الطريقة اللبنانية

طلقات متتابعة ، مكثفة ، أبواق سيارات ، رتل متتابع ، احدى السيارات محاطة بالورود ، تدوى الطلقات ، طلقات مدافع ، ومسدسات ..

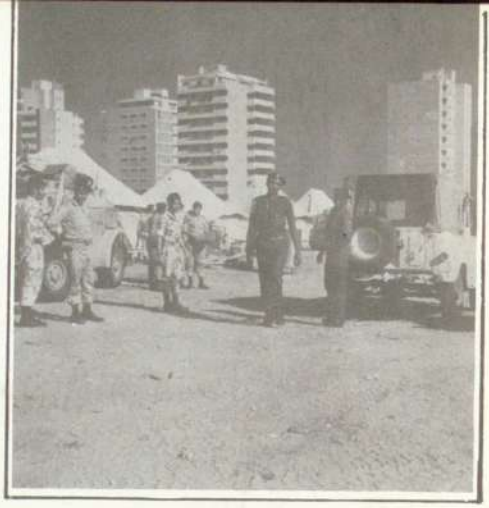
إنه عرس على الطريقة اللبنانية الآن ...

الصديق القديم

بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ اتخذ قراره غادر القاهرة ، والتحق بصفوف المقاومة الفلسطينية ، مناضل مصرى قديم ، كلما تذكرته استعنت بما إعرفه عنه على مواجهة الأيام الصعاب ، فى سنة ١٩٧٣ كان همى أن اراه فى بيروت ، وفشلت تماماً فى اللقاء به ، حتى قابلته صدفة فى احدى عربات التاكسى السرفيس ، وفى هذه المرة سعيت اليه ، اتجهت الى مكان ما فى بيروت الغربية ، عند إحدى النواصى لمحت رجلا فى الاربعين ، يرتدى قميصاً وبنطلوناً مدنياً ، يحمل رشاشاً ، قوامه قوام أب ولديه







أطفال ،انها تلك المرحلة من العمر التى ينعطف فيها العمر ، مثله كان يجب أن يكون لديه بيت ، ومنزل ، وعمل ، لكن مثل هذه العناصر لايمكن أن تتوفر الا فى وطن ، والوطن مغتصب ، عندئذ تصبح الحياة الشخصية مبددة ، والمصير مجهول ، عند ناحية الشارع كان هناك شاب يرتدى الزى العسكرى ينظم المرور ، إنه فى مقتبل العمر ، لم يتجاوز العشرين سعيت الى صديقى ، فى إحدى الحجرات المتواضعة التقيت به ، كان يجلس الى مكتب قديم ، وخلفه لوح خشبى فوقه بطانيتين ينام فوقهما ، كان لقاء حاراً ، دوت طلقات متتابعة ، هنا منطقة مستهدفة ليس من قوى محلية فقط ، انما من قوى عديدة لها وزنها فى هذا العالم ..

الخلفية الكئيبة

دمرت أسواق بيروت ، سوق سرسق ، باب ادريس ، سوق الصاغة ، ومع حركة الهجرة التى شهدتها بيروت ، هجرة الاهالى ، خاصة من الشرق الى الغرب ، ونشوء مناطق سكنية جديدة زحفت حتى أحاطت بالمطار ، انتقلت الأسواق أيضاً ، استقرت فى منطقة الروشة ، صف طويل من الأكشاك الخشبية تضم المتاجر والدكاكين ، سوق ضخمة تمتد عـــدة كيلومترات محاذية للشاطىء .

بحمدون ، الجبل اللبنانى ، متوالية من المرتفعات ، البيوت المبنية من الحجارة ، المقاهى المطلة على الجرف ، شرفات جميلة يتجاور فيها مدخنو النرجيلة ، للطبيعة هنا سحر خاص ، الجبل الصخرى تكسوه الخضرة ، الطريق العريض تعبره سيارات قادمة من أوروبا أو متجهة اليها ، الطرقات ضيقة مرتفعة ومنحدرة ، من شرفة منزل الصديق فؤاد عيتانى رحت أرقب نزول الليل ، مع الغروب أصبح الضوء شفافاً ، والكائنات محددة ، واضحة ، أرق غروب رأيته ، أكثر اللحظات شفافية ورقة ، فى الليل تناثرت الأضواء المنبعثة من البيوت التى لا تتجاور على خط واحد ، دموع الليل الصامتة ، مع تقدم الليل بدأت أضواء عديدة تخبو ، وعند منتصفه سمع دوى بعيد ، انها المدفعية الثقيلة فى الجنوب ، كانت الانفجارات البعيدة تشكل الخلفية الكئيبة لهذا الليل الجبلى الشفاف .

الهروب من الزلزال

يوغل تاريخ بيروت فى الزمن ، وهو تاريخ حافل بالكوارث ، بالزلازل ، قال ميخائيل الكبير يصف زلزالا وقع سنة ٥٥١ ميلادية :

«لما حدث الزلزال فى بيروت ومدن فينيقية اندحرت المياه باذن الله الى مسافة ميلين فانكشفت أعماق البحر وظهرت فيه سفن مشحونة بالبضائع ومال كثير فحمل الطمع الأهلين ولم يردهم الخوف فتقاطروا ليحرزوا تلك الكنوز فحملوها راجعين بسرعة الى دورهم واذا بالمياه عادت بغتة فاغرقتهم جميعاً ، أما الذين كانوا على الساحل فهربوا لينجوا بانفسهم من الغرق الا أن جدران الأبنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم فماتوا تحت الردم ، وانتشر الحريق فى المدينة بعد خرابها لمدة شهرين فحول مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس» .



ونزل حريق ببيروت بعد ذلك بفترة وجيزة ، وراح أحد المعاصرين يتكلم باسمها :

«ويلاه ، انا اشأم المدن حظاً واسوأها حالا ، رأت عينى جثث ابنائى متراكمة فى ساحاتى دفعتين فى ظرف تسع سنوات ، رمانى (فولكان) اله النار بسهامه المتقدة بعد أن صدمنى (نيتون) اله البحر بتياره الهائل ، وا أسفى على بهائى السابق ، طمسه الدهر فاحالنى الى رماد ، فيا عابرى الطريق ابكوا لسوء طالعى ، واندبوا بيروت المضمحلـة»

هل تعود ؟

أقلعت الطائرة ، حلقت مباشرة فوق البحر ، لم تمر فوق بيروت ، خلفت المدينة ورائى بكل ما فيها ، محصورة بين الجبل والبحر ، لها زمنها الخاص ، ثمة احساس حزين ، وتساؤل ، هل تعود بيروت الى زمانها القديم ؟

جمال الغيطانى

اشراف خديجة الصدر

أوجاع الظهر

ذات يوم مشرق منذ عشرة ملايين سنة كان السيد راما بيتيكس وزوجته واطفالهما يبحثون عن الطعام فى احدى الغابات الأفريقية ، ومثل ابناء عمومتهم من الحيوانات العليا ، كانوا يتقافزون فى رشاقة من مكان لآخر بحثاً عن الفاكهة وثمر العليق . ولكن ذاك اليوم كان مختلفاً عن غيره من الأيام . فقد هبت عاصفة رعدية اسقطت كل الثمار من غصونها .. مما فرض على عائلة راما ان تهبط عن الاشجار لتؤمن لنفسها شيئا يطعم .

وكان منظرهم وهم يتحركون على اربع شيئاً مزعجا ، ويعرضهم لأخطار هجوم الحيوانات الخرافية ، ولم يكن طولهم ليزيد عن ثلاثة اقدام ، وما كانوا فى انكبابهم على الأرض قادرين على ابصار ما يعلو عن الحشائش الطويلة . ولذا وجد راما واهله انفسهم فجاة مواجهين بنمر خرافى من ذلك النوع الذى تشبه اسنانه الأسياف الحادة القاطعة .

وكانت الغابة بعيدة المنال لمن يريد الهرب اليها بحثاً عن مكمن وسلامة . وفى لحظة من التجلى الذى يمليه الخوف ، تناول راما صخرة بكلتا قدميه الأماميتين ، وتراجع واقفاً على رجليه الخلفيتين وقذف النمر بالحجر ، وهالت المفاجاة النمر المزمجر الذى اعتاد ان يرى هذه الضحية تمشى على اربع فتراجع وانسحب فى حذر شديد ، ولكن انتصار الانسان القرد كان مكلفاً ، اذ ان عدم تعوده على هذه الوقفة المباغتة المعتدلة قد اورثه المآ حاداً وموجعاً فى الجزء الأسفل من ظهره !

الحقيقة المرة

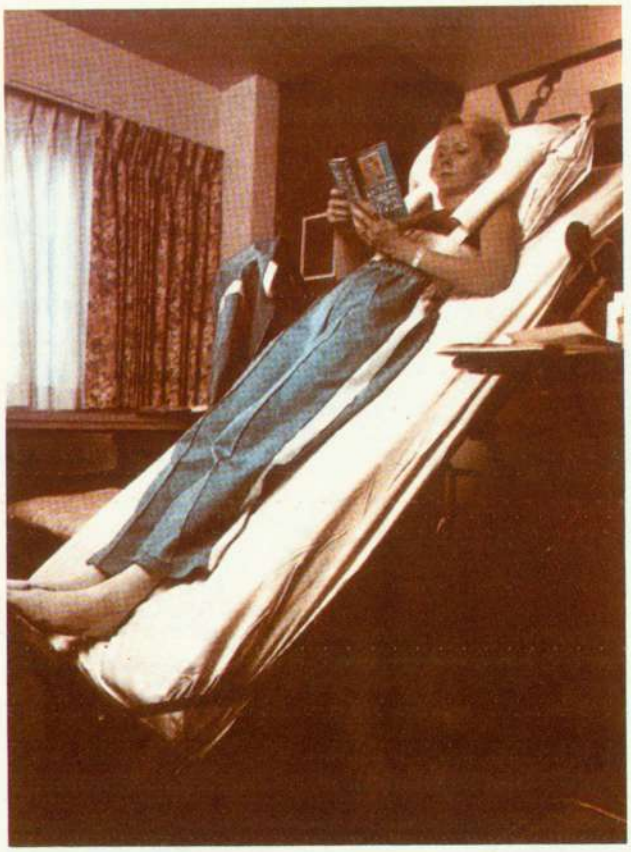
ربما كان ما اوردناه خرافة يروج لها علم الاجناس . ولكن الثابت والمؤكد هو ان الانسان قد ظل يعانى منذ اول اجياله من الام الظهر واوجاعه واليوم ازدادت الملايين التى يحرمها وجع الظهر طعم الراحة ، وهو يأتى فى المرتبة الثانية بعد وجع الراس ـ الصداع ـ كاكثر واشد ما يشكو منه الناس ، وخاصة تلك الالم الطاعن فى مؤخرة الظهر ، كما انه اضحى موضوع ابحاث طبية مكثفة تحاول إيجاد العلاج لهذا الداء القديم .

إن كل ثمانية من عشرة اشخاص على ارضنا سيعانون ذات لحظة فى حياتهم من هذا الالم . وفى الولايات المتحدة وحدها يعانى ٧٥ مليون شخصاً من مشاكل الظهر ، ويقعد سبعة ملايين شخصاً كل عام ، منهم مليونان يعجزون عن العمل تماماً .

أوجاع عشوائية

ويمكن لأوجاع الظهر ان تداهم اى واحد منا ، شاباً كان ام كهلا ، إمراة او رجلا ، من كل الطبقات





كل ثمانية من عشرة أشخاص معرضون يوما ما لأوجاع الظهر

وجع الظهر هو بعض ما يدفعه الانسان ثمنا لوقوفه منتصبا

وجميع المهن .

ومن مشاهير الامريكان الذين تعذبوا بهذه اللعنة اليومية توماس جيفرسون ، الذى سقط صريعا بها حين تهور واراد ان يرى عبيده كيف يستخدم المحراث ، فلازمه وجع الظهر بقية ايامه على الأرض . ومنهم الروائى الشهير «إيرنست همنغواى» الذى كان يضطر من شدة تالمه من ظهره ان يكتب واقفا ،وكان الرئيس كيندى يقضى الساعات فوق كرسى متارجح بالبيت الابيض ليخفف من آلام ظهره .

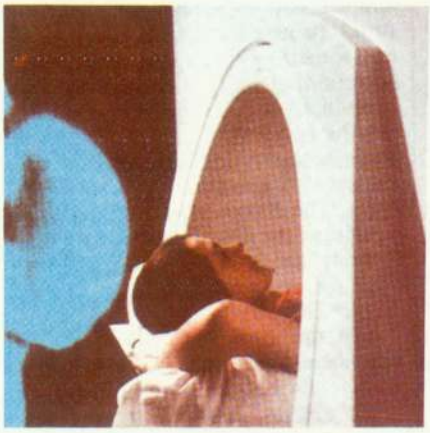
ومن المشاهير الأحياء وزير خارجية امريكا الحالى ادموند ماسكى ، ووزيرها السابق سايروس فانس ، والممثلة اليزابيث تايلور ، وغيرهم . ومن الرياضيين الذين يعانون من هذه التركة الباهظة لاعب الجولف الشهير لى تريفينو ، ولاعب كرة القدم الامريكى طونى كوبك .

فظاعة الألم

ولا يمكن لاحد لم يعان تجربة هذا الألم المريع ان يدرك مدى اليأس الحقيقى والضعف الذى ينال من انسان كان قبل ان يقع صريع هذا الالم الفتاك نشطا ومنطلقا . إن العالم لينكمش فجاة بالنسبة لمن يعانى هذا الالم ، وغالبا ما يصبح هذا العالم مجرد استلقاء فوق سرير او كنبة لا غير .. ناسيا ومهملا كل عمل ، وتصبح كل حركة بالنسبة له امرا خطرا . وحتى ارتداء الملابس يصبح نوعا من العذاب الأليم . اما قضاء الحاجة فهو كالخروج لحملة عسكرية . ولا مجال لمعاشرة الاهل . ولا يمكن الجلوس فوق كرسى للقراءة او لتناول الطعام إلا ان يعنى ذلك هولا من الآلام ، وحتى بعد ان يزول الم الظهر ويعافى الشخص ، فانه لايكاد يصدق ان الالتفاتة التالية او الحركة المقدم عليها لن تعيده الى حظيرة ذاك الالم المبرح .

لماذا يوجعنا الظهر ؟

ان وجع الظهر هو بعض ما يدفعه الانسان لاصراره دون سائر الحيوانات على الوقوف منتصبا على رجليه . واذا نظرنا إليه من باب التعرف على الثمن الذى يدفعه الانسان من اجل التمدن والحضارة المترفة لوجدنا ان وجع الظهر آفة معاصرة ، فكلما تطورت الحياة واستقرت



واصبح كل شىء آليا بفضل ما اخترعه الانسان من اجهزة خادمة ، وصار هو نفسه الى الجلوس والدعة ، يقضى كل شىء من مكتبه الأنيق ، ويضيف شحما ووزنا ، يصبح الظهر اكثر عرضة للاصابة ، ويذكرنا بوجوده فى طعنات حادة موجعة .

مشكلة اجتماعية

ويرى الدكتور كينيث كيسى ، اخصائى الأوجاع بجامعة ميتشيجان الأمريكية ان وجع الظهر الذى نحسه فى اسفل السلسلة الفقرية هو الى حد كبير مشكلة اجتماعية تنشا عن اسلوب حياتنا .

ان الظهر حساس للغاية ، ويمكن لاى شىء ان يربكه ، فيبث الآلام حادة موجعة ، فقد تنطلق اوجاع الظهر من توقف السيارة بشكل مفاجىء ، او من بذل مجهود كبير اثناء المنافسات الرياضية ، او من لبس الاحذية ذات الكعب العالى ، او من الانحناء لكى الملابس ، وحتى النشاط الروتينى كتنظيف الاسنان بالفرشاة ، او الافعال المنعكسة مثل العطس ، والحكة بامكانها ان تفجر اوجاع الظهر .

وهناك قصص كثيرة تشبه قصص افلام الرعب عن بداية هذا الوجع ، فهذه ام لثلاثة اطفال لم تتجاوز السابعة والثلاثين من عمرها يفجؤهاوجع الظهر وهى تنحنى لترتيب ملاءات الأسرة ، تقول : «مرت دقائق ، ولكننى كنت مذعورة اخشى ان اعتدل فى وقفتى او ان اسحب يدى من الملاءات ، واخيرا جاءت امى وساعدتنى على الوقوف معتدلة ، والالم يسرى فى ظهرى ويتزايد ثم ارقدتنى على السرير» .

وقبل عامين كان احد المديرين التنفيذيين بشركة للاثاثات يبلغ السابعة والخمسين من عمره ، يساعد مستخدميه على رفع دولاب مكتبه ثم اتفق ان تعطلت سيارة امام منزله فساعد فى دفعها ، ثم جرف الجليد بعيدا عن ممر سيارته ، وقد اصبح ظهره متيبسا بعد كل هذه المجهودات ومع ذلك قرر ان يفى بوعد قطعه لصديق له ليلعبا التنس ، وبعد الضربة الأولى مباشرة إنهار ظهره ، ولم يقو حتى على الخروج من الملعب الا بعد ان ساعده آخرون .

وفى سان فرانسيسكو انهارت سيدة فى الاربعين من عمرها بينما كانت تقوم بتخزين كتب فى سقف منزلها . وظلت عاجزة عن الحراك لمدة ثمان ساعات حتى اكتشفت وتم نقلها الى حجرتها .

تحفة معمارية رائعة

وبالرغم من خذلانه المفاجىء لنا فى لحظات غير مواتية وغير متوقعة ،فان الظهر اعجوبة من الهندسة البيولوجية ، فهو الهيكل الأساسى للجسم والذى تعتمد عليه عظام الضلوع والكتفين والحوض ، كما انه الأنبوب الواقى لاكثر من حزمة من الاعصاب والحبل الشوكى الذى يوصل المخ ببقية اجزاء الجسم ، وعندما يتحدث الاطباء عن الظهر فانما يعنون العمود الفقرى ، وتتكون هذه التحفة المعمارية التى تمتد فى رشاقة وقوة من الجمجمة الى الحوض ، من ٣٣ كتلة بنائية تسمى الفقرات ، وقد صممت بشكل فنى رائع يجعل كل واحدة منها تقترن بالاخرى فى مواءمة تامة ، ويسند هذا الهيكل الفريد من الانهيار نظام معقد متشابك من العضلات والأوتار والروابط ، والجزء الاسفل من العمود الفقرى هو موضع الالم الذى يصيب معظم الناس ، ومع ذلك فان العمود الفقرى باكمله يختص بمرونة تمكنه من الانحناء ليشكل ثلثى دائرة . ويستطيع الراقصون ولاعبو الجمباز القيام بهذه المسافة كلها لتبدو على طبيعتها .

توازن حساس

ومع ان العمود الفقرى مرن بهذا الشكل ، فان

أوجاع الظهر

اجزاءه دقيقة فى توازنها الحساس . ويمكن لاية إصابة ان تشل وتربك كل هذا البناء المعقد . وتبدأ الآلام فى الصغر احيانا ، فاذا كانت إحدى الساقين مثلا اطول من الاخرى بنصف بوصة فى نموها ، وهو امر يحدث كثيراً ، فان الضغط لا يتوزع بشكل متوازن على العمود الفقرى ، واذا لم يتم تكوين إحدى الفقرات بشكل سليم فان النتيجة هى تقوس جانبى يسبب نوعاً من العجز وكثيراً من الآلام ، ويمكن ان تنمو الأورام الخبيثة فى المناطق المغلقة بالعمود الفقرى ، فتضغط الاعصاب او تخزها . وفى حالة التهاب المفاصل الذى تسببه الرطوبة ، فان الغضاريف التى تقوم مقام الحشايا وتمتص الصدمات قبل ان تصيب الفقرات تتاكل قبل الاوان ، وتفقد طبيعتها الاسفنجية وتزول تماما آخر الامر .

أعراض متزامنة

إن أسباب وجع الظهر متعددة كثيرة لايمكن حصرها ، ويمكن ان تكون اى شىء ابتداء من الوقفة او الجلسة الخطأ وانتهاء بالسرطان ، كما يرى الدكتور ادوين فيوز فى مستشفى هنرى فورد

ورغم كل ذلك الكم غير المحدود من أسباب الام الظهر ، فان ٨٠ بالمئة من الذين يعانون منها يقعون فى واحدة من ثلاثة اعراض متزامنة ، اكثرها شيوعاً هو الاجهاد العضلى ، فالجسم فى حركته العادية يسمح للعضلات بالارتداد والاسترخاء فى تتابع سريع ، ولكن هذه العضلات تتمرد اذا ما شدت فوق طاقتها وحدودها ، وتتقلص او تصبح مشدودة فجاة وتظل على ذلك الحال ، وتصبح كتلة متحجرة .. الأمر الذى يغلق الانسجة الدموية الدقيقة التى تحمل الاوكسجين والغذاء ، وتتخلص من الفضلات ، وتموت بعض الخلايا فى العضلة المصابة ، فيبعث الجسد إشارات استغاثة تاخذ طابع الالم الحاد .

انزلاق الغضروف

ومهما كانت حدة هذا الالم فهى لا تقارن على الاطلاق بما يصاحب مصدراً آخراً واساسياً من مسببات آلام الظهر ، والذى يعرف خطأ بانه انزلاق الغضروف ... وفى الواقع لا ينزلق الغضروف ، بل يصيبه فتاق ، فيبرز الجزء الاوسط الهلامى الشفاف متكوراً ، وقد ينكسر احيانا ويحطم بذلك غشاءه الساتر الذى به الروابط والغضاريف التى يصيبها الفتاق اكثر من غيرها هى تلك التى تفصل بين الفقرات القطنية الاخيرة والعجز ، وهى ثانى اسفل منطقة فى العمود الفقرى ، وتقوم المادة المتكسرة بالضغط على اعصاب العمود الفقرى ، وهى غاية فى الحساسية تجاه اى ضغط ، وفى هذه حال تفجر ادنى حركة حتى ولو كانت ضحكة موجة عارمة من الالم .

مشكلة البحث عن علاج أكثر إيلاما من الوجع نفسه

انفراط حزوز الفقرات

وفى السبعينات اعتقد بعض الاطباء انهم قد وضعوا ايديهم على مصدر اخر لآلام الظهر يضارع الغضروف المفتوق فى حدة ما يطلقه من الام . ذاك هو الالم المنبعث من التنوءات التى تفصل بين حزوز العمود الفقرى ، وهى فى الظهر الطبيعى تنتظم فى خط واحد فى ربطها للفقرات ..ولكن يحدث فى بعض الاحيان ان تنفرط واحدة منها عن مكانـها ، ولا يحتاج ذلك لاكثر من مجرد انحناءة او التفاتة مباغته ، وربما اخذ العظم بعدها فى الضعط على الاعصاب الدقيقة التى تصل بينه وبين العمود الفقرى .. وذاك منتهى الايلام .

وجع البحث عن علاج

ان الالم الذى يزامل ضحايا وجع الظهر فى بحثهم عن من يعينهم ويريحهم منه لايقل بحال عن وجع الظهر نفسه ، وغالباً ما يكون لكل اخصائى يزوره المنكوب بهذه العلة رأى خاص فيما يتعلق بسبب الداء ، مغاير ومنغص اكثر من رأى سابقيه . وفى رأى السيد موراى كولدشتاين نائب مدير معهد الدراسات العصبية واضطرابات الاتصال ان كل انواع العلاج مثار جدل ، وذلك لانعدام التجارب المضبوطة فى العيادات ، ولانها تعتمد على الافكار الخاصة لكل طبيب من اطباء العظام .

واذا كان هناك ثمة افكار خاصة منحازة فاطباء العظام هم المسئولون عنها إذ انهم اكثر المراجع الطبية معرفة بهذا الالم ، فهم حين يزورهم المصاب يقومون مثل كل اخصاء آلام الظهر بطرح اسئلة صارمة عليهم عن متى وكيف بدأ الوجع ، واين يحسه المصاب وقتها ، وعما اذا كان افراد آخرون من الاسرة يعانون منه ، كما انهم يدققون فى موقف المصاب صحياً ، وتاريخه الطبى ، وعمله ونشاطه فى اوقات فراغه ، وعاداته الجنسية .

ويزعم جراح العظام ج وليم فيلدينج من مستشفى سنت لوفا بنيويورك انه يستطيع تحديد مشكلة المصاب بكل دقة بمجرد الحصول على هذه المعلومات ، كما يشير الى ان النمط الذى يتخذه الالم يفيد كوسيلة تشخيصية ، لان المسالك العصبية المتفرعة عن الاجزاء المختلفة ، للحبل الشوكى قد رصدت فى شكل خريطة بشكل جيد يمكن من تتبع اى الم وإرجاعه الى موضع الاصابة فى العمود الفقرى .

بحثاً عن مصدر الألم

ان الفحص الطبى الجسمانى بالنسبة للمصاب بوجع الظهر يبدأ فى واقع الأمر قبل ان يزحف ليرقد فوق اريكة الكشف ، ويخبرنا الدكتور كايم من كولومبيا انه يتمعن فى ما يفعله المصاب وهو يخلع ملابسه ، وكيفية جلوسه وحركته ووقفته ، وقد يطلب الطبيب من المصاب القيام ببعض الحركات كان يمشى على امشاط قدميه او كعبه ، او ينحنى من الظهر ، او يتلوى ، ويحاول ان يبلغ بيديه الارض وهو منحنى ، وقد يطلب منه ان يستمر فى هذه الحركات الجمبازية بعد ان يرقد وذلك بان يحرك ساقيه ووسطه ، ويقوم الطبيب بتحسس مكان الالم وما حوله بحثاً عن اى تورم قد يكون هو سبب المشكلة كما يتحرى اى الم حول الكليتين ويجس العجز ليرى ان كانت الفقرات الاربع الاخيرة بخير ، وهى بقايا ما يعتقد بعضهم انه كان ذنباً ، واخيراً يجرى كشف على ردود افعال المصاب وذلك بالطرق على ركبته وكاحليه ، وتقاس عضلاته ويتحرى مدى احساسه وذلك بوخزة بالدبابيس .

بعد ذلك كله يصور العمود الفقرى بالاشعة السينية ، فاذا ما اخفق كل ذلك فى تحديد الموضع الحقيقى للالم واصل المشكلة ، يجرى على المصاب كشف بالاشعة اكثر تعقيداً ، حيث يحقن الجزء الأسفل من الحبل الشوكى بصبغة تشد الاشعاع ، وتجرى فى ممر الحبل الشوكى ، فاذا ما اتفق ان وجد غضروف منزلق او ورم خبيث بارز فى مجرى الحبل الشوكى فانه يظهر كفراغ صغير فى الصورة .

ولكن الاطباء يفضلون استخدام الجهاز الحديث الذى يعرف «بالكات الماسح» الذى يستخدم العقل الالكترونى ، لانه لا يعرض الحبل الشوكى لخطر التلوث كما فى حال استخدام الصبغة ، بمقدوره أن يعطى تفاصيل دقيقة تبرز الاجزاء الصلبة وتلك اللينة فى العمود الفقرى . هذا الجهاز الغالى هو الذى مكن الاطباء من اكتشاف نتوءات المفاصل وما تسببه من أوجاع حادة فى الظهر .

اختيار العلاج مشكلة

وحتى بعد ان يضع الاطباء يدهم على مصدر المتاعب فان المصاب بوجع الظهر لا يستريح ، اذ

يجد نفسه مواجهاً بعدد لايحصى من انواع العلاج .

فأطباء تقويم العظام الذين ينتمون للتقليد الطبى الذى يرون أن كثيراً من الأوجاع متصلة باضطرابات فى النظام العضلى العظمى يحبذون طرائقهم العنيفة ، وقد يشاركهم هذا الرأى أطباء يعتقدون بأن الأمراض مصدرها عادة اعوجاج فى العمود الفقرى ، وقد ينصح كلاهما باستعمال التقويم بالضغط بالأصابع والايدى بشدة لاعادة العظام المنزلقة الى مواضعها . وليس هناك أى دليل على أن هذه الطريقة فى العلاج ذات فائدة للمريض الذى يشكو من وجع الظهر الحاد ، كما يقول قولدشتيان .

الراحة وحدها..

اما الاطباء عامة فيتفقون على أن لزوم السرير والراحة بالنسبة لألم الظهر الحاد على الاقل ، بالاضافة الى تناول اسبرين او مسكن لتوتر العضلات هو ما يمكن وصفه للمصاب ، ويضيف آخرون استخدام اللبادة الساخنة او الثلج .. ولكن هذه أيضا ذات قيمة مشكوك فى جدواها .

إن افضل علاج هو الزمن ، كما يرى الدكتور جورج هيبيات ، رئيس جراحى العظام بجامعة جورج تاون فى واشنطون : «ان معظم مشاكل الظهر تحل نفسها بعد ثلاثة أسابيع مهما فعلنا ، ولذا فان الهدف الذى يجدر بنا أن نضعه صوب اعيننا هو إتاحة اكبر قدر من الراحة الممكنة للمصاب »

إنتبه للانذار الأول

ومع ذلك يمكن أن تحدث مضاعفات فى المستقبل ، فان الظهر متى اصيب ، فلا علاج له .. كما يقول جراح العظام بمستشفى نيويورك للجراحة الخاصة .. الدكتور ليون رووث : «إن الوجع الذى نستشعره فى الجزء الأسفل من الظهر هو بمثابة انذار لنا بأن شيئا ما لايعمل بطريقة سليمة ، ومتى تكرر ، فان ضربته الثانية ستكون أفظع ، فيجب الانتباه للانذار واتخاذ خطوات لمنع تكرار حدوث ذلك مرة أخرى .»

فما هى تلك الخطوات ؟

أنفض الكسل

استخدم مرتبة متينة او سريراً خشبياً للنوم وتخلص من الوزن الزائد ، وقم بتمارين خفيفة للظهر كل يوم .

ولكن المؤسف أن غالبية المصابين لا يحسنون سوى تغيير ما ينامون عليه ، كما يقول (كايم) الذى يجرى تمرينات يومية : «ان معظمنا يريد حبة الدواء والعققير ، ويريدون العملية الجراحية ، ويتهربون من اداء التمارين لكسلهم وما تصيبهم به من ملالة .»



ضغط الوزن الزائد

إن عدم التمرين يضر بالعضلات لانه يفقدها لياقتها ، اما البطن المتدلى ، فانها تضع ضغوطاً اضافية على العمود الفقرى .. وكما يقول الدكتور رونالد تيلر من مستشفى ديترويت ، فان ١٠ ارطال من الوزن الزائد فى البطن تساوى ١٠٠ رطلا من الثقل على الغضروف ، وذلك لأن البطن تبرز للأمام الأمر الذى يجعل التقوس الطبيعى للعمود الفقرى يضطرب ، ويشكل ذلك مشكلة اكبر بالنسبة للنساء فى الأشهر الأخيرة للحمل ، فيعانين الما حاداً فى الظهر .

ضرورة الاعتدال

وعلى العموم ، فان اخصائى الظهر فرحون بالهوس الجديد فى انحاء كثيرة من العالم بضرورة اللياقة والوزن الصحيح والتغذية المتوازنة ، ولكنهم يحذرون من مغبة الافراط ، لانه يؤدى الى اصابات الظهر ، ويحذرون خاصة اولئك الذين ينكبون على ممارسة كل نشاطاتهم الرياضية فى اوقات مفاجئة ، لأنهم لم يوفروا لها الوقت المنتظم . ويروى الدكتور ريتشارد بشتاوفر من عيادة الام الظهر بروكستر قصة ذلك المحامى الذى يجلس لعمله طيلة الأسبوع ثم ينغمس فى لعب التنس او كرة اليد فى نهاية الأسبوع ، وفى صباح الاثنين لايستطيع ان يتحرك من سريره !

وخلاصة القول ان التمرين ضرورى إن أردت ، ولكن يجب ان يمارس بحذر وانتظام وتمهيد . ولكن اكثرنا لا يتقيدون بما يستلزمه التمرين ، وكثيراً ما يهجرون اى برنامج للتدريب أو التمرين حالما يشعرون بتحسن ، وهذا الكسل عن المواصلة هو الباب الواسع الذى تدخل منه المصائب .

جراحة الظهر

والعمليات الجراحية سبيل آخر شائع اليوم لعلاج أوجاع الظهر ، وخاصة تلك الناتجة عن فتاق الغضروف ، وقد بدأت عمليات إزالة الغضروف فى الثلاثينات ، وتجرى فيها حوالى ٢٠٠ الف عملية فى العام فى الولايات المتحدة ، وتعاد العملية مرة ثانية لتثبيت العمود الفقرى لحوالى الثلث من هذا العدد المذكور . ،ذلك بأن توضع شرائح من عظم الحوض بين الفقرتين المجاورتين للغضروف المنزوع ، وبمرور الزمن تصبح هذه الشرائح جزءاً رابطاً للعظام ، ويصبح ذلك الجزء من العمود الفقرى متصلباً ، فاقداً لمرونة الحركة .

حقن الغضروف

اما طريقة حقن الغضروف المفتوق او المنزلق كما نسميه خطأ ، فهى اكثر مثاراً للجدل والخلاف بين الأطباء ، وتقوم هذه الطريقة على حقن انزيم مستخلص من البابای ، وهو من الفاكهة الاستوائية المعروفة ، فى الغضروف ، وقد تطورت فى الستينات على يد جراح العظام ليمان سميث ، وبها تتم إذابة المادة اللزجة الهلامية بالغضروف ، وبذا يستغنى عن إجراء عملية جراحية لازالته ، ولكن ادارة مراقبة العقاقير والاطعمة بامريكا منعت استخدام هذه المادة الكيميائية بعد أن اظهرت دراسة فى عام ١٩٧٥ عدم جدواه وذلك بأن مارست ضغوطاً على صانعيه ليسحبوه من التداول . ومع ذلك استمر استخدامه بكندا ، ومازال كثير من الامريكان يلجأون اليه فى كندا ، وبموافقة اطبائهم فى بعض الاحايين ، ويقول الدكتور مارك براون من جامعة ميامى أن ٩٠ بالمئة من المرضى الذين يبعث بهم الى كندا ليحقنوا بهذا الانزيم يعودون فى اتم صحة ولا يحتاجون لشىء آخر فيما بعد .

مدى نجاحه

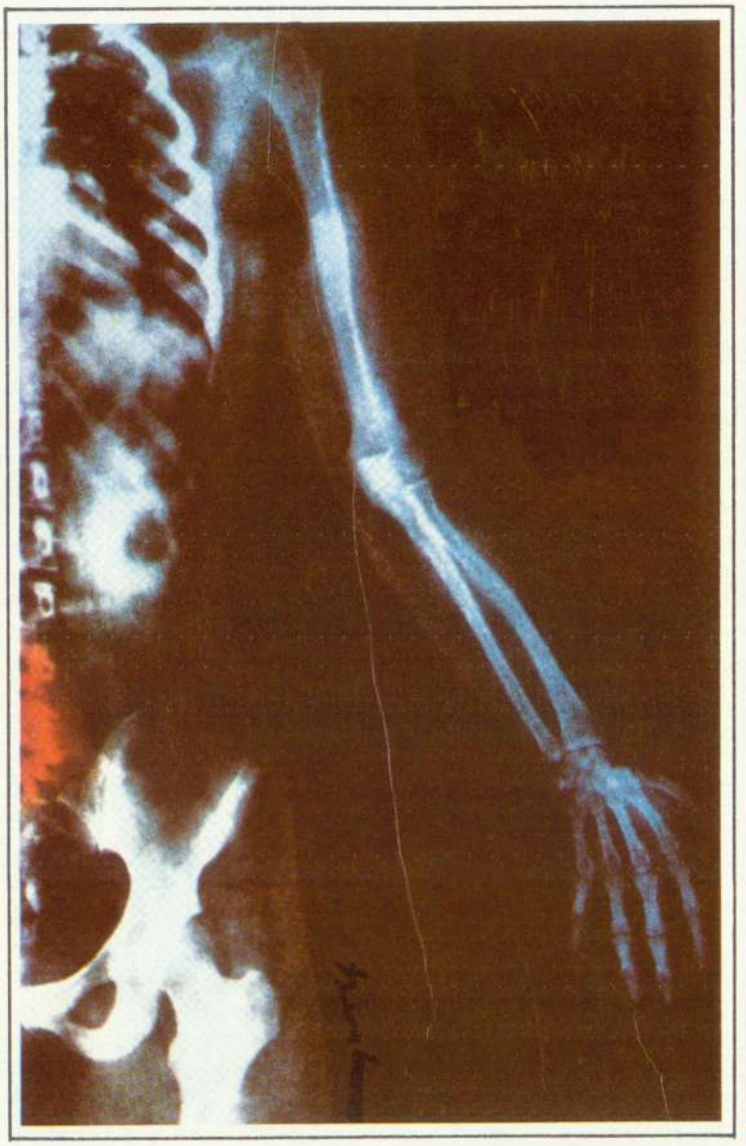
ويقرر الجراح إيان مكناب من تورونتو نفس النتائج ، فقد استخدم هذا الانزيم فى العشر سنوات الماضية فى ٢٠٠٠ حالة من حالات وجع الظهر فى منطقة تورونتو ، وشفى ٨٠ بالمئة منهم وفى دراسة صدرت مؤخراً يقول الدكتور مانوشر يافيد من جامعة ويسكونصون بماديسون انه وجد ان ٨٣ بالمئة من ١١٤ حالة ممن حقنوا بهذا الانزيم المستخرج من البابای بسبب فتاق الغضروف لم يعاودهم الوجع لمدة ثلاث الى ست سنوات بعد العلاج ومع ذلك مازال عدد كبير من جراحى العظام يشكون فى فعاليته ، لأنهم يخشون من آثار جانبية يمكن ان تسببها مادة غريبة ، منها الحساسية او حتى الصدمة .

وقد يستقر الرأى على شىء نهائى بعد اكتمال دراسة حول هذا الانزيم يقوم بها عدد من المراكز الطبيعة بامريكا .

الاحتكاك الالتصاقى

اما آخر ما اضيف الى قائمة العلاج الطويلة لآلام الظهر فهو ما يعرف بالاحتكاك الالتصاقى

أوجاع الظهر





للجاذبية .. وهو لايعدو أن يكون تحديثاً بطريقة ترجع الى أيام أبوقراط ، حيث كان من يعانى من وجع الظهر يربط الى سلم ورأسه الى الأرض ثم يدلى شيئاً فشيئاً ، وبهذه الطريقة يتم تخفيف المشكلة بفتح المسافات الدقيقة بين الفقرات .

وفى معهد سيشر كينى بمدينة مينيابوليس حيث تستخدم هذه الطريقة يتم ربط المصاب الى سرير مائل ، ثم يدار السرير حتى يتخذ المريض وضعاً واقفاً ، ورأسه الى أعلى .

ويبدو أن هذا التكنيك الذى يعتمد على ما ظل الناس يرددونه من انهم يجدون التخفيف عن آلامهم حين يتعلقون ويتدلون من اذرعهم ، وقد تساعد كثيراً من المصابين ، وذلك لأنه كما يقول منتقدوه يبعد المصاب من الضغوط اليومية ويفرض عليه الراحة فرضاً .

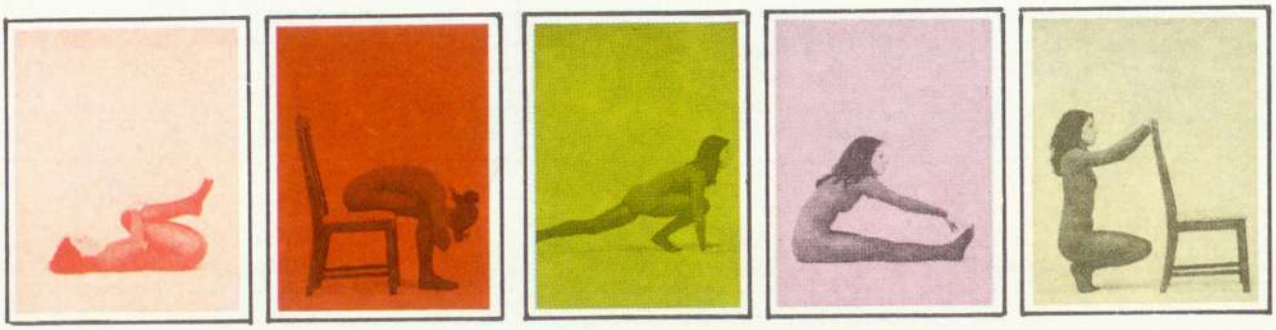
معرفتنا ناقصة..

وفى كثير من حالات آلم الظهر لايجدى اى شىء فتيلا ، ويفشل التمرين والراحة والجراحة والسحل باستخدام قوة الاحتكاك الالتصاقى فى جلب الراحة ، والسر فيما يبدو كامن فى أن الاطباء بعد كل هذه السنوات الطويلة من الكشوفات والتشريح مازالوا يجهلون الكثير عن جوانب كثيرة من العمود الفقرى . والاخطر من ذلك انهم قد اكتشفوا مؤخراً أن قدراً كبيراً من وجع الظهر يعود فيما يبدو الى حالات نفسية . ففى أكثر من ٨٠ بالمئة من حالات الوجع تمكن المشكلة فى كونها ناشئة عن عوامل غير عضوية مثل الاجهاد والقلق وعوامل ذهنية أخرى ، ويضع الدكتور جون باسميان من جامعة ماكماستر الكندية اللوم كله تقريباً على الجوانب النفسية من هذا الآلم الممض .

وفى الواقع ، فان بعض الناس يستثمرون استمرار الوجع من ناحية عاطفية ، حتى اذا كان منشأ الآلم عضوياً فى أساسه ، ويشير الدكتور جون بونيكا من جامعة واشنطون بسياتيل الى حالة سيدة فى متوسط العمر ظلت متزوجة لعشرين عاما ، وكبر أبناؤها وتفرقوا ، فهى بحاجة الى الحب والاهتمام ، لكن زوجها دائم الانشغال ولا يتوفر له الوقت ليمنحها هذه الكفاية العاطفية ، وذات يوم تسقط فى الجليد ، وتشكو الما فى الظهر وفجاة ابدى زوجها اهتماماً بالغا عليها ، فتحس لا شعورياً بانها قد كوفئت على مرضها وآلامها .. ولذا تستمر فى الشكوى من الآلم حتى بعد أن تبرأ من الاصابة لتستدر وتحتفظ بتلك العناية وذلك الاهتمام .

أهو مرض نفسانى ؟

ويمكن لوجع الظهر أن يكون ناتجاً جانبياً للمشاكل التى يعانى منها الشخص فى عمله ، أو المشاكل فى العلاقات الشخصية ، أو الحزن على موت شخص عزيز . وهذا النوع من «الانقباض المستتر» كما يلاحظ الطبيب النفسانى توماس



هاكيت من المستشفى العمومى ببوسطن ، يمكن ان يستمر عدة سنوات ، ويمكن ان يكون للسام نفس الآثار كما يرى جراح العظام ريتشارد باخراش من نيويورك . «فهناك كثير من النسوة اللائى يعانين من وجع الظهر والسام وفقدان الهدف فى حياتهن ، وهن يستثمرن وجع الظهر كعذر لتصرفاتهن ، فاذا ما ساءت العلاقة بينهن وازواجهن تعللن بوجع الظهر للابتعاد عن المعاشرة الجنسية ، ويجدن فى وجع الظهر سببا اقوى من الشكوى من الصداع ، لانهن وان لم يكن مصابات به ، يقدمن الخوف من التعرض له للابتعاد عن معاشرة الزوج ، ومن سخرية الحال ان ما يتجنبنه هو علاج وقائى لوجع الظهر ، إذ ان الحركات التى يقوم بها الزوجان اثناء الجماع تقى الجزء الأسفل من الظهر ، لانها بمثابة تمرين للحوض »

صداع فى الظهر ؟

ويعتقد بعض اطباء النفس بوجود ما يمكن ان نسميه «الشخصية المعانية من وجع الظهر» ويتميز هذا النوع من الناس بانه جاد فى مساعيه ولكنه فاقد للثقة بالنفس ، وهم مثل ضحايا الصداع المزمن والقرحة يميلون الى كبت غضبهم ويتحاشون الدخول فى اى صراع ، ومن ثمة يمكن القول بان وجع الظهر ليس سوى صداع وتوتر نزلا باسفل الظهر .

وفى ياسهم وحرصهم على التخلص من هذا العذاب ، اخذت اعداد هؤلاء المرضى تتدافع فى ازدياد الى العيادات فى البلاد ، والتى تضم اطباء نفسانيين واخصائيين فى المشاكل الاجتماعية وكل ذلك لوجود عنصر المرض النفسانى والمشاكل الشخصية فى هذا المرض ، وتقوم هذه العيادات بتدريب مرضاها على كيفية التعامل والعيش مع وجع الظهر اذا كان مستعصياً على العلاج .

وليس ذلك بالامر اليسير ، لان كثيرين من المرضى ظلوا يعانون من هذا الوجع سنوات طويلة واخضع بعضهم للعمليات الجراحية ثلاث او اربع مرات ، وهم فى الغالب قد توقفوا عن العمل ، وعن ممارسة اية التزامات عائلية ، كما ان بعضهم صار اسير الحبوب المهدئة ، او مدمنا للمخدرات المسكنة للالم .

تسكين الألم

وكثير من هذه العيادات يستخدم طرقا غير تقليدية فى العلاج .. منها التنويم المغناطيسى ، والسيطرة الواعية على الجسم والعلاج بالابر واستئصال اعصاب الروابط الفاصلة بين الفقرات ، او حقنها بالكحول ، كما استحدث جهاز صغير يمكن وضعه فى الجيب ، وهو ان وضع فى مكان الالم بث صدمة كهربائية خافتة تكبت الالم لبعض الوقت .

وفى حالات الوجع الحاد المزمن يمكن زرع مثل هذا الجهاز فى الجسم نفسه ، وقد ظل هذا التكنيك يستعمل منذ عام ١٩٧٤ بواسطة جراح الأعصاب يوشيو هوسوبوشى بجامعة كاليفورنيا بسان فرانسيسكو فهويزرع سلكا او سلكين او ثلاثة اسلاك بحجم الشعرة فى المخ او الحبل الشوكى ، وهى بمثابة الكترودات كهربية ، وتمتد الى مصدر كهربى يغذى بالراديو ويوضع تحت جلدة الصدر ، فاذا ما اراد المريض تخفيف الامه ، ضغط براديو ترانسزتر صغير على صدره ، فتحرك اشارات هذا الراديو المصدر الكهربى الدقيق ، فيبعث فوراً تياراً كهربياً دقيقاً الى المخ او الحبل الشوكى ، وبذا يشعل الخلايا العصبية والغرض من كل ذلك هو اطلاق دفقة من مادة تشبه المورفين ، تعرف باسم «بيتا اندروفين» تنتجها الخلايا العصبية ويوظفها الجسم فى قتل الالم ، وفى مدى ١٥ دقيقة يستشعر المريض انفراجا يدوم ساعات او عدة ايام ، ولكن المشكلة هى ان المريض قد يتعود على هذه الصدمات الكهربية الدقيقة ، فتصبح غير ذات اثر .

وباستخدام كل هذه الأساليب العلاجية استطاعت بعض العيادات اعادة حوالى ٦٥ بالمئة من المرضى الى الحياة المنتجة المثمرة ، وان لم يتخلصوا من الالم تماما .

المتاجرة بالمرض

وفى بعض الحالات التى لايجدى العلاج يستغل المريض وضعه فيطالب بتعويض عن الاصابة اثناء العمل وبفوائد الضمان الاجتماعى والتامين كعجزه عن العمل ، وليست المشكلة وقفا على الولايات المتحدة ، بل ان ٢٥ بالمئة من العمال فى السويد يتقاعدون قبل الأوان بسبب وجع الظهر ، ويرفعون دعاوى جلها باطل .

وقد تمكن الأطباء من فضح كثير من بطلان هذه الدعاوى ، وذلك باختيار بسيط ، وهو ان يطلبوا من مدعى العجز عن العمل بسبب وجع الظهر ان يركع فوق مقعد ، وينحنى ويحاول ان يلمس الأرض بيديه ، ويمكن حتى لمن يعانى من فتاق الغضروف ان يقوم بذلك ... ولكن مدعى العجز بسبب الظهر يرفضون فى الغالب القيام به بحجة حدة الوجع .

اتقاء وجع الظهر

ان اتقاء ومنع حدوث وجع الظهر هو فيما يعتقد كثير من الأطباء العلاج الوحيد والأفضل . ولقد كانت معرفة الناس بالعناية الصحيحة بالظهر شبه منعدمة ، ولكن الاهتمام الآن قد تكثف ، وقد انشئت وحدات لتعليم العناية بالظهر والتوعية بها ، ففى تورنتو بكندا تقدم هذه الوحدات التعليمية حلقات للتوعية ، كل منها يدوم ساعة ونصف تقدم فيها المحاضرات حول مواضيع تشمل التشريح والوقفة والجلسة والعوامل العاطفية المتصلة بوجع الظهر ، والاسترخاء واساليبه ، وتمرينات الجزء الأسفل من الظهر والبطن ، والطرق الصحيحة لرفع الأشياء .

وفى نيويورك يقدم الدكتور باخراش ندوات عملية منتظمة كل يوم اربعاء لمرضاه ، ومعظمهم من الراقصين .

وفى اتلانتا ايضا يقدم الأعضاء العاملون فى عيادة الظهر محاضرات وشروحا لموظفى المؤسسات والشركات هناك ، ويجرى اعداد فيلم يمكن للمؤسسات الكبرى ان تعرضه على العاملين بها لتوعيتهم بمشاكل الظهر وكيفية إتقائها .. وقد لاقت كل هذه البرامج نجاحا ، واصاب الناس فائدتها .

أصبحت جراحة نقل القلب
شيئا روتينيا لكن المشكلة هى العناية الرفيعة المسئولة بعد العملية

الجديد فى .. جراحة نقل القلب

ولد لويس بونيزيو قبل ٤٦ عاما ، ولكنه يعتبر يوم ١١ مايو ١٩٧٤ يوم ميلاد حقيقى له ، حيث زرع له قلب جديد فى ذلك التاريخ فى المركز الطبى التابع لجامعة ستانفورد .

وكان لويس قد عانى نوبتى قلب حادتين قبل اجراء العملية .. وتدهورت صحته بدرجة فظيعة ، واصيب بعدد من الأمراض المعدية الخطيرة ، وصار عاجزاً عن المشى إلا لخطوات قلائل . وما ان نقل له القلب الجديد حتى استرد عافيته وقوته ومعنوياته .. وبشكل درامى .

وقد صرح مؤخراً للصحافة بينما هو يقوم بقطع الاخشاب وتجهيزها لأغراض التدفئة :

«إننى فى صدر قائمة الاثنى عشر الذين زرعت لهم قلوب جديدة»

وكان تسعة منهم قد اجريت لهم عمليات نقل القلب فى مستشفى ستانفورد حيث طور الدكتور نورمان شومواى طريقة صارت قياسية فى عمليات نقل وزراعة القلب فى العالم . وقد حفز معدل نجاح هذا المستشفى المراكز الصحية الاخرى على تطوير برامج مثيلة .

ومنذ عام ١٩٦٨ اجرى الأطباء بمستشفى ستانفورد ١٨١ عملية نقل وزراعة القلب ، ومازال ٧٢ ممن تلقوا قلوبا جديدة على قيد الحياة . كما ان معدل الحياة لسنة واحدة قد ارتفع بالنسبة للمرضى من ٢٢٪ الى ٦٩٪ اما معدل الحياة لخمسة أعوام بعد العملية فقد كان ٥٠٪ وقد احتفل احد الذين تلقوا قلباً جديداً بعيده العاشر بعد العملية .

وكانت أول عملية لنقل وزراعة القلب قد تمت على يد الدكتور كريستيان بارنارد قبل ١٢ عاما فى جنوب افريقيا . وفى عام ١٩٦٨ تم نقل وزراعة ١٠١ قلباً على ايدى ٦٤ فريقاً طبياً فى ٢٢ دولة . ولكن اكثر الأطباء كانوا يفتقرون الى التدريب السليم الذى يؤهلهم لاختيار



الحالات المناسبة لنقل وزراعة القلب ، ولم يكن استعدادهم طيباً لمعالجة مشكلة رفض الجسم للاعضاء المنقولة إليه حيث يقوم جهاز المناعة الطبيعية فى الجسم بالهجوم على الأنسجة الدخيلة .

ونتيجة لذلك فان معظم الذين تلقوا قلوباً جديدة اول امر هذا النوع من الجراحة ماتوا بعد اسابيع قليلة بعدها وكما يقول الدكتور شومواى : «لقد طغت حمى نقل القلب انذاك .. وكان يقوم بها اناس يجهلون ما كانوا يفعلون .. مما أثر على هذا المجال لمدة لا تقل عن خمس سنوات ...

وكانت معظم المستشفيات قد توقفت عن اجراء جراحة نقل القلب بعد ان ادركت الارتفاع الفظيع فى معدل الوفيات . ولكن مستشفى ستانفورد واصل عمله ، مطوراً أساليبه ، مما أهله للقيام بعمليات تعتبر أكثر عمليات نقل وزراعة القلب نجاحاً . وصارت العملية نفسها شيئاً روتينياً .. إذ ان العناية اللازمة بعدها هى الأمر الشاق الذى يتطلب إخلاصاً وجهداً جماعياً من أخصائى المناعة واطباء وجراحى القلب واخصائى علم الأمراض .

إن المسألة الكبرى بالنسبة لهذا الفريق من الأطباء والأخصائيين هو جهاز المناعة فى جسم الانسان . وقد طور فريق الباحثين فى مستشفى ستانفورد بقيادة الدكتورادوارد ستيفنصون طريقتين ، احداهما لتشخيص وجود امكانية رفض العضو المنقول ودرجة الرفض ،والأخرى استخلاص مادة لمعالجة الرفض . ومازال الفريق يواصل ابحاثه لايجاد افضل السبل لمكافحة رفض الجسم للانسجة الدخيلة .

اما المسألة الأخرى التى مازالت مثار بحث واخذ ورد بين الجراحين فهى مسألة تحديد المرضى الذين يمكن أن يستفيدوا من عمليات نقل القلب ، وبالتالى هم الأولى بها .

ويعتقد الدكتور شومواى أن نقل القلب هو آخر ملاذ .. ولا يجب اللجوء اليه إلا عندما يكون البديل هو الموت .. وهو ينتقد بعض الممارسات التى تقوم بها بعض المراكز ، إذ تجرى عمليات نقل وزراعة القلب لحالات انسداد صمامات القلب .. والتى يمكن علاجها بوضع قنطرة (كبرى) .

ومن بين الثلاثمائة المرشحين لجراحة نقل القلب بستانفورد لا يتم الا اختيار ١٥٪ منهم كحالات يناسبها نقل القلب .. ثم يخضعون لفترة من الانتظار الطويل المؤلم .. ويموت واحد من بين كل ثلاثة مرشحين لنقل القلب وذلك قبل الحصول على قلب جديد .. نسبة لصعوبة ايجاد متبرعين بقلوبهم .

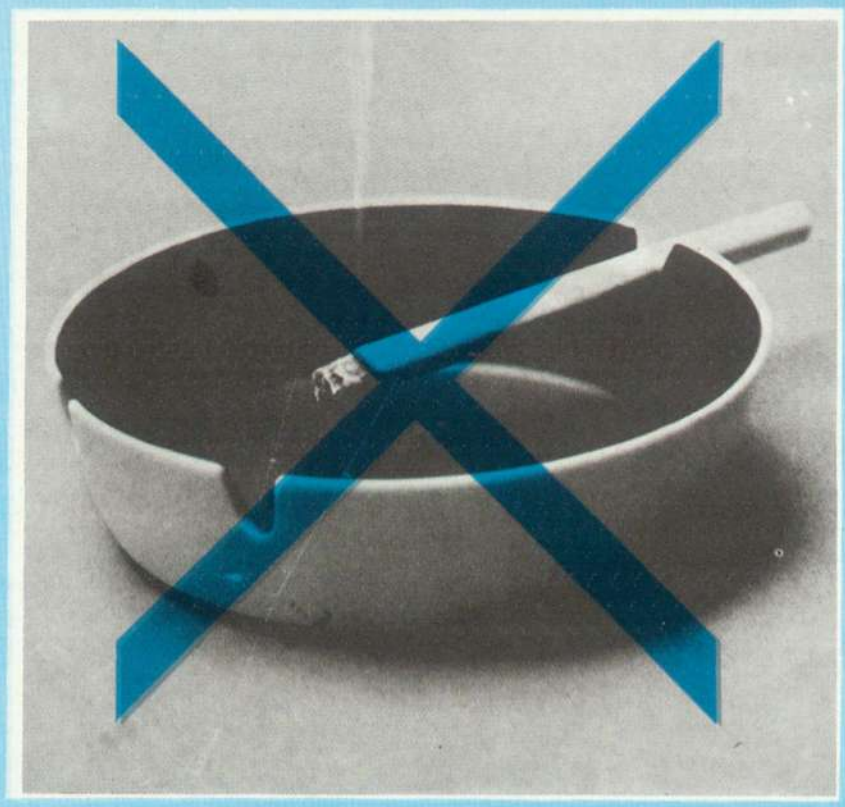
ولكن هذه المشكلة آخذة فى التحسن وخاصة بعد ان اخذ عدد الأطباء الذين يتقبلون فكرة أن الموت هو قانون حين يموت الدماغ حتى ولو كان القلب نابضاً كما أن امكانيات المحافظة على القلب المتبرع به قبل نقله الى المريض قد تحسنت جداً .. وأصبح من الميسور أن يظل القلب ثلاث ساعات ونصف قبل نقله مما مكن مستشفى ستانفورد من الحصول على قلوب متبرع بها من مسافة ٤٥٠ ميلا .

الغرب يصدر أخبث الأوبئة إلى الدول النامية

تقوم شركات التبغ العالمية بدعم من حكومات الدول الغربية باغراق اسواق العالم الثالث بسلعة قاتلة وذلك فى عمليات مقايضة مريعة هى اجتناء الربح الفاحش من وراء اتلاف صحة الانسان وتبديد العمالة .

وفى الوقت الذى يشهد العالم الغربى انحساراً فى تدخين السجائر حتى اصبح سلوكاً اجتماعياً يتراوح قبول الناس له بين مجرد التسامح الى الشجب والمؤاخذة عليه .. تشير احصائيات مبيع السجائر فى العام الماضى الى ارتفاع استهلاك الناس له اكثر من اى وقت مضى .

فما الذى حدث ؟



عندما فزع الناس الى الدول الاوروبية والولايات المتحدة وكندا من اضرار التدخين بالصحة ، وذلك قبل خمسة عشر عاماً ، وجدت شركات التبغ والسجائر العالمية نفسها مواجهة بانكماش حاد فى توزيع منتجاتها ، وارتفاع تكلفة الانتاج . فوجهت أسلحتها فى بساطة متناهية الى اهداف جديدة .. فى العالم الثالث .. حيث اكثر من ثلثى سكان العالم . جدير بالذكر ان هذه الشركات مختلطة الجنسيات ، مقر اربع منها الولايات المتحدة ، واثنين ببريطانيا وواحدة فى جنوب افريقيا العنصرية . لقد وصفت الكلية الملكية للأطباء ببريطانيا التدخين بانه «سبب للموت لا يقل خطراً عن الأمراض الوبائية الكبرى ، كالتيفود والكوليرا والسل» ، وحذرت المجلة الطبية البريطانية من وجود خطر فى تصدير هذه المادة المميتة الى الدول الفتية فى افريقيا وآسيا ونبهت وناشدت العالم الغربى الحر الى الاضطلاع بمسئولية الحيلولة دون ذلك . ولكن حكومتى الولايات المتحدة وبريطانيا ، بدلا من الالتزام بتلك المسئولية ، قامتا بدعم ومساعدة تصدير وباء التدخين الى العالم الثالث .

وفى الواقع تعانى كل الحكومات من ازدواج الشخصية فيما يتعلق بمسالة التدخين ، وذلك لضخامة الاستثمار المتصل به . فالحكومة البريطانية ، مثلا ، تعلم تمام العلم ان ٥٠ الف بريطانى على الاقل سيلاقون موتاً مبكراً نتيجة للأمراض المتصلة بالتدخين ، ولكنها ، من جهة اخرى ، فى حاجة شديدة الى المبالغ التى تحصلها من الضريبة على التبغ والتى تبلغ ٢٤٩٩ مليون جنيه استرلينى سنوياً . ولقد ساهمت الحكومة البريطانية خلال العشر سنوات الماضية باكثر من ٣٠ مليون جنيه استرلينى لبناء مصانع للتبغ فى المناطق التى تعانى من ارتفاع البطالة ، وكدعم منها لصناعة التبغ . وواصلت الحكومة الحالية تقديم المساعدات ليس فقط لصناعة التبغ التى تصدر ما قيمته ٣٤١ مليون جنيه استرلينى سنوياً ، بل ايضاً لمزارعى التبغ فى العالم الثالث .

الغرب يصدر أخبث الأوبئة

ويضاف الى تلك المبالغ ما دفعه دافع الضرائب البريطانى لمشاريع فى ملاوى وزامبيا وذلك عن طريق هيئة التنمية التابعة للكمونولث .

وقد دافعت الحكومة البريطانية عن هذا الموقف أمام البرلمان فى ديسمبر الماضى بقولها : «إننا نقدم المساعدات لمحاصيل التبغ اذا كان التبغ هو أفضل المحاصيل فى البلد المعنى» فى العالم الثالث .

أما الولايات المتحدة ، فقد اعتمدت التبغ ضمن برنامجها الرسمى الخاص بالغذاء من أجل السلام والذى وضع لتطوير وتوسيع الأسواق الخارجية للمنتجات الزراعية الامريكية . وبهذه الطريقة قامت الولايات المتحدة فى عام ١٩٧٩ بتصدير ما قيمته ٣٫٤ مليون جنيه استرلينى من التبغ غير المصنع . ولا يمثل هذا بالطبع سوى جزء قليل من جملة صادرات التبغ الأمريكية .. كما تم تصدير ما قيمته ٩٥٠ مليون جنيه استرلينى من التبغ المحلى الامريكى .

معيار مزدوج

والسجائرالمصنعةفى الخارج برخصة من الشركات الأمريكية والبريطانية هى فى أكثر الأحايين أشد خطراً وفتكاً من مثيلتها بالأسواق البريطانية والامريكيـــة

وقد أظهرت اختبارات أجريت مؤخراً أن كمية القطران فى سجائر امريكان اكسبريس ٥٥٥ التى تباع فى بريطانيا هى ١٨ ملليجرام ، ولكنها ٣١ ملليجراماً فى السجائر المباعة فى كينيا .

أما سجائر «كنت» فان كمية القطران بها ١٣ ملليجراماً فى بريطانيا

نتائج وخيمة

وقد بدأت النتائج الوخيمة تظهر فى دول العالم الثالث . ومع أن المشاكل الصحية التى يسببها التدخين لا تتضح تماماً إلا بعد أن يتكاثر عدد المدخنين فى بلد ما .. وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً .. الا أن منظمة الصحة العالمية قد رفعت تقريراً فى العام الماضى يقول :



زراعة التبغ

«فى بعض الدول النامية وصل حجم وباء الأمراض المتصلة بالتدخين درجة تجعلها منافسة حتى للأمراض المعدية أو سوء التغذية»

لقد كانت أمراض مثل أمراض القلب والدم وسرطان الرئة نادرة فى أقطار العالم الثالث ، ولكن الحال الآن تغير تغيراً تاماً ، ففى البرازيل حيث التدخين مرتفع (١٣٥٠٠٠ مليون سيجارة فى العام يستهلكها حوالى ٢٥ مليون مدخناً) أصبح سرطان الرئة أكبر مسببات الموت للرجال فى عام ١٩٧٤ ، وارتفعت نسبة الموتى بأمراض تتصل بالتدخين بحوالى ٥٪ منذ عام ١٩٧٠ .

وفى كل دول أمريكا اللاتينية ، وهى منطقة نفوذ أمريكى غربى ، ارتفع عدد المدخنين بنسبة ٢٤٪ ، وواكب هذا الارتفاع فى عدد المدخنين ارتفاع فى النوبات القلبية والأمراض المتصلة بالتدخين .

مناطق نفوذ مغلقة

ويشهد الدكتور أميل وينين ، وهو هولندى كان استاذاً جامعياً بجامعة دار السلام بتنزانيا بأن العالم الثالث قد أصبح «مختبراً كبيراً يثبت مرة أخرى أن التدخين يقتل !»

ولقد اقتطعت شركات التبغ الكبرى السبع مناطق نفوذ العالم لنفسها . فالشركة البريطانية الأمريكية ـ ومقرها ببريطانيا ـ وتعتبر أكبر شركة منتجة للسجائر ، وتقوم بطرح ٣٠٠ نوع من أنواع السجائر فى ١٨٠ قطراً عن طريق أكثر من ٥٠ شركة فرعية أو وسيطة . وتقوم شركة فيليب موريس وحدها بتوزيع أكثر من ١٧٥ نوعاً من السجائر عبر ٤٠ وسيطاً أو ترخيصاً فى حوالى ١٦٠ قطراً . أما شركة رينولدز للتبغ فهى توزع ٦٥ نوعاً فى حوالى ٢٠ من هذه الأقطار عبر وسائطها .

وفى بعض البلدان يتم توزيع السجائر بشكل أوسع فى أية سلعة أخرى «ولا يمكن حتى للاند روفر أن يغطى كل المتاجر الصغيرة والحوانيت البالغ عددها ٣٣ ألفاً التى تزودها بالسجائر الشركة البريطانية الامريكية فى كينيا ، إذ أن كثيراً من تلك المتاجر لايمكن الوصول اليها الا بالدراجات أو الحمير أو الجمال .

وتتم تغطية التوزيع بالاعلانات والراديو والتلفزيون والسينما المتحركة ، حيث الدخول مجاناً .. ولكن الجمهور يدفع مقابل ذلك مشاهدته لاعلانات السجائر . ونجد أن نصف الاعلانات التجارية فى كل الوسائل الاعلامية فى ماليزيا هو السجائر .

وفى مسح يعود الى عام ١٩٧٤ ، قامت به مجلة (التبغ فى العالم) ، وهى مجلة محترمة جداً فى الأوساط التجارية اتضح أن ٩٥٪ من الدول المتقدمة لها قوانين للحد من توزيع السجائر ، بما فى ذلك التحذيرات الصحية ، بينما لم تضع سوى ٢٤٪ فقط من دول العالم الثالث

- **موقف الحكومات الغربية من أخطار التدخين يتسم بالنفاق**
- **الأمراض المتصلة بالتدخين فى الدول النامية تنافس الأمراض الأخرى**



تشريعات بهذا الخصوص ، كما أن الاعلان عن السجائر بها لا حد له يتورع للوقوف عنده . ففى الأحياء الافريقية الفقيرة ترتفع اللوحات الاعلانية الزاهية مدعية أن «قولد ليف» هو للأشخاص البارزين جداً .. ولكن الحفاة العراة الذين يخاطبهم هذا الاعلان لا يملكون قوت يومهم ، ولا قدرة لهم على شراء علبة سجائر كاملة .. ومع ذلك يشترون السجائر بالقطعة .. وهذا الأسلوب عادى فى توزيع السجائر فى الدول النامية .

مساعدات لنشر الوباء

وقد استطاعت شركات التبغ ذات الجنسيات المتعددة أن تقنع الحكومات المفتقرة الى العملات الصعبة ، والتى تعانى من شح الايرادات المحلية ، أن تخطط لزراعة التبغ باعتبارها مصدر رزق جديد لمزارعيها ، يزيد من دخل الحكومة عبر الضرائب المفروضة على التبغ ، ويكون مصدراً للعملات الصعبة عبر تصديره .

وبهذا الاغراء الذى لا يقاوم فى بلاد فقيرة تقوم الحكومات فى الدول التى توصف بأنها نامية بتقديم العون والدعم للمزارعين لتجهيز الأراضى (١٩٠٥ جنيه لكل فدانين ونصف فى زامبيا) ، وتعيرهم المال لشراء تقاوى التبغ والسماد والمبيدات الحشرية . وغالباً ما يكون رأس المال من مصادر العون الخارجى . فقد قدم البنك الدولى ، الذى يتم معظم تمويله من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ما جملته ٨ مليون جنيه استرلينى لتنزانيا لمشروعين لتشجيع زراعة وانتاج التبغ . ولا يظن أحد أن المزارعين يحصلون على اى نقد من شركات التبغ أو المؤسسات الحكومية مقابل محصولهم .. فالشركات الوطنية للتبغ هى فى الغالب أيدى للشركات العالمية وهى المورد الوحيد للآليات والخدمات التى يحصل عليها المزارعون .. وبيدها أيضاً التوزيع ووسائله ، ولذلك تصبح تلك الشركات متحكمة تماماً فى دخل المزارع .

ولو أخذنا ملاوى كمثال لوجدنا أن صغار المزارعين مضطرون الى قبول أسعار متدنية تفرضها عليهم مؤسسة الزراعة والتنمية والتسويق .

أما العائد من العملات الصعبة من مبيعات التبغ فهو مجرد وهم كذوب فى الغالب ، لأن الجزء الأكبر من الأرباح تمتصه رسوم الترخيص التى تدفع للشركات العالمية للتبغ ، ولمقابلة تكلفة ورق السجائر المستورد ، والتعبئة والتغليف .. والآلات . ولذا يندر أن يستفيد الميزان التجارى فى الدول النامية من تجارة التبغ . وربما كانت زامبيا خير مثال .

تبديد العمالة

ولا تتوقف سلبيات ونواقص إنتاج التبغ عند هذا الحد فحسب ، بل تؤثر بشكل خطير على موقف العمالة بالنسبة للمحاصيل الأخرى . فالتبغ كمحصول يعتمد على العمالة بشكل كثيف ، ويتطلب عدداً كبيراً من العمال اليدويين فى مواسم القمة ، وخاصة فى الوقت الذى تحتاج المحاصيل الأخرى للايدى العاملة .. للزراعة أو التحضير أو الحصاد ؛ وبذا يسرق انتاج التبغ العمالة الزراعية والأراضى الزراعية الخصبة التى كان يمكن أن تخصص لانتاج المحاصيل الغذائية .

إتلاف البيئة

ولكى يتم إنتاج التبغ الفرجينى المفضل ، يعالج مزارعو العالم الثالث أوراق التبغ بالتبخير ، ويستخدمون الخشب المحلى كمصدر أساسى للطاقة . وتحتاج هذه العملية الى حرق فدان من الأشجار لكل فدان من التبغ .. مما يستنزف الأراضى المشجرة بشكل خطير ويضيف سبباً رئيسياً الى مشكلة الزحف الصحراوى التى تعانى منها أفريقيا بشكل خاص .. لأن معظم مزارع التبغ واقعة فى المناطق المتعرضة لامتداد الصحراء . وهذا هو فعلا ما يحدث فى ملاوى وشرقى كينيا .. كما جاء فى مجلة .. الصحة العالمية ..

وهكذا .. فان الرغبة فى العائد النقدى السريع من وراء زراعة التبغ لا تضر بالصحة فحسب وانما بالبيئة أيضاً . وسيفلت الذين خططوا لحل مشاكلهم فى العالم الحر بتصدير ودعم هذا الوباء الى الدول النامية من دفع الحساب لكل هذه الخسائر .. إذ أنها ستقع على مجموع السكان فى كل قطر نام .. ومادام التبغ سلعة قانونية ، فان الشركات العالمية لن تتوقف عن محاولة مضاعفة أرباحها منه .

وراثة الخصائص المكتسبة

فى عام ١٨٠٩ ، قدم عالم التاريخ الطبيعى الفرنسى الجنسية جان بابتيست لامارك نظرية فى النشوء والارتقاء تقول بان الأبناء يرثون الخصائص المفيدة التى يكتسبها الآباء فى حياتهم . وفى عام ١٨٥٩ جاء شارلز داروين لينقض هذه النظرية بفكرته عن «اصل الأنواع» والتى سادت منذ ذاك التاريخ . وترى الداروينية الحديثة أن عملية النشوء والارتقاء تتم عبر الانتقاء الذى يمكن البقاء للأصلح .

وعلى أيامنا هذه قام عالمان شابان، احدهما استرالى والآخر بريطانى ، بتصميم تجربة تشكل تحدياً للداروينية واحياء لنظرية لامارك ويتوقع لعملهما أن يشكل ثورة فكرية ومعلماً هاماً فى تاريخ العلوم اذا ثبت انهما محقان فيما ذهبا إليه .

ولاهمية هذه المسالة ، واستكمالا لمسائل عدة متصلة بها ظلت «حياتنا المعاصرة» تقدمها متابعة وتغطية لحركة العلوم الحديثة المرتبطة بالوراثة وهندسة الجينات وعلاج الأدواء المستعصية ، نقدم هذا الموضوع الحيوى .

ذات يوم من يونيو ١٩٧٨ استقل عالم استرالى الطائرة من نيويورك الى لندن فى جولة لزيارة عدد من المختبرات الأوروبية . وكان معه آخر كتاب الفه آرثر كوستلر ، وهو كتاب «يانوس» الذى حشد المؤلف فيه جملة من الآراء حول النشوء والارتقاء والابداع والخلق وبائولوجية الدماغ البشرى .

كان تيلد ستيل فى التاسعة والعشرين من عمره آنذاك .. يجيش بالاهتمام بالأفكار العلمية أكثر من اهتمامه بمجال تخصصه وهو المناعة الطبيعية . وكان مأخوذاً بالطريقة التى زاوج بها كوستلر بين العلم والحس الفلسفى . لكن أكثر ما أثاره هو هجوم كوستلر الموجه ضد النواقص والسلبيات فى النظريات التقليدية المتصلة بالنشوء والارتقاء .

وراثة الخصائص المكتسبة

بدأ ستيل عمله من قاعدته بكندا ، بمعهد اونتاريو لابحاث السرطان ، وهناك التقى بشريكه فى العمل الدكتور غروكزينسكى ، من تورنتو .. والرجل من بليموث بانجلترا ، ويصغر ستيل بعامين لكنه يشاركه حماسه الفكرى .

وبعد مناقشات وحوار طويل بينهما ، شارك فيه بريطانى آخر هو د. جيفرى بولارد ، صدر كتاب لهم صغير بعنوان : «الانتقاء الجدارى والارتقاء التكيفى» .. وفيه وضع ستيل فرضية تجمع بين الداروينية التقليدية ، وتعديلا لفكرة ترفضها الداروينية تماما ، وهى اعتقاد لامارك فى توريث الخصائص المكتسبة للأجيال التالية .

معلم هام فى تاريخ علم الأحياء

إن قيمة اية فرضية علمية فيما يرى بوبر يمكن الحكم عليها بمعيارين : جراتها ، ومدى امكانية اختبارها بالتجارب المعملية . ولقد كانت أفكار ستيل جريئة حقا .. ولكن ما هو أهم من ذلك هو انه يمكن اجراء الاختبارات المعملية عليها . وكان زميله غروكزينسكى قد توصل الى أول طريقة لاختبارها . وقد ظهرت نتائجها فى مداولات الأكاديمية القومية للعلوم بالولايات المتحدة الامريكية .

وفى رأى السير بيتر ميداوار ، الحائز على جائزة نوبل للعلوم .. انه اذا اجيزت هذه الافكار بعد التثبت منها ، فانها تشكل أحد المعالم الهامة فى تاريخ علم الأحياء .

واذا كان ستيل وزميله على حق ، فان الاختبار يثبت أن ثمة خطأ هناك فى واحدة من أكثر النظريات التى تتمسك بها العلوم المعاصرة .. وهى الداروينية الجديدة .

كيف يتم الانتخاب الطبيعى ؟

عندما قدم داروين فى كتابه «أصل الأنواع» نظريته عن التطور بالانتخاب الطبيعى ، لم يكن لديه تفسير شاف للمتغيرات التى يقوم عليها الانتخاب الطبيعى . وقد قال بالبقاء للأصلح ولكنه لم يستطع أن يبين كيف تم للأصلح أن يوجد فى المقام الأول .

لكن علم الجينات الحديث استطاع ان يسد تلك الفجوة ، واوضح أن المتغيرات تتم عن طريق ما يسمى بالتغيرات الأساسية المفاجئة فى الجينات .. وفى التعليمات التى تحملها الشفرات الكيميائية لخلق فرد جديد .. والتى تنتقل من الأب الى الوليد .

وتقوم الداروينية الجديدة على الجمع بين الانتخاب الطبيعى وعلم الجينات المعاصر . وهى حساسة للغاية تجاه اية آراء جديدة ، مثلها فى ذلك مثل الكنيسة فى القرون الوسطى . ولكن ذلك لم يوقف الآراء الجديدة عن الظهور والانتشار وكان أولها سابقا لكتاب داروين فى «أصل الأنواع» بنصف قرن من الزمان ، وذلك حين قدم العالم الفرنسى جان بابتيست لامارك عام ١٨٠٩ نظريته حول توريث الخصائص المكتسبة ، وقال ان التغيرات فى الشكل والمهارة والعادات التى يكتسبها المرء فى حياته يمكن أن تصير الى ولده .. أى أن الفائدة والحاجة هما اللذان يؤديان الى التحول التطورى .

موقف الداروينية الجديدة

وكانت لداروين نفسه بعض النظرات اللاماركية ، لكن موقف الداروينية

الجديدة يصر على أن الخصائص لا يمكن انتقالها بالوراثة ، إذ أن التغيرات فى عملية الارتقاء إنما تنبع من الانتقاء الطبيعى الذى يتم عن طريق الصدفة فى الجينات فى خلايا الانجاب والتكاثر ، والتى نسميها «الخط الجرثومى» ويمكن أن تظهر التغيرات الأساسية المفاجئة فى جينات خلايا اجزاء أخرى من الجسم ، ولكن هذه لا تنتقل بالوراثة الى الجيل التالى .

وقد نسفت التجربة التى قام بها ستيل وزميله هذه الآراء ، وأظهرت أن العكس هو فيما يبدو الصحيح .

أين أتباع لامارك ؟

ومنذ أن اتخذت الداروينية الجديدة موقفها الجديد فان الاقلية المتمسكة بأفكار لامارك قد وجدت نفسها مواجهة بثلاث مشكلات :

أولها .. أن الداروينية الجديدة قد قامت بالفعل بتفسير أمور كثيرة .. وثانيها أن أتباع لامارك قد ظلوا خارج التيار العلمى الاساسى ، أو صاروا مجرد هواة مثل آرثر كوستلر ، وثالثها أن انتقادات اللاماركية للداروينية الجديدة كانت عامة غائمة ..

ذلك هو الموقف قبل أن تظهر الورقة العلمية التى قدمها ستيل وزميله بعنوان «وراثة القدرة على جنيات العدوى فى الفئران» .. وقد وجدت اللاماركية فى هذا العمل سلاحاً ماضياً تشهره فى وجه الداروينية الجديدة . ومتى تثبت الأفكار الواردة فيه ، كما يرى ميداوار ، فانها ستؤسس مبدأ ذا أهمية قصوى فى مسألة التطور .

وكان ميداوار قد عبر عن تقديره الكبير لهذين الباحثين وردد آراءهما وعملهما فى مركز البحوث الاكلينيكية شمالى لندن . وقد أقنع ستيل بالقدوم والعمل بالمركز .. لأنه يهيىء له جواً ومحيطاً حميمين ، ونقداً رفيعاً .

والسبب الذى جعل ستيل وزميله يقبلان هذه الدعوة هو أن البداية الاساسية لاختيار عملهما هى موضوع اكتساب الاحتمال الوقائى ، والذى نال به ميداوار جائزة نوبل للعلوم عام ١٩٦٠ م

الداروينية الجديدة قائمة على الجمع بين الانتخاب الطبيعى وعلم الجينات

ستيل : التعليم بالصدفة



اكتساب الاحتمال الوقائى

لقد اتضح من عمليات نقل وزراعة الأعضاء ان الجسم لا يقبل كل عضو يزرع فيه ، بل يلفظه ، ودلت التجارب التى أجريت على الفئران أنها بالمثل ترفض الأعضاء المزروعة . والسبب هو ما يعرف برد فعل المناعة . ولايقاف عمل ومفعول رد الفعل هذا لابد من اتخاذ اجراءات كيميائية صارمة .

وهناك طرق كثيرة متوفرة الآن للتغلب على هذه المشكلة ، وتعرف كلها بظاهرة «اكتساب الاحتمال الوقائى» . وكان ميداوار وزملاؤه قد شقوا هذا الدرب فى الخمسينات ويتم اكتساب الاحتمال الوقائى بحقن المستقبل للعضو الغريب وهو فى صغره بخلايا من الجسم المتبرع به . وبالنسبة للحيوان فى صغره ، كما فى حالة فئران المختبر ، فان جهاز المناعة الطبيعية فى الجسم لا يكون قد اكتمل ليرفض العضو المنقول .. وبذا يكبر الحيوان ، ويعامل هذه الخلايا المزروعة فيه كما لو كانت خلاياه هو نفسه .. ومن ثمة فانه يقبل أى عضو ينقل اليه من ذلك الجسم الذى به خلاياه منذ صغره .

وهذا النوع من الاحتمال الذى يتم صناعياً هو بالطبع خاصية مكتسبة ، ولذا ترى الداروينية الجديدة انه لايمكن لهذا السبب أن يورث للأجيال التالية . ولكن ستيل وزميله برهنا على امكانية توريثه للأجيال التالية .

وقد شرعا فى اختبارهما بأن جعلا الفئران الذكور من المجموعة (أ) تتقبل خلايا مزروعة منقولة من فئران من المجموعة (ب) بنفس الطريقة التى شرحنا آنفاً .. ثم جعلا هذه الفئران تتناسل مع أناث لم تزرع فيها خلايا غريبة .. هى من نفس الفصيلة (أ) .

وعندما فحصا المواليد الجديدة التى كانت كلها من الفصيلة (أ) ، وجدا أن حوالى نصف عددها كان متسامحاً بالنسبة لنقل الخلايا إليه من المجموعة (ب) . ويمكن نقل هذا التسامح أو الاحتمال الوقائى الى الجيل الثانى أيضاً من المواليد .

وبالطبع لايمكن قبول هذه النتائج إلا بعد اختبارها من قبل جهة محايدة وطرف مستقل . فان صحت فان ذلك يعنى أن الداروينية الجديدة قدمت بعض الحقيقة ، لا الحقيقة كلها .

بديل للداروينية

إن البديل الذى قدمه ستيل للداروينية الجديدة يمكن أن يكون امتداداً لاماركياً لها .. وله اتجاهان : الأول هو تفسير السير ماكفارلين الذى أصبح واسع الانتشار والقبول وهو يتصل بواحد من أبرز الخصائص فى الجهاز الدفاعى للجسم ضد الأعضاء الغريبة .

ومن بين أجزاء ذلك الجهاز جزء ينتج مضادات الأجسام .. وهى مواد كيميائية فصلت بشكل دقيق ومضبوط لتقترن بأى دخيل محدد وليس بأى شىء سواه .

وراثة الخصائص المكتسبة

والغريب أن الجسم قادر على انتاج مضادات لأجسام لم يلتق بها من قبل ليس تلك الطبيعية كالبكتريا والفيروسات فحسب بل الكيميائيات المركبة فى المعامل . ولهذا لا يمكن أن تكون هذه المقدرة المحددة شيئاً يتم تعلمه عبر الارتقاء والتطور

أما تفسير بارنيت ، والذى توسع فيه آخرون فيقوم على أن الجينات فى الخلايا التى تنتج مضادات الأجسام منطقة دائمة التغير ، وأن كل تغير وتحول يقود الى انتاج نوع آخر من المضادات . ولا توجد عادة خلايا لانتاج نوع محدد من هذه المضادات ، إلا فيما ندر ، ولكن اذا ما وجد المضاد الذى انتجته هدفاً يرميه ، فانها تولد المضادات بشكل سريع تحت ضغط تلك الحاجة .

وهكذا فان الخلايا المنتجة للمضادات تمر بعملية انتقاء طبيعى داخل الجسم ، فتتكاثر الأنواع المفيدة بشكل سريع ، ويتم تصنيفها وحفظها لاستخدامها مستقبلا . أما تلك التى لا تفى بحاجة فانها تنقرض .

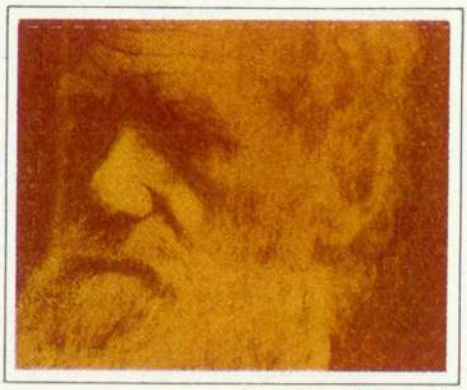
ومن الأهمية أن نتذكر أن التحولات عن طريق الصدفة التى تتم فى الخلايا المنتجة للمضادات لا صلة لها بالتغيرات الاساسية المفاجئة التى تحدث فى خط التكاثر الجرثومى . ووفقاً للافكار التقليدية ، فان تلك التحولات لايتم ادراجها فى هذا الخط ، ولكنها تفنى مع الشخص الذى نتجت فيه ، وهنا يأتى الشق الثانى من النظرية التى يطرحها ستيل ، ويدخل فيها نوع متميز من أنواع الفيروسات اكتشفه هوارد تامين من جامعة ويزكونصون قبل عشرة أعوام ونال على ذلك جائزة نوبل .

مجمل ما فعله ستيل

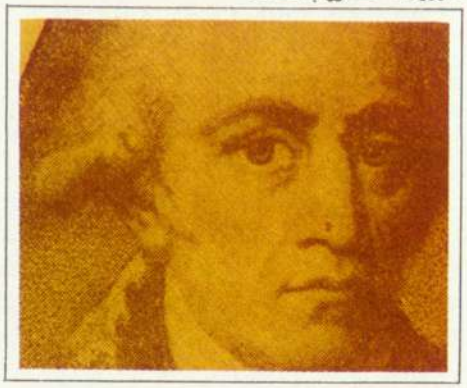
هناك بعض الفيروسات التى تستطيع أن تأسر مادة جينية خارجها . ولكن الفيروسات التى اكتشفها تامين ذات ميكانيزم تستطيع به أن توحد تلك المادة بالجينات فى ذوات الثدى . وقد جمع ستيل فى كتابه هذين الشقين .

فهناك ، من جهة ، عملية يتم بها

فرضية علمية جديدة تنتقد الداروينية وتعيد الاعتبار لأفكار لامارك فى التطور



داروين : التطور بالصدفة



لامارك : التطور بالتعليم

الانتقاء الطبيعى للتحولات المفيدة من خارج خط التكاثر الجرثومى ، وهناك من جهة ثانية ميكانيزم يتم بها احتواء المعلومات الجينية الخارجية فى خط التكاثر الجرثومى . فاذا ما اجتمعتا للعمل سوياً فان النتيجة هى التطور وفق ما قال به لامارك .

ولكن هذه الافكار اللاماركية تختلف عن الفكرة القديمة الساذجة القائلة بأن ابن الحداد يولد بعضلات متينة . ان التحولات مازال لها الدور الاساسى الذى تلعبه . ولكن يمكن لها أن تحدث خارج دائرة الخط الجرثومى ، وبذا تسمح بتوريث الصفات والخصائص المكتسبة .

وهذه اللاماركية الجديدة لا تلغى الداروينية بقدر ما تقوم بتمديدها فى اتجاه مفاجىء تماماً . ومع ذلك فان هذا النوع من التوريث سيظل ذا فائدة قليلة ان بقى فقط فى دائرة جهاز المناعة الطبيعية بالجسم . ولكن ما يقترحه ستيل هو أن فعاليته أوسع مدى من ذلك .

إن خلايا الدم . وخلايا الكبد وخلايا جدار المصارين ، وربما الجهاز العصبى ، كلها يمكن أن تمر بهذا النوع من التطور ، ثم تدخل فى الخط الجرثومى . فاذا ما تم التثبت من هذه النظرية بالتجربة ، كما يرى د. ميداوار ، فانها ستكون مفتاحاً لتغير جوانب أخرى فى مجال الوراثة .

رد الفعل ...

كان ستيل يتوقع رد فعل عنيف من الداروينية الجديدة عندما نشر كتابه . ولكن رد الفعل جاء ناعماً . والحق أن الداروينية الجديدة قد ظلت تعانى لبعض الوقت جملة من المشاكل . هناك مثلا مشكلة عضو معقد كالعين التى تتكون من عدد لا يحصى من الاجزاء المتداخلة وأكثرها لا طائل تحته دون غيره . ولا يمكن أن تكون العين وليدة الصدفة على الاطلاق . ولابد أن لوجودها أن تتم تحولات عديدة ضرورية فى الخط الجرثومى وفى نفس الوقت . ومما عرف عن معدل التحولات لايبدو أن شيئاً كهذا يمكن تصديقه .

والمشكلة الأخرى التى كثرت الاشارة اليها هى تاريخية فى المقام الأول .. هناك فجوات كبيرة فى السجل الذى يعتمد على المخلفات المتحجرة لخطوات أساسية فى عملية التطور .. مثلا خروج الطير من الزواحف .. أو المراحل الأولى من تطور الفقريات .

وليس بمستغرب أن يكون السجل المعتمد على المتحجرات حافلا بالفجوات ولكن اذا كان التطور قد حدث فعلا بالبطء الذى قال به داروين فاننا نستغرب عدم وجود أى دليل عن المراحل الوسيطة لبعض الخطوات المهمة للغاية فى عملية التطور .

وبجانب هذه الشكوك ذات الطابع العام فان الأدب العلمى الذى كثيراً ما يغيب عن البال ، وما تم جمعه من التجارب يصعب تفسيره على ضوء

الداروينية الجديدة ، ولكن خط التفسير اللاماركى يسهم فى ذلك كثيراً .

ويقدم لنا عالم النبات عجائبه الخاصة أيضاً . فالكتان مثلا يظهر لنا ما يدعم آراء لامارك فى الوراثة . فقد وجد د. ألان دورانت لسنوات خلت ـ وهو من جامعة ويلز ـ أن اختلافات الطول والوزن فى الكتان الناتجة عن اختلاف فى ظروف زراعته ، يمكن توريثها .

فاذا ثبتت نتائج تجارب ستيل وزميله فانها ستؤكد أن بعض ما قال به لامارك فى الوراثة حقيقى بالنسبة لكثير من المسائل .

إن كثيراً من أتباع الداروينية الجديدة اليوم يرون أنه ما دام الانسان قد تحكم فى كثير من ضغوط البيئة عليه فانه ليس من باب الاحتمال أن يستمر فى التطور بيولوجياً . ولكن هذه النظرة لا تفترض أى توريث للخصائص المكتسبة . فاذا بطل هذا الافتراض فان كثيراً من الأمور سيبدو على صورة مغايرة . وفى كتابه يتوقع ستيل أن الانماط السلوكية المكتسبة ربما تم استيعابها فى الخط الجرثومى . وان صح ذلك فان التغيرات الاجتماعية والبيئات الجديدة التى خلقتها التكنولوجيا الحديثة ستؤدى الى تطور سريع للانسان .

بانتظار الحكم ...

وبينما ينتظر الجميع صدور الحكم على هذه التجارب يصور السير بيتر ميداوار الحالة الذهنية الغالبة أفضل تصوير حين يقول :

«لقد حفل الماضى بأمور كثيرة مخيبة للآمال ، مما جعل الناس يتوجسون ويبقون على حذر . وربما صرف الكثيرون آراء ستيل دفعة واحدة ..

ولكننى لا أعتقد فى عدم الاكتراث لمثل هذه الافكار مهما بدت غريبة ، إذ يجب أن تمنح فرصة عادلة للتجريب .. لأن شيئاً شديد الغرابة يجرى .. فيما يبدو .

ويقول عن كتاب ستيل :

«لا أدرى على الاطلاق ما ستتمخض عنه الأمور .. ولكننى أمل مخلصاً أن يكون (ستيل) على حق ..»

جديد فى دنيا العلوم

الصداع النصفى والأطفال



●● اتضح ان الصداع النصفى يمكن أن يصيب الأطفال كالكبار تماماً . ومن رأى الدكتور جون تيبلز أخصائى أمراض الأطفال والأمراض العصبية بمستشفى أيزاك دالتون كيلام للاطفال بهاليفاكس أن ٨٠٪ من أمهات الاطفال الذين يعانون من الصداع النصفى و ٦٠٪ من آبائهم هم أيضاً يعانون من هذا المرض .

وفى أغلب الأحيان يصعب اكتشاف الصداع النصفى عند الاطفال لأن الصداع العادى ، هو سمة مميزة للصداع النصفى عند الكبار ، ليس من بين الأعراض العامة عند الاطفال ، ففى سن الثانية أو الثالثة قد يبدأ الصداع النصفى بنوبة مفاجئة وحادة من الدوار .. وفى سن الخامسة يصاحبه قيء من وقت لآخر ، وحمى وألام فى البطن . وفى الثامنة يظهر الضعف فى الجزء الأسفل من أحد شقى الجسم ، وفترات من عدم القدرة على الكلام المتصل المبين ، وشعور بالفتور والنعاس .

وقد يتخذ الصداع النصفى أعراض الزائدة الدودية ، والصرع ، وصرعة التسمم أو الثمل بالعقاقير ، والمرض النفسى أو التهاب الجهاز العصبى المركزى .

وتختفى الأعراض عادة فى ظرف ١٢ الى ٢٤ ساعة اذا تم العلاج الصحيح ، والذى يمكن أن يشمل الاسبيرين والمسكنات والراحة أو الغذاء الخاص ، وباستطاعة الأطفال الصغار أن يتجاوزوا الصداع النصفى وهم يكبرون ، ولكن من الممكن أن يعاودهم فى الكبر ، حيث الصداع العادى هو السمة المميزة له .

علاج جديد لحب الشباب



●● مازال الطب يجهل أسباب حدوث (الاكنى) ، ولا يوجد دواء واحد محدد لعلاجه . ولكن أكثر أنواع العلاج فعالية هو حامض فيتامين (أ) كما يرى الدكتور سيدنى هورفيتز . الاستاذ المساعد لطب الأطفال والأمراض الجلدية بكلية طب جامعة ييل .

ويمكن استخدام حامض فيتامين (أ) فى الكريم أوالجلى، وهو مادة تستخرج من محلول غروائى ، ويساعد ذلك فى تقليل تهيج الجلد وتقشره ، فتصبح الطبقة الخشنة من الجلد طرية ، وتزول رؤوس الحبوب السوداء . أما فى الحالات الحادة فيمكن استخدام خلطة من حامض فيتامين (أ) والبنزويل بيروكسيد .

وينصح الدكتور هورفيتز المصابين بالأكنى بالابتعاد عن استخدام المطهرات

جديد في دنيا العلوم

والمواد الكاشطة ، والأنواع الأخرى من أدوية الجلد ، وذلك لعدم وجود دليل واضح على فوائدها ، كما يوصى باستعمال الصابون الخفيف ، والانتظار حتى يجف الجلد تماماً قبل استعمال هذا المستحضر الجديد . واذا ما كان الشخص يتعرض للشمس بصفة دائمة ، عليه أن يستعمل دهاناً يقيه من أشعتها

البنكرياس الصناعى

●● اخترع الطبيبان تيل كراقين ودون شولم بمستشفى سنت فنست بسيدنى باستراليا بنكرياساً صناعياً بحجم علبة الثقاب ، يلبسه المريض حول خصره ، فاذا ما ضغط على زر خرجت منه الكمية المطوبة بالضبط من الانسولين من خلال القسطر الى مجرى الدم .

ويقول الطبيبان أنه يمكن توفير هذا البنكرياس الصناعى فى الاسواق فى غضون عامين اذا ما استمر نجاح البحث والتجارب .

الموسيقى الصاخبة توقف التأتأة



●● اكتشف الدكتور فرانسيس فريمان ، الاستاذ المعاون فى طب الكلام بجامعة نورثويستيرن بألينوى ، أن صالة موسيقى الديسكو الصاخبة هى المكان المثالى الذى يستطيع فيه المصابون بالتاتاة أو الفافاة أو التمتمة الحديث بانشراح وانطلاق .. وأن أكثرهم يتوقفون عن التاتاة اذا ما انسجموا فى الغناء أو الحديث فى ايقاع منتظم ، أو اذا ما اضطروا الى التخاطب فى محيط صخاب .

وقد ساعدت ابحاث الدكتور فريمان ، والتى دامت عشر سنوات حول التغيرات السيكولوجية التى تحدث أثناء التاتاة ، فى تطوير طرق علاجية جديدة للتاتاة .

السكتة القلبية والمرأة العاملة



●● تعتقد الدكتورة سوزان هيز ، عضوة المعهد القومى لامراض القلب والرئة والدم بميريلاند ، أن تعرض المرأة العاملة لاخطار السكتة القلبية وأمراض القلب لا يزيد فى معدله عن النساء اللائى لا يخرجن للعمل .

وقد بنت هذا الرأى على بحث دام سنوات لحالات وتاريخ المرض لدى ٣٥٠ ربة منزل و ٣٨٧ امرأة عاملة و ٥٨٠ رجلا .. تتراوح اعمارهم بين ٤٥ و ٦٤ عاماً .

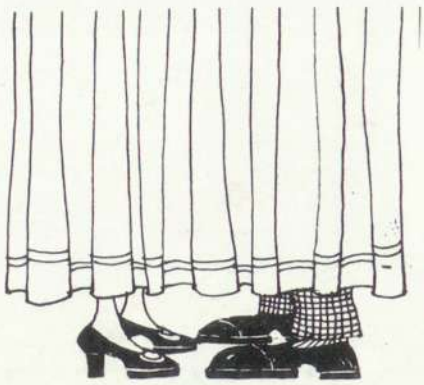
والحالة الاستثنائية الوحيدة التى وجدتها د. هيز هى أن النسوة اللائى يقمن بأعمال مكتبية ، ولهن اطفال قبل سن المدارس ، وازواج من الطبقة العاملة يرتفع معدل خطر الاصابة لديهن بنسبة ٢١٪ أكثر من غيرهن ، وذلك يعنى أربعة اضعاف أعلى مما هو بين اللائى لا يخرجن للعمل ، وثلاثة أضعاف أعلى من المعدل عند العاملات اللائى لسن فى وضعهن ، وضعف المعدل عند الرجال .

وتقول د. سوزان هيز ان هؤلاء النسوة يشعرن بفقدان السيطرة على النفس ، وعدم الاعتراف بهن ، وأن قدراتهن ومهاراتهن لا تستغل على الوجه الأمثل .. وأنهن يكبتن مشاعر عدائية تجاه رؤساء لا يتعاطفون معهن .. وأنهن مثقلات بعبء الأمومة والأزواج ذوى الدخل المنخفض .

أما النساء غير المتزوجات واللائى عملن لفترات أطول فأنهن الأقل تعرضاً لمرض القلب ، إذ أنه بنسبة ٢ر٤٪ عندهن بالمقارنة الى ٢ر٧٪ عند كل النساء العاملات ، و ٢ر٨٪ عند المتزوجات العاملات ، و ٥ر٨٪ عند المطلقات أو المنفصلات عن أزواجهن أو الأرامل ، و ٨ر١٢٪ عند الرجال .

أما درجة التوتر العاطفى عند النساء العاملات فهى مرتفعة بشكل ملحوظ عما هى بين الرجال ، كما أن الاجهاد العاطفى بين الرجال والنساء العاملات أعلى مما هو بين اللائى لا يخرجن الى العمل .

تابجه

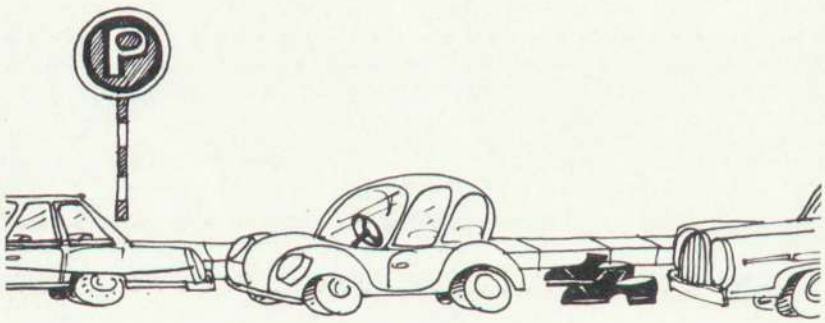


١



٢









وجه من لوحة للفنان مايكل انجلو



الفن و الفوضى

كمال سعد

لم تستطع مدينة روما ان تعقد إتفاق « جنتلمان » بين القوى السياسية المتصارعة داخل كيانها .. رغم أنها استطاعت ان تصل لهذا الاتفاق منذ أربعين عاما وفى سنوات دامية ذاق مرارتها العالم كله .

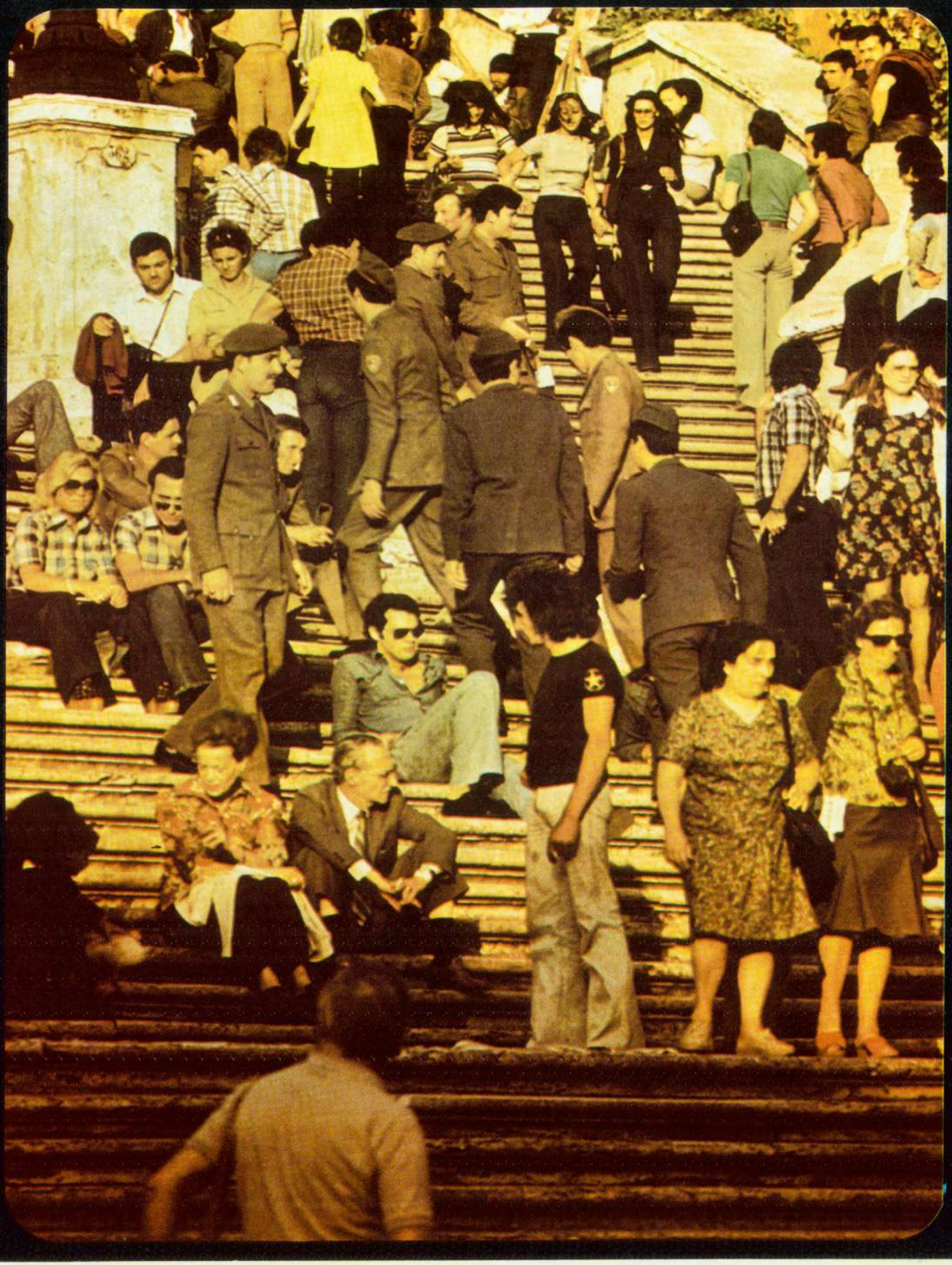
ففى سنوات الحرب العالمية الثانية اتفق الطرفان المتحاربان على اعتبار روما مدينة مفتوحة حتى يحافظوا على كل مابها من حضارة انسانية .. وانتهت الحرب .. وهزمت الفاشية .. وظلت المدينة ملتقى للفن والثقافة وكافة العلوم الانسانية ..

وفى سنوات الحرب الأخيرة ظهرت الفاشية من جديد لتزرع الرعب فى كل انحاء إيطاليا ، ولتجعل روما مدينة مفتوحة للفوضى ، كل مافيها مهدد بالضياع تحت أقدام جحافل الارهاب الأسود ، ممن يقيمون المذابح الجماعية لاثارة الفزع والهلع وإصابة البلاد بشلل سياسى يعطل جهازها البيروقراطى ويصرعها فى الوقت المناسب بالضربة القاضية ، التى تؤدى الى إرتمائها فى احضان دكتاتورية أشد قسوة من دكتاتورية موسوليني ، فوقتها يستولي على الحكم ذئاب الفاشية الجدد ـ كما يسمونهم هنا ـ لتصبح ايطاليا فى ظلهم كما كانت من قبل ، على كف عفريت !

أحلام الخائفين

ولعل أدق من صور روما فى محنتها السابقة والحالية ، هو المخرج الايطالي فللينى ، الذى صورها دائما فى أفلامه ، بمدينة تفتح زراعيها للجميع : المثقفين وأصحاب الملايين والمهربين والنصابين وجعلها فى كل الاحوال تمد يدها لانقاذ حتى الذين ارادوا تشويهها وتمزيقها سواء كانوا من الفاشيين أو الارهابيين !

هكذا يجلسون في تلقائية امام المباني القديمة

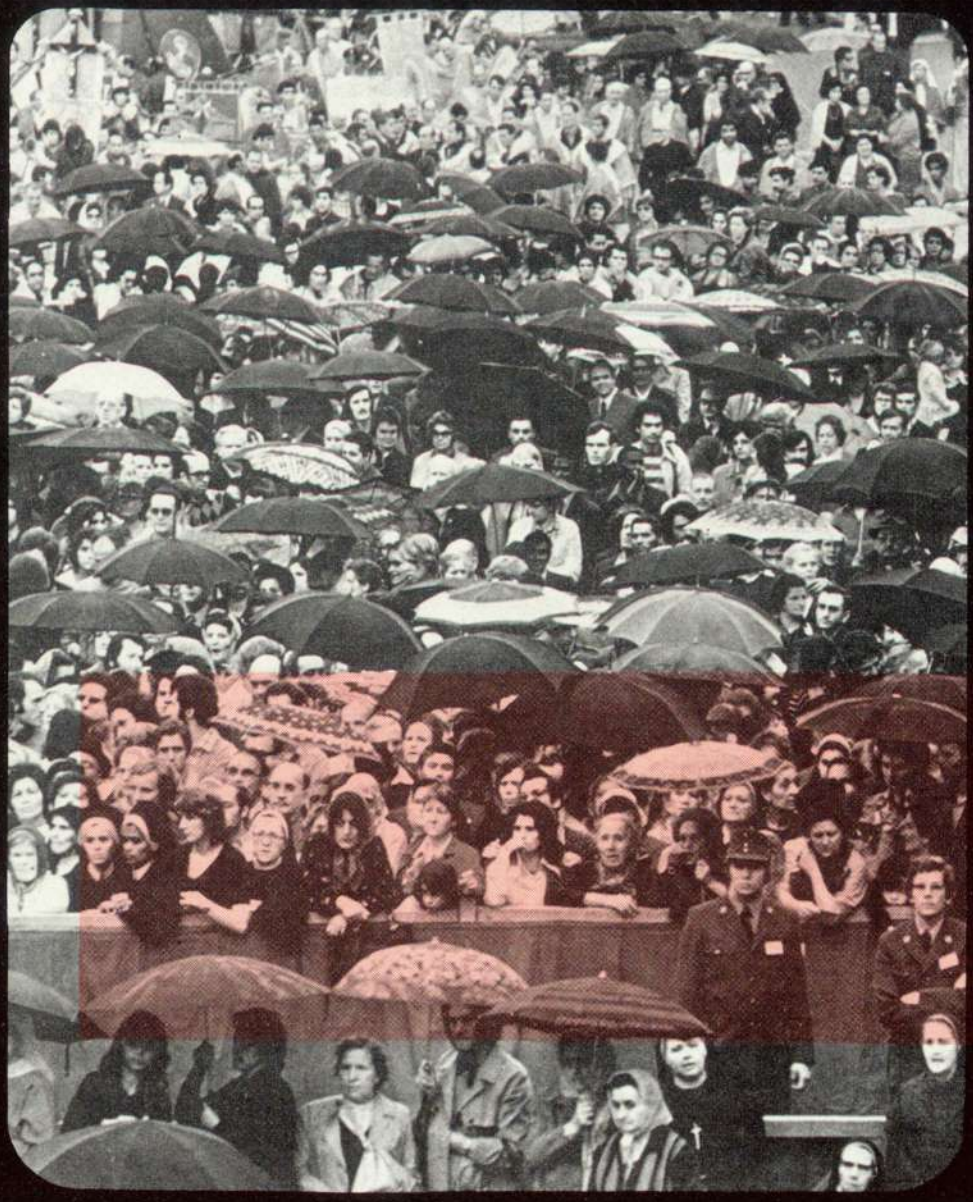


• رغم موجة الغلاء مازال التاجر فى روما ينتزع نقودك ويودعك بابتسامة مرحية !

• مازالت روما صبية متواضعة ، تأخذك فى حنان وشوق ، لتذوب فى أزقتها النابضة بالفن و الحياة !

أما المخرج الايطالى «فرانشيسكو روزى» فقد أدى قلقه وتوتره وحيرته من الأوضاع السائدة فى العاصمة ، الى اختيار قصة الكاتب الايطالي «ليوناردو سكياسكيا» ليوجه بها فى السبعينات اتهاماً مباشرا للمسئولين عن هذه الفوضى الضاربة فى الأعماق فى نخاع المدينة ، واختار لفيلمه اسماً يجعلك تستنكره منذ أول وهلة : جثث لذيذة ..

أراد به أن يحتج على مصرع العدل ، أو قضية اغتيال القضاة الذين مازالوا يتعرضون للرصاصات الارهابية التى تريد أن تقضى على الأمن والجمال والحضارة ، لتقيم الكيان الجديد فوق انقاض الكراهية والعنف والابتزاز ، ولتعيد عجلة التاريخ لذلك اليوم الذى سقطت فيه الجماهير تحت «بنج» الوعود ، وظل كل ساكن فى المدينة مسلوب الارادة ، يعيش فوق جبل من الاحلام ، لم يحقق منه غير العار والضياع والسقوط الدامى الى الهاوية !



عندما يجتمعون من كل صوب

الخروج من الأزمة

من يدخل روما اليوم سيراها غير الأمس ..

رجل الشارع هنا يستنكر بشدة حوادث العنف التى ارتكبها الفاشيون وآخرها إنفجارقنبلة محطة سكة حديد بولونيا التى أودت بحياة ٧٩ إنساناً .. وهو يدين بنفس القوة أعضاء منظمة الألوية الحمراء الذين يوجهون ضرباتهم للسياسيين والقضاة ورجال الأعمال ..

ورغم مضى عامين على حكم «ساندرو بترينى» أو الرئيس السابع لايطاليا ، فمازالت الدولة عاجزة عن قمع الارهاب ، ومازالت الجهود تبذل لتحقيق الوحدة الوطنية وسط ظروف بالغة التعقيد لجمع الأحزاب الستة الرئيسية حول اتفاق سياسى ينقذ البلاد من الفوضى السياسية ، والركود الاقتصادى ، وزيادة القروض ، والعنف ، وجيش العاطلين البالغ عدده مليون و ٧٠٠ ألف مواطن ، وعمق الفجوة بين الشمال الصناعى والجنوب الزراعى والتى تجعل أهل الجنوب يتندرون فى جلساتهم بالقول : «نحن نعمل وأهل روما يلتهمون طعامنا»!

والمعروف أن الرئيس الايطالى بسنوات عمره الثلاث والثمانين ، وغليونه المميز ، كان قد رشح نفسه من منطلق التركيز على الوحدة الوطنية ، ووجد هذا المنطلق حماساً لدى الناخبين الذين أعطوه أصواتاً لم يحصل عليها أى رئيس جمهورية فى تاريخ البلاد .. ولم يكن برنامجه ـ وحده ـ هو السبب فى هذا التأييد العارم ، فقد دعمه ماضية الحافل بالأحداث والمتمثل فى مقاومة الفاشية والسجن بسبب ذلك سبع سنوات ، وكرهه للنازية الذى أدى الى صدور الحكم عليه بالموت وهروبه من

السجن لينظم حركة المقاومة فى وسط وشمال ايطاليا ضد الألمان ، وأحداث أخرى مشرفة جعلت الجماهير تعقد الآمال على قدرة رجل له مثل هذا السجل على حل كافة التناقضات وعلاج الأمراض التى يعانى منها المجتمع الايطالي .

موجة الغـلاء

إن مجرد قضاء بضعة أيام فى العاصمة روما ، تجعلك تتاكد من أن إيطاليا مازالت رجل أوربا المريض منذ الحرب العالمية الثانية ، وان ازمة العالم الاقتصادية هى السبب فى التفكك الاجتماعى والأخلاقى والموقف المتفجر فى طول البلاد وعرضها الذى يقوده ذلك السباق المجنون بين اليمين الفاشى واليسار المتطرف !

فظاهرة احتجاب الصحف فجاة أصبحت من الأمور المألوفة فى الفترة الأخيرة ، وكثيراً مايضرب العمال والصحفيون المطلبون بصدور قانون الصحافة الاصلاحى الذى مازال نائماً فى أدراج البرلمان الايطالى رغم مضى عامين على مناقشته ! .

وبارتفاع أسعار الصحف فى الأيام القادمة ـ كما هو متوقع ـ سيضاف عبء جديد على المواطن الذى يصرخ من ارتفاع الأسعار فى كل شىء بشكل جنوني وفى اندفاع غير معقول !

ووسط موجة الغلاء البالغة ، ستجد التاجر الايطالى ـ كما هو ـ الابتسامة العريضة على شفتيه ، وكلمات الترحيب المسرحية تتبعك منذ دخول المكان وانتزاع مافى جيبك من نقود ، حتى لحظة الوداع التى تخرج فيها من الباب محملا بالبضائـــع .!

وإذا كانت محنـة الطلبة الجامعيين أنهم لا يجدون عملا بعد تخرجهم فيضطرون لاستكمال الدراسة ، فان المرأة الايطالية تشكو من شيئين :









انهم يتكلمون بالأيـدى

عدم قدرتها على تحقيق أحلامها ، وإرهاق العمل الذى يجعلها غير قادرة على الأهتمام بشئون بيتها . !

وفى أماكن كثيرة هنا يمكنك ملاحظة الفتيات ، الصغيرات وهن يدخن فى شراهة .. وكثيرا ماترى مناقشتهن الحامية حول قانون الأحوال المدنية والشخصية الذى حرم النساء من المساواة مع الرجال فى شتى مجالات العمل !

وفى نفس الوقت الذى تجد فيه المراة المهتمة بأناقتها والتى تجيد أطباق المكرونة بأنواعها وتفضل مهنة التدريس والآلة الكاتبة ، فانه قد تصادفك المراة التى تحمل سلاحاً ، والتى وصفها متحدث من وزارة الخارجية بأنها تقتل ببرود شديد وبابتسامة على الشفتين ، ولعنا نعرف أن الفتاة «فلورابيرى» اشتركت فى اختطاف رئيس الوزراء السابق «ألدو مورو» ، كما أن ريناتو كورسيلا» وزوجته هما اللذان أسسا منظمة الكتائب الحمراء ، وعند اعتقالهما منذ خمس سنوات حررتهما امراة هى « مرجريت كاجول » التى قتلها البوليس عقب معركة عنيفة استخدمت فيها الرشاشات . !

مازالت صبية

ورغم كل هذه الظروف والأحداث التى أصبحت الشغل الشاغل لرجل الشارع فى روما ، فان وجه المدينة الثقافى المتالق ، مازال له بريق خاص ، يضرب بعروقه الأصيلة فى أعماق التاريخ الى قرون خلت ، ليظل نفوذها الساحر كواحدة من أجمل عواصم الدنيا

فروما هى الاشعاع الدافىء الذى يسرى فى القلوب عندما ترى ميادينها ونافوراتهاوحدائقها وحواريها وتلالها السبعة التى يتعايش فيها القديم مع الجديد ..

وهى مازالت متواضعة ، لا تعرف الكبرياء ، تأخذك فى حنان وشوق لتذوب

عشقا فى حواريها وازقتها النابضة بالفن والحياة ، بنفس القدر الذى تنهل فيه من قصورها وتماثيلها العديدة المتناثرة فى حدائق بورجيزى ذات الأشجار المتشابكة والتى يتربع فى أحد أركانها تمثال للشاعر العربى الكبير : أحمد شوقى !

وهى مدينة النافورات التى تجاوزت الثلاثمائة بأشكالها وأحجامها المختلفة ، وجمعت بين عظمة الفن المعمارى واعجاز فن النحت .. فلكم توقفت عند أشهر نافوراتها «فونتانادى تريفى» التى جسم تماثيلها «سالفى المثال العظيم فى القرن السادس عشر ، واستعان ببعض الفنانين لزخرفة ما حولها من تماثيل ، ووضع فى وسطها تمثال «أجريبا» التى صورتها الأسطورة بأنها أول من جعلت



تعبيرات وجوه تفصيلية من لوحات الفنان مايكل انجلو





الأمبراطور أوجستوس



الكولوزيوم الذي راى مجد روما

الماء يجرى فى عروق المدينة !

وفى آخر مرة ودعت فيها النافورة أدرت لها ظهرى والقيت ثلاث قطع معدنية مثل كل الذين قالوا لهم بأن من يفعل ذلك يعود مرة أخرى لينهل من فنها وفيضها الذى لا ينضب .. غير اننى فى المساء جلست مع أحد الأصدقاء لأعبر له عن دهشتى وذهولى مما رأيته فى هذا العمل الفذ ، ورويت له قصة القائى بالقطع المعدنية فى البحيرة الصغيرة ، فضحك ملء شدقيه وهو يقول : لقد ساهمت بهذا العمل فى ملء جيوب الصبية الصغار الذين يعرفون أن أمثالك يملأون النافورة بالنقود فى النهار ، ليستيقظوا قبل الفجر ويأخذوا كل ما بها من عملات دون التعرض لعقوبات الحراس الغارقين فى النوم !

شوف الموت

وفى مدينة روما التى بلغت من العمر ٢٧٣٣ عاما ، وكانت فى الماضى عاصمة للعالم ، استطاعت بانتصاراتها أن تبنى امبراطورية من اكبر الامبراطوريات ..



حارسان فى الفاتيكان



ميدان سان بيتر



روما بالليل



• جنسية سكان الفاتيكان مؤقتة وهى أصغر و أغنى دولة فى العالم !

• الشاعر الذى بكى على حريته المفقودة وتغنى بالأصدقاء والفن وأحلام الليل ورغبات النهار !

كان اول شيء يطالعنى هو «الكوليزيوم» الذى ظل العمل فيه ثمانين عاماً منذ عام ٧٢ ميلادية .. وكانت تجرى على مسرحه الاحتفالات والمهرجانات والمذابح الدموية ، التى شاركت فيها الوحوش الكاسرة والأسلحة الفتاكة فى قتل الوف العبيد الأرقاء الذين كانوا يواجهون شرف الموت تحت اقدام السادة الجدد من الأباطرة الرومانيين الذين اخضعوا العالم بالحديد والنار !

وحول الكوليزيوم قالوا ان حكيماً فى روما القديمة قال عقب بنائه : سادام قائماً ، فستبقى روما ، واذا ما انهار فسوف تنهار ، واذا ما انهارت روما انهار معها العالم !

والغريب أن هذا الأثر تعرض للأنهيار

قلعة الفاتيكان

وفى المدينة الصغيرة الواقعة فى وسط ايطاليا على نهر التيبر ، يمكنك أن تدرك منذ الوهلة الأولى بأنها متحف كبير ، فى قلبها ترى قصر «بالاتزوفينيتسيا» الذى أقامه «باولو الثانى» فى القرن الخامس عشر ، وهو عبارة عن تحفة معمارية خالدة ، اتخذه موسولينى مقراً رسمياً يلقى من شرفته التى تطل على ميدان فسيح خطبه الملتهبة لترتفع هتافات الجماهير !

وهناك قلعة «سانت أنجلو» من القرن السادس وهى التى خلدها الموسيقار «جياكومو بوتشينى» فى اوبرا توسكا ، وغيرها يمكنك أن ترى حدائق البنشو الساحرة ، ومخلفات قصور أندرست التى كانت قائمة منذ أكثر من ٢٣ قرناً ومازالت بعض آثارها باقية !

أما أهم أثر فى روما ، بل وفى أوربا كلها ، فهو الفاتيكان ، بما يحوى من

مدينة روما الصغيرة التي حكمت العالم في يوم من الايام ، والتي يمكنك ان تدخل الى قلبها من الجنوب الى الشمال



• من هو الروائى

الذى رفض المجتمع الذى يضع أخلاقياته تحت رحمة التغيرات السياسية ؟

أعمال فنانى عصر النهضة الخالدين أمثال ليوناردو دافنشى ورفائيللو ومايكل انجلو .. وبمناسبة ذكر الأخير سيقفز الى الأذهان على الفور ، سقف كنيسة «سكستين» الذى يبلغ سطحه الف متر مربع والذى أبدع لوحاته مستلقياً على ظهره أكثر من ثلاث سنوات !

وعندما زرت الفاتيكان وجدت أنها ضاحية من ضواحى العاصمة ، تصل مساحتها الى ١٠٨ فدان ، وبها سكة حديد وقصر بابوى وحدائق وعدة مبان وبريد مستقل واذاعة خاصة ومتحف يضم أعمالا فنية للحضارات المصرية واليونانية والرومانية ولوحات لكبار الفنانين ..

أما سكانها فلا يتجاوز عددهم الألف نسمة ، وهم من الكرادلة والموظفين والاداريين والقائمين بمختلف الخدمات والذين يمثلون الفاتيكان فى الخارج !

وبالطبع فان المدينة لها نظام خاص ، فسكانها تبطل جنسيتهم بانتهاء الوظيفة والبابا هو رئيس دولة الفاتيكان منذ معاهدة لاتيران (١٩٢٩) مع الحكومة الايطالية ، التى أخذ بمقتضاها سلطات مطلقة !

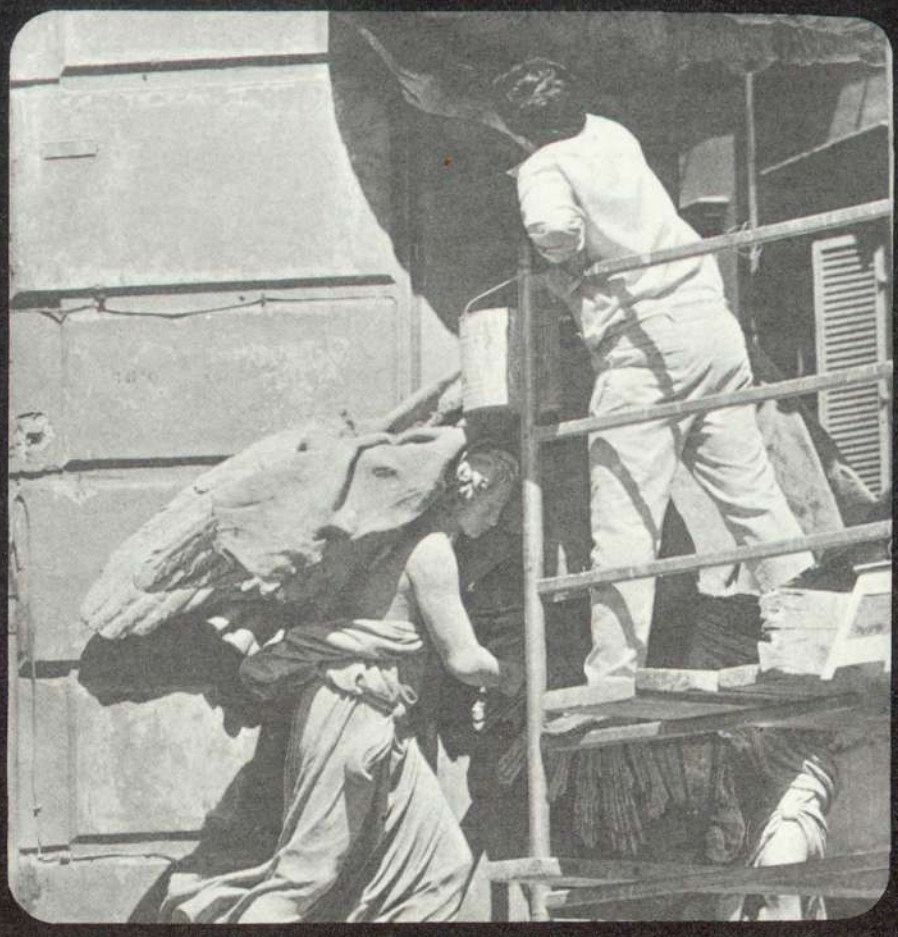
الطيف الجميل

ولأننى كنت مفتوناً بروما قبل أن أراها فان كل ما جرى بها من أحداث جسام ، كان لا يأخذ من نفسى الا مكاناً منزوياً ، لتبرز ذكرياتى عما قرأته عن شاعر ايطاليا الأول «دانتى الجيرى» الذى تسللت الى قلبه من صباه صورة الصبية الجميلة «الابيتشى» التى اتخذها فى كل قصائده رمزاً للسعادة والغبطة .. كما ظلت فى أعماقى صورة أعذب الشعراء فى العصر الوسيط «فرانشيسكو بترارکا» الذى تغنى بالأصدقاء وحب روما والفن والطبيعة وأحلام الليل ورغبات النهار ، وبكى على حريته المفقودة وعلى طيفه الجميل «لاورا» التى كان يسمعها عندما يسمع فروع الشجر والنسيم والأغصان وشدو العصافير والمياه تنساب فى رقة بين الحشائش الخضراء ..

وكنت لا أستطيع أن أنسى الروائى «سيزار بافيرى» الذى مات فى الخمسينات منتحراً لأنه رفض أن يكون أداة تخذل الجمهور المتعطش الى الحقيقة .. أو أنسى الروائى «فابريزيو أوتوفيرى» الذى قال لنا فى روايته «روما ديسمبر ٣١» انه يرفض المجتمع الذى يضع أخلاقياته تحت رحمة التغيرات السياسية .. فهؤلاء وغيرهم من الروائيين أمثال البرتو مورافيا وايليو فيتورينى وبراتولينى ، عاشت أعمالهم فى وجدانى ووجدان العالم كله ، لأنها ارتكزت على الصدق الفنى والبناء الدرامى المتماسك والشكل الجميل البالغ الاتقان !

وكنت أبحث دائماً عن سر هذا العطاء الفياض فى المدينة .. العطاء الفياض فى كل شىء .. فى القوة التى جعلت من تاريخها قبل الميلاد سجلا للفتوحات والانتصارات خارج الحدود .. وفى اللمسة الفنية التى جعلت منها مدينة عصر النهضة الخالدة .. وفى الروح الأدبية المتمردة الخصبة التى أعطتنا قمة فى الشعراء وقمة فى الرواية .. وكنت أجد الجواب دائماً فى أفلام مخرج ايطاليا العظيم فلينى الذى جعلنى فى أعماله السينمائية أحس بها شابة حانية تفتح ذراعيها للجميع .. وتجدد خلاياها باستمرار لادراكها بأن الحياة لا تعرف التوقف أو الجمود !

كمال سعد



ترهيم القديم



التنين
وحش الخيال الشعبى

فاروق خورشيد

لم يقف الخيال الشعبى عندما وجد من مخلوقات الله فى عالم الحيوان أو الطير أو فى عالم البحر أو عالم النبات ، بل راح يعطى بعض هذه المخلوقات من السمات والوظائف ماليس لها فى دنيا الواقع ، ثم امتد به الجنوح فخلق من العدم مخلوقات أخرى لا تعرفها هذه العوالم المتعددة لابراز تجسيده بعض المعانى أو الرموز ، ذلك التجسيد الذى لم تكن تفى به الحيوانات والمخلوقات التى تقع تحت إدراكه وبصره فى عالم الواقع ودنيـــاه ...

من وحوش الطير التى أبدعها الخيال الشعبى الرخ والعنقاء .

أما الرخ فهو ذلك الطائر الأسطورى الذى ربط السندباد نفسه بساقه فنقله من جبل الحيات محملا باللؤلؤ والجوهر

أما العنقاء فهو وحش من نسيج الخيال الشعبى تماماً ، وفى المثل العربى السائر أن المستحيلات ثلاثة وهى العنقاء والغول والخل الوفى .

أهوال البحـــر

إلا أن أهم عالم حظى بالقدر الأكبر من إبداعات الخيال الشعبى كان بلا شك عالم البحار ... فقد ترك البحارة والرحالة لخيالهم العنان فى تأويل ظواهر البحر ، وما يلقونـــه فى دنياه العجيب من مشاهد ومخاطر وأهوال .. والى جوار بحار النار وجبال المغناطيس ، والجزر المتحركة ، والحيات اللاتى يسحرن البحارة بغنائهن ، ظهرت الحكايات حول عروس البحر وحول الهابشـــة ثم حول التنـــين ... وقد خلط الخيال الشعبى كثيرا بين التنين والأخطبوط ، إلا أنهما فى الحقيقة ، وفى الكثير من



الخيـــال الشعـــبي يخلق من العـــدم مخلوقـــات لم نعـــرفهـــا في الواقـــع

النصوص شيئان منفصلان لا يجمع بينهما فى خيال الراوى الشعبى إلا وجود الاذرع المتعددة عند كليهمـــا ...

أما الاخطبوط فهو حيوان رخوى يصنفه علماء الحيوان تحت النـــوع (الرأس قدمى) ... وهو يوجـد بالبحار الدافئة . وجسمه كروى الشكل أو كالكيس ذى الفتحة ... وله ثمانية اذرع . وهو عند الخطر يفرز مادة فى لون الحبر تخفيه عن الانظار الا انها مادة سامة ... والنوع الموجود منه بكثرة صغير الحجم ولا يشكل خطرا الا فيما يفرزه من لعابه من سموم . الا أن هناك بعض الانواع التى وجدت فى البحار العميقة يبلغ مد الذراع فيها حوالى سبعة أمتار ، وهو يشكل خطورة حقيقية فى هذه البحار ، وهو يخدر فريسته قبل التهامها وتمزيقها بأذرعه .

ولعل هذا الاخطبوط هو الاصل فى انتشار أسطورة التنين الذى لايوجد فى عالم الحقيقة على الاطلاق ، وان وجد بكثرة فى الحكايات والأساطير الشعبية العالمية والعربية على السواء . ونحن نرجع لنقطة البدء فى تحرك الخيال الشعبى الى ما شاهده الرحالة والبحارة فى البحار العميقة من أخطبوطات ذات الاذرع الطويلة ، والقوة المدمرة ... الا أن صورة التنين تجمع فى الخيال الشعبى بين أكثر من عالم من عوالم الحيوان ، وبين أكثر من صفة جمعت من أكثر من حيوان ، فهو أقرب عند الخيال الشعبى الى هذه المخلوقات التى ركب لها هذا الخيال اكثر من جزء من عوالم مختلفة ليبدع مخلوقا غريبا قائما بذاته ، ولا ينتمى الى حيوان بعينه ، فهو حيوان يجمع بين عالم الحيوان وعالم الزواحف وعالم الطيور ، فالتنين له مخالب أسد ، وأجنحة نسر ، وذنب افعى ...وأقدم صورة لهذا الحيوان الأسطورى ترجع الى العصر البابلى ، ثم انتشرت أسطورته فى آداب كثيرة ، وظهرت عند أمم متعددة ... بل لقد اتخذ التنين رمزا قوميا لشعوب جنوب شرقى اسيا ، وظهر كرمز للصين فى كثير من الآداب العالمية التى تعتبر الصين رمزا للخطر الأصفر ، أو للزحف الآسيوى على الحضارة الاوربية أو حضارة الرجل الأبيض ...

عجائب المخلوقات

وقد شغل أمر التنين الرحالة العرب ، واصحاب المؤلفات التى اهتمت بتتبع أخبار هؤلاء الرحالة وما يصادفون من عجائب المخلوقات . ونحن نجد الحديث عن التنين فى كثير من هذه الكتب ، فيقول عمر بن الوردى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى فى كتابه «فريدة العجائب » ويظهر فى بحر الروم تنين عظيم يشبه السحاب الأسود ، ينظر اليه الناس ، وهو دابة عظيمة فى البحر تؤذى دوابه ، ليبعث الله سحابة من سحب قدرته فيحملها ويخرج بها من البحر ، هياه حية سوداء لا يمر ذنبها بشىء من الابنية العظام الا سحقته ودمرته ، ولا من الاشجار الا هدتها وربما تنفست فاحرقت الاشجار والنباتات ، ويلقيها السحاب فى الجزر التى بها يأجوج وماجوج ، فتكون لهم غذاء ، ونحن فى هذا النص نلمح أثرا من اثار رؤية الاخطبوط فى الحديث عن هيئة التنين التى تشبه هيئة الحية ، وفى الحديث عن ذنبه الذى لايمر بشىء الا دمره ...وان كنا نرى تداخلا بين صورة الاخطبوط وصورة الاعصار البحرى الذى يسمى (تيفون) والذى يكثر فى بحرالهند أو فى المحيط الهندى ويسمى العلماء هذا الاعصار باسم النافورة البحرية وهو ينشأ علميا من تفاعل ريحين متضادتين تدوران حول نطاق جوى منخفض الضغط أو منخفض الحرارة ويتكاثف بخار الماء فى هذا النطاق فيظهر على هيئة عامود هائل يصل بين البحر والسحاب فكانه عند الرائى يصل بين البحر والسماء .. وتبلغ فى هذه الحالة سرعة الريح مدى هائلا يعرض كل الأشياء القائمة فى مجاله للدمار الاكيد ... ويقول العلماء انه كثيرا ما يظهر من نطاق السحب المحيطة بالمنطقة المتعرضة للاعصار بروز كالذنب الطويل يتجه نحو الشاطىء ويدمر المنازل القريبة ويقتلع الأشجار والأعمدة المنصوبة ، وتصحب ظاهرة النافورة البحرية هذه أوالتيفون ظواهر اعصارية معروفة كالبرق والرعد . ويقولون أيضا أن حركة التخلخل الفجائية فى الضغط الجوى تولد انفجارا داخليا فى الأقسام القريبة من النافورة والاعصار ، وهذا التخلخل نفسه من الممكن لو كانت النافورة قريبة من الشاطىء أن يهدم المنازل ويدمر النوافذ ويقتلع الأشجار ويقذف بها فى الفضاء .

اسطورة التنين

فهناك هذه الظاهرة التى تكثر فى البحار الدافئة ، وما يمكن أن يرى منها بالعين من اندفاع لذيل طويل الى الشاطىء ، ومن برق ورعد ونافورة تصل بين البحر والسماء تساعد كلها على رسم المنابع التى اعتمدت عليها أسطورة التنين . وقد جاء وصف التنين فى كتاب رحلات سليمان وهو مخطوط ، نشره وترجمه بالفرنسية الراهب الفرنسى جان رينـود عام ١٧١٨ . والكتاب عبارة عن مشاهدات رحالة أسمه سليمان فى رحلاته عبر البحار وقد وصف سليمان التنين وصفا مليئا بالخيال ، ومجموعة من المعلومات الناقصة المتداولة بين رجال بحر العرب ، فعند العودة من رحلته الى الصين وخلال اجتيازه لبحر الهند اصطفت الرياح اصطفافا شديدا ذات يوم ، ثم استمرت هذه الرياح مصحوبة بدوى شديد فى قاع البحر عدة أيام وليال . ويقدم البحارة تفسيرا غريبا لهذه الظاهرة اذ هى عندهم أن فى القاع شيئا يفزع دواب البحر فهى تطلب من الله تعالى أن يبعث اليها ما يحمل هذا الشىء الى السماء ليلقيه فى بلاد يأجوج وماجوج ، وان هذا الشىء الذى تضج منه دواب البحر وتفزع بهذه الأصوات الى الله سبحانه وتعالى لينقذها منه هو التنين ، يعربد فى جوف الماء فيفزع الاسماك والحيتان . ثم يصفه لنا وصفا أسطوريا فيقول انه أضخم ما خلق الله تعالى من دواب ، فهو هائل المنظر ، طويل الجثة عريضها كبير الرأس ، براق العينين واسع الفم والشدقين .. ويضيف ان كل ما على الأرض أو فى البحر يخافه ويخشاه . ثم يصف

النافورة بانها ارتفاع التنين من الماء فى اندفاعة مخيفة لها صوت كالرعد ، بينما تخرج نار من ذيله تحرق كل شيء ، ويحمد الله ان السفينة كانت بعيدة ، والا لو طالتها هذه النار لاحترقت بمن فيها ، ويكمل روايته بان السحاب يرفع التنين من الماء ليلقيه فى بلاد ياجوج وماجوج .

ويبدو أن هذه الصورة للتنين كانت منتشرة عند عامة المؤلفين الذين يهتمون بهذا النوع من المعرفة ، فيقول القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » : زعم احد المعمرين ممن عرفت انه رأى التنين ، وكان طوله فرسخين ، ولونه مثل لون النمر ، وله فلوس كفلوس السمك ، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك ، ورأس مثل رأس الفيل العظيم كرأس الانسان ، واذنان طويلتان وعينان مدورتان كبيرتان ويتشعب من عنقه ستة أعناق طوال ، كل عنق نحو عشرين ذراعا وعلى كل عنق رأس كرأس الحية .. وهذه المشاهدات التى يدونها المؤرخون القدماء تقترب الى حد كبير من صورة أفعوان البحر الكبير الذى حكى عنه الملاحون المحدثون وذكره بعض علماء البحار . ولكن هؤلاء لم يقدموا له وصفا كاملا ، فلم يره احدهم بكامل هيئته ، وانما رأى بعضهم رأسه تطل من الماء ، كما رأى بعضهم ذيله ورأى آخرون أذرعه ، وسجلوا عنه فى مذكراتهم بعض الرسوم المقتضبة ، وحين جمعت هذه الصور بعضها الى بعضا ، كونت شكلا متخيلا لهذا الحيوان . وجاء شيئا غريبا لا يشبه الحوت أو أسماك القرش ، ولكنه جسم ضخم طويل تبرز من مقدمته عدة بروزات طويلة كانها الاذرع .. واسموا هذا الكائن باسم أفعوان البحر الكبير .. ولكن العلماء ينكرون وجود مثل هذا الافعوان ، ويذهبون الى أن ما رآه البحارة المحدثون هو رأس حوت يطل من الماء ، وجسم قرش ينساب فيه .واذرع اخطبوط بحرى ضخم ، وان كل هذا ادى الى تلفيق حكاية الافعوان او التنين فى خيال الهبت من مخيلتهم حكايات



البحارة القدماء ، وكتب الاساطير والحكايات ..

شاهد رؤيا

ونحن نلاحظ ان معظم الروايات جاءت نقلا عمن يزعمون انهم راوا هذا الحيوان ، أو سمعوا عنه ممن راوه ولكن لدينا نصا فريدا فى المكتبة العربية لمؤرخ ثقة ، مشهور بالامانة هو ياقوت الحموى الذى يقول انه رأى التنين بنفسه .. ويصف رؤية التنين فيقول : اقبلت سحابة بعد اصطفاق الموج طويلا ، حتى غابت فى البحر ثم تلتها سحابة وسحابة حتى صرن سبع سحابات ثم ارتفعت السحابات ، وهى تحمل شيئا يقولون انه التنين .. حتى غاب عنا ونحن ننظر اليه يضطرب فيها ، وربما وقع منها فى البحر ، فتعود السحابة الى البحر بالرعد الهائل الشديد ، والبرق العظيم حتى تغوص فى البحر ، وتستخرجه ثانية ، ثم تحمله وقد اجتاز وهو فى السحاب وذنبه خارج منها بضعة عشر برجا من ابراج سور انطاكية ، فربها فى البحر . » ونحن نلاحظ ان ياقوت لم يكذب فى وصف ظاهرة اعصار البحر ، وانما هو مزجها بالتاويل الاسطورى لها ، فجمع بين صدقه فى الوصف ، ايمانه بالاسطورة التى نقلها البحارة ، ولو انه احترز بقوله « تحمل شيئا يقولون انه التنين » .. فكانه هنا يقدم شكه فى زعم البحارة وان كان يثبت وصفه لما رأى ..

وقد لعبت صورة التنين هذه بخيال الادباء وخاصة أصحاب الادب الشعبى ، فظهر أكثر من بطل ملحمه وهو يصارع التنين وينتصر عليه ، ونحن فى الالياذة نجد الشاعر فرجيل يجعل من التنين حارسا للمطلسمة الذهبية حتى لايحصل عليها ايناس بطله الملحمى .. كما لعبت صورة التنين بخيال الموسيقى فاجنر ، فصور صراع بطله سيجفريد للتنين ، صراعا داميا ينتهى بانتصار البطل ومصرع التنين . ونحن نعرف فى عالمنا العربى تلك الصورة الشعبية التى ترسم الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو يصارع التنين فيلقيه صريعا تحت جواده ، وقد اغمد سيفه ذى الفقار فى صدره وبين أذرعه . كما نعرف الصورة القبطية المشهورة للقديس مارجرجس وهو يركب جواده ملقيا بالتنين تحت حوافرالجواد ورمحه ينفذ فى جسد التنين الصريع . وقد تكون صورة البطل الاسلامى وليدة ما تجمع لدى المؤرخين العرب ، والملاحين العرب من تخيل للتنين كرمز لاقوى المخلوقات الضارة فى الأرض أو البحر ، ولكن صورة مارجرجس بعيدة بيئيا الى حد كبير ـ عن هذه المصادر التى توفرت للملاحين العرب . الا اننا نجد فى أسطورة ايزيس واوزوريس الرسوم الموجودة على المعابد الفرعونية ، رسوما لحورس الابن المنتقم ، وهو يصرع « ست » أو « تيفون » اله الشر .. وهو طقس معبدى كان يمارس رمزيا عند تولى كل فرعون جديد .. ويبدو فيه الفرعون ، أو حورس الجديد وهو يضرب برمحه فوق قاربه الملكى حيوانا بحريا ضخما هو ست أو تيفون ليقتله رمزا لانتصاره الدائم على الشر ورمزا



التنيـــن

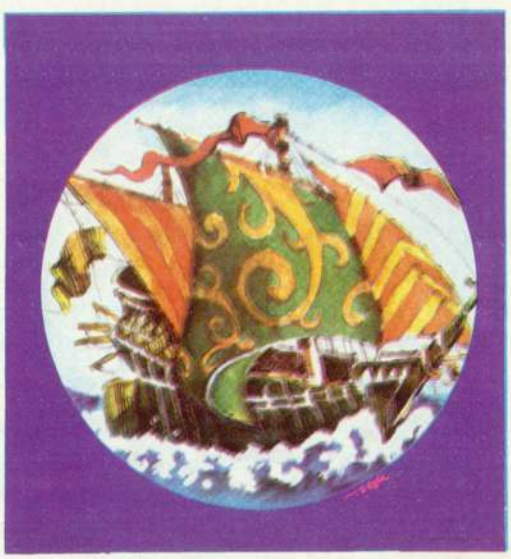
الذين رأوا التنـــين على صـــورة حيّة سوداء .. والذين تصوروه ريحـا سوداء في قاع البحر !

لاحقيته بتولى العرش ، عرش حورس المنتقم . ويبدو ست فى هذه الرسوم على هيئة حيوان بحرى ضخم قريب الملامح جدا من فرس البحر الذى كانت تعرفه مياه النيل حتى الصعيد فى العصور القديمة .. ونحن نشهد حيوانا مائيا ضخما هوالهايشه فى سيرة سيف بن ذى يزن التى يعلو ظهرها فى حذر وهى نائمة وعند الفجر تتحول بجسدها الى ناحية الشمس فتنقله بهذا من شاطىء الى شاطىء عابرة به عرض البحر الممتد الكبير ... وهذه القصة الواردة فى سيف بن ذى يزن شبيهة بحكاية عمران الذى عبر البحر متعلقا بظهر دابة بحرية ضخمة ، يوردها المسعودى فى الجزء الاول من مروج الذهب فيقول : « منها خبر عمران الذى صعد فى النيل ، فادرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة فعلق بشعرها ، وهى دابة ينجر منها على الارض شبر من قوائمها تغادى قرن الشمس من بين بدء طلوعها الى حال غروبها ، فعبر على ما وصفناه من تعلقه بشعرها ـ البحر ، ودار بدورانها طلبا لعين الشمس ، حتى صار الى ذلك الجانب ، فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة » الا أن المسعودى يحترز فيما يحكى فيعقب قائلا . « الى غير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ».. وللمسعودى نفسه رواية عن التنين فيقول فى حديثه عن بحر الاعاجم .« .. وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين ، وكذلك بحر الروم ، فالتنانين فيها كثيرة ، وكثيرا ما تكون بما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من جبال انطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ..

وعلى هذه الرواية وللمسعودى يصبح تعرف بحارة البلاد والمطلة على البحر الابيض للتنانين أمرا واردا وتصبح التنانين لا ظاهرة خاصة بالمحيط الهندى ولكنها ظاهرة ممتدة حتى بحر الروم وسواحله . ويسهل التعليل فى هذا لظهور التنين فى أشعار فرجيل أو فى الرسوم المصرية حول مارجرجس أو الرسوم العربية حول الامام على بن ابى طالب ، ويستمر المسعودى محددا أماكن ظهور التنين فيقول : « وليس تعرف التنانين فى البحر الحبشى ولا فى شىء من خلجانه من حيث وصفنا فى نهاياته ، وأكثرها ما يظهر مما يلى بحر اقيانوس .

حقيقة التنين

وفى الوقت الذى انساق فيه المؤرخون فجمعوا بين الأسطورة التى هى من نسج الخيال ، وبين الواقع الذى هو من المشاهد والعاين ، لكان المسعودى حذرا ومدققا حين علل للتنانين فاجاد التعليل ، فذكر الحقيقة الى جوار الخيال .. واورد الامرين معا ، تاركا للعقل أن يقبل ما يلائمه ، وللخيال ان ياخذ ما يروقه .. فيقول: « وقد اختلف الناس فى التنين . فمنهم من رأى أنه ريح سوداء تكون فى قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الخلو ، فتلحق السحب كالزوبعة . فاذا ثارت الارض واستدارت ، واثارت معها الغبار ، ثم استطالت فى الهواء ذاهبة الصعداء وتوهم الناس انها حيات سوداء ، وهذا كما ترى هو الرأى المتفق مع العلم الى حد كبير . فالدكتور سيد حسن شرف الدين يقول فى كتابه البحر والناس فى تعريفه التيارات البحرية بانها عبارة عن حركة كتلة من الماء فى اتجاه معين فينشأ عن ذلك وجود انواع كثيرة من التيارات البحرية موجودة فى البحر نتيجة وجود العوامل المتعددة المؤثرة على حركة المياه. فالرياح والأمواج والمد والجزر وتغير الكثافة فى الطبقات المختلفة للبحار والمحيطات والضغط الجوى والقوى الداخلة بين جزئيات المياه ، كلها عوامل تؤثر فى حركة المياه ثم يقسم هذه التيارات الى (١١) نوعا من أنواع التيارات البحرية ويقـــول « ومن جهة أخرى فان التيارات البحرية تنقسم الى تيارات أفقية (سواء كانت تسير على السطح أو تحته فى مستوى أفقى) وتيارات رأسية (سواء كانت صاعدة أو هابطة) ، ومن حيث الحرارة فان التيارات تنقسم الى تيارات دافئة واخرى باردة .



فالمسعودى لم يجانبه الصواب فى هذا الرأى الى حد كبير ، الا انه ينقل لنا الى جواره حديث الخيال الشعبى فيقول « ومنهم من رأى انها ـ أى التنانين ـ تتكون فى قعر البحر ، فتعظم وتؤذى دواب البحر ، فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها ، وانها على صورة الحيه السوداء لها بريق وبصيص ، لا تمر بمدينة الا اتت على مالا يقدر عليه من بناء عظيم او شجر أصيل ، وربما تتنفس فتحرق الشجر الكبير فيلقونها فى سد يأجوج ومأجوج ، ويمطر السحابة عليهم ، فيقتل ذلك التنين . فمنه يتغذى يأجوج ومأجوج ، وهذا القول يعزى الى ابن عباس .. وهذه العبارة الأخيرة تبرىء ذمة المسعودى مماحكى من أسطورة التنين .

أعظم من الفيل

وواضح أن الخيال الشعبى رصد هذه الظواهر البحرية ثم علل لها بطريقة التجسيمية بوجود هذا الوحش الخرافى المخيف . ثم وصفه بما رآه جديرا من صفات مهولة ينكرها العقل والمنطق . وقد رصد كاتبنا العربى الكبير أبو عثمان عمر بن الجاحظ فى كتابه «الحيوان» حركة العقل الشعبى حول التنين فقال فى الجزء الرابع من هذا الكتاب : «ولم يزل أهل اليقاع يتدافعون أمر التنين . ومن العجب أنك تكون فى مجلس وفيه عشرون رجلا ، فيجرى ذكر التنين فينكره

التنيـــن

بعضهم ، وأصحاب التثبيت يدعون العيان . والوضع القريب ، ومن يعايشه كثيرا ، وهذا اختلاف شديد .. «ويؤكد الجاحظ احساسه بان التنين من نسج الخيال ، وان اسراع الناس الى تاكيد وجوده ضرب من الخلط الشعبى واحاديث المجالس فى قوله فى موضع اخر : «ومثل شان التنين مثل امر فرانق الاسد ، فان ذكره يجرى فى المجلس فيقول بعضهم ، انا رايته وسمعته » وفرانق الاسد ضرب من الوحش ابتدعه الخيال الشعبى ايضا ، وزعم انه يتقدم الاسد ويرشده الى فريسته . الا ان الجاحظ يذكر تنين انطاكية او اعصار انطاكية الذى نكره ياقوت الحموى واوردناه من قبل ، وهو يرى ان ما حدث فى انطاكية ثبت اسطورة التنين فى الخيال الشعبى فيقول : «ومما عظمها وزاد فى فزع الناس منها . الذى يرويه اهل الشام واهل البحرين واهل انطاكية وذلك انى رايت الثلث الاعلى من منارة مسجد انطاكية اظهر جدة فى الثلثين الاسفلين ، فقلت لهم : ما بال هذا الثلث الاعلى اجد واطرى ؟ قالوا : لان تنينا ترفع من بحرنا هذا ، فكان لا يمر بشىء الا اهلكه ، فمر على المدينة فى الهواء ، محاذيا لراس هذه المنارة ، وكان اعلى مما هى عليه ، فضربه بذنبه ضربة حذفت من الجميع اكثر من هذا المقدار ، فاعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختلف فى المنظر ويضيف لنا الفيروز بادى فى القاموس المحيط الى الصورة الشعبية اضافات جديدة حيث يقول «والتنين كسكيت حية عظمية وبياض خفى فى السماء يكون جسده فى سته بروج وذنبه فى البرج السابع دقيق اسود فيه التواء ، وهو يتنقل تنقل الكواكب الجوارى وفارسيته هشتنبر . وقول الجوهرى موضع فى السماء وهم» . فهو يتفق مع الجاحظ فى اعتبار التنين من الحيات وينقل عن الجوهرى انه نجم فى السماء ولكنه ينكره عليه . والجاحظ يرى ان التنين من اعظم الحيات حتى ليحاج اعداء الفيل به من يزعمون ان الفيل هو اعظم الحيوانات قاطبة فيقول فى الجزء السابع من الحيوان على لسان هؤلاء الاعداء : »قد اجمعوا على ان اعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان ، وحكوا عن عظم بعض الحيات ، حتى الحقوه بهما ، واكثروا فى تعظيم شان التنين ، فليس لكم ان تدعوا للفيل ما ادعيتم »... فالتنين اذن اعظم من الفيل واضخم جسدا ..ويرد صاحب الهند المدافع عن الفيل فينكر وجود السرطان ثم يقول «واما التنين فانما سبيل الايمان به سبيل الايمان بعنقاء مغرب . وما رايت مجلسا قط جرى فيه ذكر التنين الا وهم ينكرونه ، ويكذبون المخبر عنه ، الا انا فى الفرط ربما راينا بعض الشاميين يزعم ان التنين اعصار فيه نار يخرج من قبل البحر فى بعض الزمان ، فلا يمر بشىء الا احرقه ، فسمى ذلك ناس (التنين) ، ثم جعلوه فى صورة حية . فالجاحظ هنا ينكر تماما وجود التنين الحيوان او الثعبان ، وان كان لاينكر وجود التنين الظاهرة ، ولعله يقترب من الحقيقة كثيرا حين يؤكد ان الخيال الشعبى ذهب الى تصور التنين فى صورة حية ، وان كانت المسالة لا تزيد عن خلق الخيال ، وابداع للتصور الشعبى .. وقد ذهب بعض الدارسين الى افتراض ان يكون البحاره القدماء قد راوا وحشا من وحوش اعماق البحار عاش فى هذه المنطقة قبل ان ينقرض نهائيا . وانهم وصفوا من شكله ما تبقى فى ذاكرتهم من رؤيتهم له ، الا ان هذا الراى بعيد الاحتمال . اذ تقول باحثة الأحياء المائية الامريكية «بى . م . هخت».. فى كتابها «الثعابين» من ترجمة الدكتور عبد الحليم كامل : «انها لحقيقة ان هناك مخلوقات بحرية كبيرة لا يعرفها الكثيرون منا ، فهناك (حبارى) عظيم ينمو الى خمسة عشر مترا . الا انه من المشكوك فى ان يكون هناك مخلوق ما يظهر على السطح ويراه الناس وغير معروف للعلم ولكنك قد تقول ان المحيط كبير جدا وعميق جدا . وقد يكون هناك بعض من وحوش ما قبل التاريخ تعيش فى القاع . وقد يصعد واحد منها الى السطح مرة فى فترات بعيدة جدا فيراه البحاره مصادفة وهذا بعيد الاحتمال تماما ، لان كثيرا من المخلوقات العجيبة الكبيرة والصغيرة قد اخرجت من الأعماق المظلمة للمحيطات الى السطح ، وقد وجد ان كل هذه المخلوقات مهياة للضغط المروع التى تسببه المياه التى ترتفع الافا من الكيلو مترات فوقها . وعندما يصعد حيوان من الأعماق السحيقة الى السطح فانه ينفجر ، لأن الضغط على السطح اقل كثيرا حتى اذا كان هناك وحش من وحوش ما قبل التاريخ مختبئا بين حافات الجبال العظيمة الموجودة تحت الماء فانه لا يستطيع الصعود الى السطح ولو لمدة دقيقة واحدة .»

تجسيد الظاهرة

فهذا الافتراض اذن مرفوض ولا يبقى الا تعليل الجاحظ والمسعودى ، وهو الذى يرجع اسطورة التنين الى رصد البحارة للاعصار الراسى او التيفون ، ثم اضافة الخيال الشعبى للظاهرة تفسيرها التجسيدى .. ويضيف تقرير الجاحظ ان هذا الخيال جسد الظاهرة على صورة حية او ثعبان تفسيرا لما وصف فى التنين من رؤوس متعددة اذ تقول نفس الباحثة الامريكية عن الثعابين : «وليس لثعابين البحر خياشيم ولهذا فهى لابد أن تصعد للسطح للتنفس ، ولهذا يراها الناس وهم فى البواخر غالبا فى مجموعات من اعداد كثيرة احيانا ، كما أن اضواء المركب تجذب هذه الثعابين فى الليل » .

الى هنا تكون كل الاحتمالات لتعليل الظواهر التى اعتمد عليها الخيال الشعبى قد اكتملت ولكن يظل دائما هذا الخيال دائما فوق كل تعليل واحتمال الامر انه كان محتاجا الى هذا الوحش البحرى الضخم ليرمز به الى القوى المخيفة والمجهولة التى يصارعها البطل ليؤكد تفوقه الدائم على كل صور الشر وان عظمت ، وان فاقت كل ما هو مخلوق بالفعل من صور البطش والقوة ، وكل ما هو موجود بالفعل من صور العسف والشر المقيـم . فالانسان دائما هو الاقوى وهو الاقدر ، وهو هازم الشر وصانع الحياة.

فاروق خورشيد

محاورات بين الحمامة والانسان

تذكرنا بالحكيم وحماره .

وكليلة ودمنة

أفيروف ...أديب من اليونان
مغامرات حمامة تطير كالسهم

د. نعيم عطية

يحتل ايفانجلوس افيروف مكانة مرموقة فى الادب اليونانى المعاصر كقصاص وروائى . وقد ولد افيروف عام ١٩١٠ ودرس القانون والاقتصاد بجامعة لوزان بسويسرا . وشغل فى بلاده عدة مناصب وزارية هامة منها منصب وزير الخارجية ثم منصب وزير الدفاع فى الحكومة الحالية . ولم يعقه اشتغاله بالسياسة عن مواصلة عطائه الادبى . فاصدر اعمالا روائية ومجموعات قصصية ترجم عدد منها الى لغات اجنبية . وفى مقدمة اعماله الروائية روايته بعنوان «صوت الارض» التى صدرت باثينا عام ١٩٦٤ وترجمت الى الفرنسية عام ١٩٦٨ اما من اعماله القصصية فيبرز كتابه «مغامرات حمامة تطير كالسهم» الذى صدر عام ١٩٦٨ وترجم الى الفرنسية عام ١٩٧٨ وقد منحت الاكاديمية الفرنسية ميداليتها الذهبية الى افيروف تقديراً له عن هذا الكتاب .

مغامرات حمامة

و «مغامرات حمامة تطير كالسهم» متابعة قصصية تدور على محاورات طلية بين الحمامة والانسان ، مما يذكرنا بالحوار الذى يدور فى ادبنا العربى بين توفيق الحكيم وحماره . ويبين من المودة التى تنضح بها صفحات الكتاب والمعرفة الغريزية باحوال الحمام لان المؤلف من هواة تربيته . وهو يربى تلك السلالة اليونانية من الحمام المسمى «الحمام السهم» فى ابراج بلدته «يانينا» بشمال اليونان . ولا يتردد القارىء ان يقرر لنفسه ان السيد ايكار الذى يمتلك فيلوس الحمامة بطلة اقاصيص الكتاب هو ذاته افيروف الذى زاره الكاتب الفرنسى الشهير موريس دريون مؤلف «مذكرات زيوس» فى بلدته . وعرف فيه رجلا جبليا يعتز بطباع القروى الشهم وليست تربية الحمام الا دليلا على التمسك برياضة شعبية محببة الى اهل الشمال فى اليونان ، وهى سباق الحمام .

وقد اتخذ افيروف من هذا التقليد الشعبى ، ومن المامه بحياة الحمام ، تكاة ليكتب اقاصيص تذكرنا ضمن ما تذكرنا بصفحات من كتاب «كليلة ودمنة» من خلال مقارنته بين حمام بلدته هذا والحمام السياحى الارستقراطى الذى يحيا مترهلا مسترخيا فى ميادين فينيسيا ولندن استطاع افيروف بطريقة غير مباشرة ولكنها نفاذة ان يمجد الانسان المكافح الفقير الذى يرنو الى التفوق ويصنع نجاحه رغم الصعاب، وقلة موارده .

رؤية الشاعر للوجود

واذا كان افيروف رجل حكم وسياسة ، ويضمن قصه فلسفة وحكمة ، الا انه بالاخص يعطينا رؤية الشاعر الى هذا الوجود . ويشبه افيروف دموع الشعراء بحبات الماس . ماذا يفعل فيلوس ليواسى الشاعر الشاب الذى تركته حبيبته على اريكة فى حديقة يذرف دموعه ؟ راح يقضم بمنقاره من على الارض الحشائش التى علقت بها دموع العاشق المهان . وفى حوار موح بين الشاعر والحمامة ، وقد تاثر بلفتتها الرقيقة ، يقول الشاعر ان كل احزان الانسانية تجىء من تجاهلها ذلك الكنز الذى لا ينضب داخل قلب الانسان . انه كنز الطيبة والحب .



ويدعونا افيروف الا ننسى او نتجاهل هذا الكنز حتى فى اللحظات التى يبدو لنا انه غير موجود . ويؤكد لنا افيروف الشاعر الذى يكتب قصائده نثرا وباسلوب رمزى هذه الحقيقة فى اكثر من مناسبة . وفى فقرة اخرى من مغامرات فيلوس يلتقى الطائر بشاعر استغرقتهكتابة قصيدته فلم يشعر بالبرد ولا بالجوع والتعب ، وراح يتطلع الى الخلود على جناحى كلماته . ويوجه اليه فيلوس من اجل ذلك تحية تقدير واكبار . اما الفقرة التى تترجم عن حقيقة افيروف الاديب الذى نزل الى معترك السياسة فهى تلك الفقرة التى يقول فيها فيلوس لسيده ايكار ان تجاربه فى الحياة واسفاره العديدة والبعيدة قد علمته ان اهم ما على ذوى النفوس الابية هو ان ياخذوا على عاتقهم تحقيق الرسالة التى امنوا بها . وما هذه الرسالة على وجه التحديد ؟ انها تحويل الافكار والقيم الى انظمة اجتماعية تحقق للبشر ما تاق اليه الشعراء الاصلاء على مر العصور من خير وجمال وعدالة .

الحياة السهلة

واذا مضينا نقلب صفحات كتاب افيروف بعنوان «مغامرات حمامة تطير كالسهم» نلتقى فى الفصل الثانى منه بواحد من حمام فينيسيا المدلل يخاطب فيلوس بطل تلك المغامرات فيقول «على وجه العموم ، اننا لا نفعل سوى ان ناكل ونغوط وننام . وما الذى نحتاجه فى الحياة غير ذلك ؟ اننا كى نطير ننزل من ماوينا ، وكى نحط على الارض وناكل . كما اننا نطير ايضاً كى نعود لنستريح وننام . ولكننا لا نصعد ابداً الى ما هو ابعد من اعشاشنا . وما الذى يدعونا ان نذهب لنعرض انفسنا للريح ؟ ولماذا نرهق انفسنا بالطيران بعيداً الى هذا الحد ؟»

هذه هى الحياة السهلة ، التى توصل اصحابها الى البلادة ، رغم امارات الغطرسة

مغامرات حمامة تطير كالسهم

البشر حمقى ، دمويون
ولكن الحب والجمال ينتصران
وفيهما خلاص الانسانية

البادية . «ما الذى نحتاجه فى الحياة سوى ان ناكل ونغوط وننام» فكر فيلوس لحظة . بطبيعة الحال ، مادام ان هذه طريقتهم فى تبسيط الامور والتهوين من شانها ،فمن الصعب ان يقال لهؤلاء المتبلدين الذين اعماهم الغرور الكاذب عما هم بحاجة اليه فى هذا الوجود حقا .

رمق فيلوس بازدراء الحمام المحيط به فى ميدان سان مارك بفينيسيا ، وفتح جناحيه وطار بحمية . وعندما التقى بالحمامة سالها «اسباسيا» وزوجها «بيريكليس» فى كورفو ، قالا له «انك التقيت فى فينيسيا باولئك الذين يعتصمون بامجاد اسلافهم ، ويؤسسون ادعاءاتهم على هذه الامجاد الماضية فحسب ، دون ان يؤدوا هم شيئا يمجدهم . وعندئذ ، فهؤلاء لانهم لا يعتمدون فى وجودهم على انفسهم فسرعان ما يفسدون وينحلون».

الدرس الأول

وعندما حط فيلوس على كتف تمثال الاميرال نيلسون فى احد ميادين لندن ، وتبادل معه الحديث تلقى الدرس الأول من الاسفار التى خرج اليها بغية التعلم وجني الحكمة . وهذا الدرس هو ما عبر عنه فيلوس فى قوله الى سيده ايكار «عندما لا يعرف المرء قيمة ما لديه ، يضرب هنا وهناك ، جرياً وراء شىء مثير . أما الآن ، فانى اعرف ماذا لدى . هيا ، فلنعجل بالعودة الى بلدنا» .



وفى رحلته الثانية يتلقى فيلوس درسه الثانى ، ويكتشف بعضا من اخطر مثالب الوضع الانسانى : ان البشر تحركهم شهوة القتل . فهم فيلوس لماذا تنشب الحروب . انها تقوم لا لمسائل تتعلق بالحدود والمستعمرات والاقليات ، بل لان الانسان ــ ربما دون ان ينتبه الى ذلك ــ مخلوق دموى يتلذذ بمغامرات القتل . منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف عام ، لا يكف البشر عن القتال،انهم يتثقفون ، يبنون حضارات ، يشيدون امبراطوريات . ولكن على الرغم من كل شىء فانهم يشنون الحروب على الدوام ، ويقتتلون .

ولكن التعميم فى الاحكام مجاف بدوره للحقيقة فليس كل البشر قتلة بلا ضمائر . ويصوب فيلوس نظرته الى الامور عندما يلتقى براعى الاغنام الشاب الذى راح يجوس ببطء وسط اغنامه يربت على ظهر شاة ، ويغرس قبضته فى الجزة الكثيفة لشاة اخرى ، ويطعم الخراف من يده ما يسيل له لعابها فترفع بعضها رؤوسها نحوه وتجيب على حدائه بثغاء ينم عن الفرحة . كل شىء حول هذا الشاب يبعث الامان الى القلوب ، وينشر السلام فى ارجاء الوادى .

حماقة البشر

ويخرج فيلوس فى رحلته الثالثة . وكانت رحلة بعيدة واجبارية فقد سحبته قوة خفية ، ربما بفعل صاروخ او قمر صناعى ، والقت به الى كوكب آخر غريب . وفى رحلته هذه يعرف فيلوس المزيد عن اهل الكرة الارضية . انهم منقسمون الى الآف المعسكرات المتعادية . لم يكفوا طوال عصور عديدة عن الحروب والتناحر . واليوم يعانى مئات الآلاف منهم البؤس الشديد ، حتى ان كثيرين منهم يموتون جوعا . ليس على الكرة الأرضية اى تقدم علمى ، او ان شئنا الدقة ، هناك القليل جداً من ذلك التقدم . على الارض مرض يفترس اهلها ــ يطلقون عليه السرطان وكان الأجدر بهم ان يعرفوا طبيعته . وكل شتاء منذ قرون ، تسبب الانفلونزا للناس اضراراً جسيمة ، ومع ذلك فهم عاجزون عن القضاء عليها لو ان اهل الارض كرسوا كل مواردهم المعنوية والمالية لحل هذه المشاكل لوجدوا السعادة ، ولكنهم عنها بعيدون . مواردهم يستخدمونها فى بناء الصواريخ . ينفقون عليها مبالغ فاضحة ، ربما كفت لتخليص البشر من اوجاعهم .

ولكن اذا كانت الحماقة هى الصفة الغالبة على اهل الارض . الا ان هؤلاء لا يخلون من بعض الذين يتمتعون بتصور نبيل للوجود . ومن ثم ليس من المستحيل ان تنتج الكرة الارضية يوما ما شيئا خيراً وجميلا ، وان يتوصل هؤلاء ذوو التصورات النبيلة الى فرض رأيهم فى النهاية ، فالغلبة للخير مهما طال الأمد .

ولنر الآن بعض نواحى الخير الذى يرجع للبشر . عندما يلتقى فيلوس بالمعلم الرومانى فى رحلته السابعة يعرف ان خلاص البشر فى ان يعرفوا ان الجمال والحب وحدهما هما الخلاص ، ومهما ادلهمت الخطوب سينتصر الحب فى النهاية ، وستزول الكراهية والحروب ، وذلك متى انغرس فى النفوس الايمان بالخير والجمال . ودعاة الحروب هم الأقلية، وسوف يوجد فى كل مكان معلمون يعلمون الحب على تلقين الكتابة . ففى المدارس ، وعلى الاخص رياض الاطفال ، تزرع بذرة الحب فى النفوس . وعندما يشب النشء الذى احسن تربيته فسيقف سداً منيعاً فى وجه حروب جديدة .

ويذهب فيلوس الى كورفو حيث كانت تقوم مكتبة من اكبر المكتبات العامة ، ولكن قنابل الحرب العالمية الثانية دمرتها وخلفتها اطلالا . وهناك يتعلم فيلوس كيف تحيا رصانة الفكر على الرغم من ويلات الحروب . ويعود الى سيده ايكار لينادى معه بضرورة حث المسئولين على اعادة بناء وتزيين تلك المكتبة القديمة الشهيرة . ويتاكد فيلوس ان الاهداف النبيلة بحاجة الى عمل من اجل تحقيقها وجهد يبذل لادخالها الى حيز التنفيذ . على ان الفرحة والامل هما وحدهما القادران على ان يسارعا باللقاء والتضافر بين الفكرة الموجهة والحركة من اجلها .

السعادة بالحب

ويرق اسلوب افيروف عندما يتطرق الى حديث الحب . ويعرض لنا تحت عنوان «فى الطريق الى السعادة الحقة» حباً رمزياً بين زهرة زنبق وشجرة ورد على سفح جبل عال . فتقول شجرة الورد فى مشرق الصباح لزهرة الزنبق :

ــ يوم صاف يبدأ . ما طلع النهار الا كى اتدلله بحبك .

ويجيبها الزنبق :

ــ فلنحمد الله الذى منحنا مثل هذه الليلة الجميلة . وهو يعدنا الآن بنهار لا يقل عنه جمالا .

ويستطرد الزنبق قائلا :

ــ عندما يشرق يوم جديد يلوح لى اننى سوف احبك فيه اكثر مما احببتك اليوم السابق .

ويصف افيروف الطبيعة الجبلية بحب شديد فيقول فى فقرة من كتابه «رويداً رويداً ، امتدت الظلال وعتمت ، واصبحت زرقة النهار فى لون الرماد . هبت نسمات خفيفة نقية ومعبقة بالأريج

رؤيـة شاعريـة للوجـود
تمجـد الانسان المكـافح
المتطلع إلى التفوق

وبدلا من أن يبدو الليل الصخرى اكثر جهامة مع مقدم الليل ، اضحى على العكس رقيقا ، كما لو كان قد استسلم للنوم بدوره ، ولكنه قبل ان يروح فى النوم تصاعدت من اخمص الجبل وسفوحه آلاف الاصوات الخفيضة ، بدت كما لو كانت هذه الهمهمات العديدة تتماوج مع الريح . او ربما تهدهد حشائش الجبل الهزيلة وزهوره القليلة ، او ربما تسبح بحمد الخالق على جمال اليوم المنصرم ، او ترجوه ان يكون الغد صافيا وذهبيا ومعطاء مثل سابقه . من الذى بامكانه ان يدرى ؟ ولكن ما كان واضحا ان ثمة احساسا بلغز الأبدية وايضا بالهدوء والسكينة اللذين يسودان المنظر الطبيعى كله . بدا الجبل كما لو كان لا ينتمى الى ارض البشر ، بل الى كوكب اخر ، كوكب للجمال والسلام»

هذه هى الارض التى لا يرضى فيلوس عنها بديلا . ورفض ان يحيا منعما مبجلا على كوكب اخر يفوق الكرة الارضية حضارة وتقدما . ويقول رؤساء ذلك الكوكب « ابق هنا . ستحاط اينما حللت بمراسم الترحيب . ستكون اشبه بملك هناك» فيجيب فيلوس بتواضع :

ـ معذرة ، لكننى ايضا فى بلدتى اشبه بملك . والملك لا يغير مملكته ابدا .

وعندما يقولون له ان الجنة هنا على كوكبنا ، يجيب بان الجنة على الأرض ايضا .

طغيان المادية

وعلى نقيض الحب الصافى الذى تتبادله زهرتا الزنبق والورد على سفح الجبل المقفر ، يقدم لنا افيروف صورة لحب متصدع فى المدينة همس الشاب قائلا لفتاته :

ـ احبك

اجابت الفتاة :

ـ انا ايضا احبك ، لكنك فقير !

ـ من قال انى فقير ؟ إنى امتلك على العكس ثروات كثيرة .

ـ وما ثرواتك هذه ؟

ـ الشمس ، القمر ، الزهد ، احلامى .

ـ طائلة هى ثروتك الى الحد الذى لا يمكنك ان تشترى ولا حتى زهرة واحدة .

قطف الشاب وردة حمراء ، ومد اليها يده بها وقال

ـ عيناك ، شفتاك ، يداك ، هى زهورى انا ..

ـ لا اتحدث عن هذه ، ولكن عن تلك التى يبيعونها فى السوق .

ـ ولكن تلك زهور مصطنعة وبلا عبير .

ـ بالعكس انها لا تذبل ، مثل زهورك . ثم انها (موضة) الآن . على الاخص تلك التى من حرير او قطيفة . تشبكها الفتيات فى شعرهن او على (البلوزة) فيبدن انيقات جدا . هل تستطيع ان تشترى لى زهوراً من هذه ؟

ـ لو كنت تعلمين كم احبك . وددت ان انتزع قلبى واضعه عند قدميك .

سالت ببرود :

ـ وهل سيجد قلبك مشتر ؟

ـ ذهب الدنيا كله لا يكفى لشرائه .

ـ انه لا يساوى فلسا واحدا ، لو اراد احد ان يشتريه .

ـ اننى لم اشر الى ذهب الدنيا اعتباطا يا كنزى العزيز : فالقلب لا يتاجر به . انه لا يباع ولا يشترى .

نهضت الفتاة فجاة . دقت الارض بقدميها ، وقالت :

ـ فاض بى الكيل منك ! قلبى انا للبيع . واليوم عقدت الصفقة ، وغدا ساخطب لاغنى تاجر فى بلدتنا .

استدارت بحركة عصبية ، ومضت بخطوات سريعة مبتعدة .

الحب الانسانى

ثم ينقلنا افيروف فى كتابه «مغامرات حمامة تطير كالسهم» الى صورة مغايرة من الحب :

«فى كرسى مشقق رث ، جلست امراة شابة ، تتشح بشال يلتف حول كتفيها . لم تكن قسماتها جميلة بل عادية . ضمت المراة الشابة بين ذراعيها صبيا صغيراً راحت تهدهده بحركة خفيفة ، بينما احتواها الصغير بنظرة مفعمة بالثقة والسعادة . كانت تهمس فى اذنه مبتسمة



رسالة النفس الأبية هي تحويل الأفكار والقيم إلى
أنظمة اجتماعية تحقق الخير والجمال والعدالة للبشر

بينما راح هو يتاملها معجبا ، متعلقا بشفتيها وعينيها . ما الذى كانت تهمس به اذن ؟ لابد انها حكاية حب ، الحب الذى لا يشترى بالمال ، مهما كان مبلغه ، ومهما كان ثراء من يملكه . الحب الذى يحتوى من الحرارة قدر ما فى الشمس ، ويبثه مثلما تبثه ، بسخاء وبلا حساب .»

انه حب الأم .

ولنر الآن حبا اخر ، حبا نبيلا مثل حب الزنبق والوردة . انه حب الحداد لزوجته وطفله . يريد ان تكون مدفاة بيته كبيرة ومليئة بالاخشاب . تقول له زوجته :

ـ لكنك بذلك تستهلك خمسة اضعاف ، بل عشرة اضعاف كمية الخشب .

ـ ونحصل على متعة ازيد خمسين ضعفا .

ـ ولكنك مضطر ان تضاعف عملك من اجل ذلك . بل من اجل ازيد من سعادتى ، وانا ارى وجنتيك تكتسيان بلون اللهب ، وراحتك تكبر مع كل قطعة خشب القى بها .

نهضت المراة الشابة ، وطوقت عنق زوجها بذراعيها ومنحته قبله .

قال لها :

ـ ارايت يا زوجتى . لست اديبا لكننى ازعم ان فى هذا العالم لا يكفى ان يكون بيتك دافئا ، بل يجب ايضا ان تكون النار فى المدفاة جميلة ومواتية للاستغراق فى الاحلام ، حتى لو احتاجت هذه الأحلام جهداً مضاعفا من العمل .

ـ هذا حق ، هاتان اليدان تعطيانا الكفاية ، ولكن الاحلام لها الأولوية . اذ لو الغيناها فقد كل شىء رونقه .

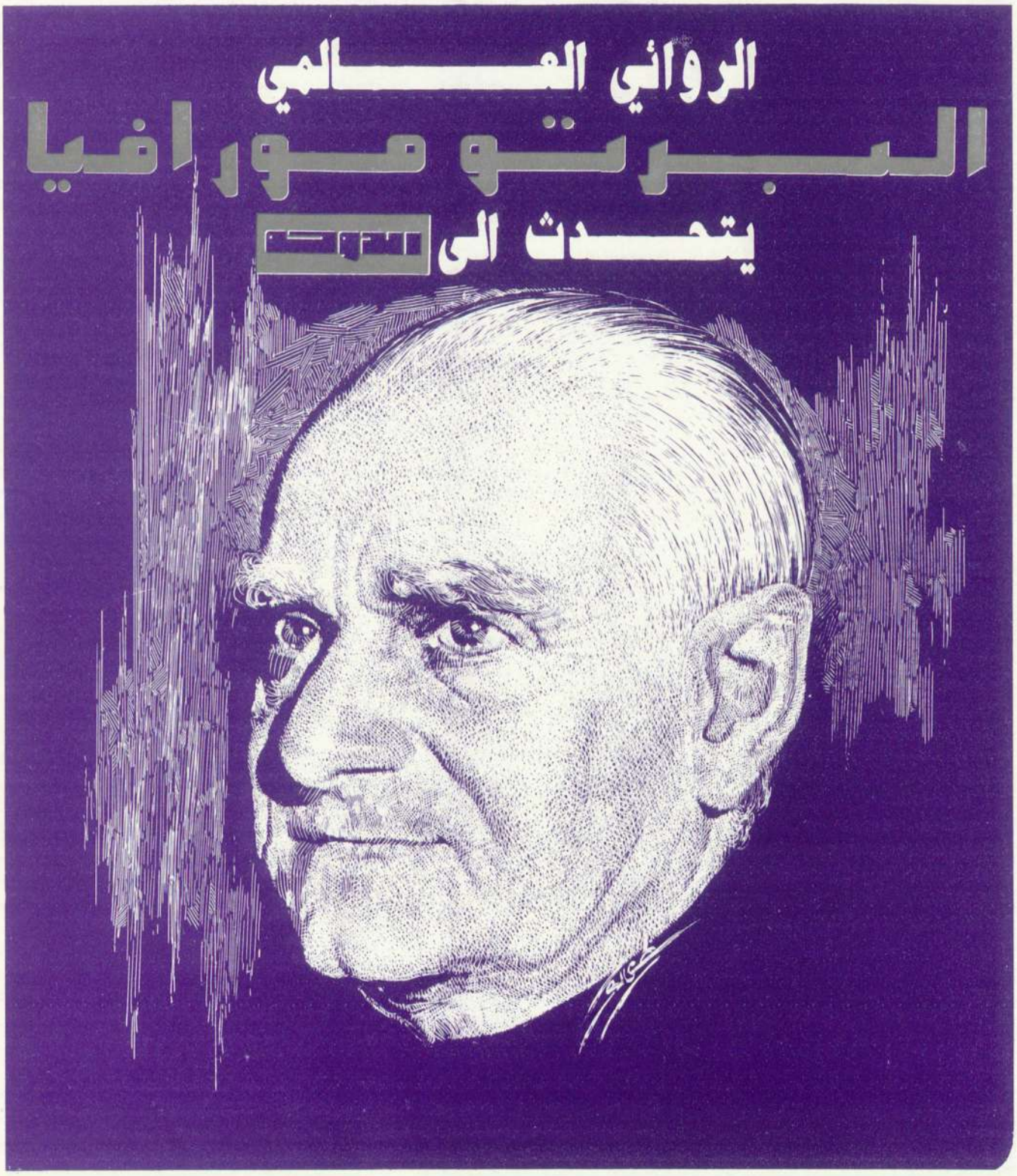
هذه بعض النواحى الانسانية فى كتاب الاديب اليونانى المعاصر افانجيلوس افيروف بعنوان «مغامرات حمامة تطير كالسهم» .

د. نعيم عطية

رسالة روما

محمد سعيد

الروائي العالمي البرتو مورافيا يتحدث الى



• التعامل مع الفكر الاسلامي في حياد يجعلك تدرك قيمته الحضارية

•أبطال رواياتي هم نماذج من البشر يطاردونني بإلحاح !

لم يتح للأدباء العرب أن يتعرف عليهم الغرب لفقر الترجمة

إن زرت ايطاليا ولم تلتق بالروائى العالمى البرتو مورافيا فهذا يعنى انك حضرت الى ايطاليا دون ان تتعرف على اهم ملامحها المعاصرة ، خاصة إذا كانت الثقافة إحدى محاور اهتماماتك .. واللقاء مع الكاتب الايطالي العالمى تحاصره بعض الصعوبات .. لاترجع إليه ؛ فهو رجل بسيط متواضع برغم مايبدو فى عباراته من حدة ساخرة تجاه بعض الامور .. ولكن الصعوبة هى كيفية الوصول الى مورافيا . فهو يفضل الاقامة فى مدينة فينسيا ، لكنه يرحل كثيرا الى العاصمة روما بحكم نشاطاته الثقافية والشخصية ، يتردد ايضا على ميلانو بحكم ارتباطه ببعض دور النشر التى يتعامل معها .. ولايضعك فى الطريق الصحيح فى خريطة الوصول الى البرتو مورافيا سوى ان تجد هادياً لك ممن يعملون فى الكتابة والنقد الأدبى فى الصحف والمجلات الايطالية خاصة تلك التى يكتب فيها مثل صحيفة «كوردى دى لاسيرا » .

● بدأت الحوار مع الروائى الايطالى فى حضور زوجته الشابة .. كان خيط الحوار الأول مستمداً من عباراته فى بداية ترحيبه بي وتحديد الزمن اللازم لاجراء الحوار .. سألته عن مستقبل الانسان العربى فى ظل متغيرات العصر السياسية والاقتصادية والثقافية ؟

– يقول مورافيا : « من يتابع كتاباتى الصحفية فى الفترة الاخيرة ومن يتذكر آرائى التى أوضحتها فى رحلاتى الى العواصم العربية المختلفة خلال العامين الأخيرين يعرف اننى اكره التحيز لفكر على حساب فكر آخر دون أن تكون هناك دوافع واعتبارات قاطعة .. وانا اكره التحيز وارفض التعصب بصوره المريضة .. لكن الأمر ليس دائماً مسألة تعصب .. والتعصب الأسود لايمكن تحمله .. والتعصب هو الشعور بالنقص وأنا مع الرأى القائل ان التعصب هو أسوأ أشكال الانحطاط الدينى لأن فكر الأديان فى الأساس لايعرف التعصب . والمسيحية فى بدايتها عرفت هذا .. والاسلام ايضاً تميز بهذا السلوك الفكرى . وقراءاتى المتنوعة عن الفتوحات الاسلامية خاصة فى الشمال الأفريقى من مصر الى المغرب كانت مطبوعة بصور التسامح وسلوكيات الفروسية . وتميزت بنوع من المشاعر الحضارية . ولذلك لعب العرب من خلال نهضتهم الاسلامية دوراً اساسيا فى استمرار الحضارة الانسانية . وقد حمل العرب التقدم الى الكثير من مناطق العالم فى اتجاهاته المعروفة .

●● قلت للروائى العالمى البرتو مورافيا .. برغم تعاملك المحايد مع الحضارة العربية .. لكنك لم تشارك فى صنع جسر يربط ثقافتنا العربية بالثقافة الغربية ، خاصة وانت مفكر وروائى رائد تجيد اللغات الايطالية والفرنسية والانجليزية ؟

– يرد مورافيا : لكننى لا اجيد اللغة العربية ولم اجد فى حركة الترجمة من اللغة العربية الى اللغات الاوربية ما يجعلنى احدد هذا الدور الذى يمكن القيام به . ولكننى اكتفى بالقراءة باللغات التى اعرفها عن الحضارة والثقافة العربية . اما دور نقل الفكر والثقافة العربية الى اللغات العالمية فهو دور مؤسسات النشر فى بلادكم وفى بلادنا .. ولا اعرف لماذا تقاعست حركة الترجمة فى المنطقة العربية ، والعرب هم اول من حافظ على التراث الاغريقى والرومانى والفارسى بتدوين وتسجيل ثمراته الى اللغة العربية . بل إنهم ساهموا فى نقل تراث حضارة الى واقع حضارة اخرى وهكذا ، اما عن الفكر الأوربى ووصوله الى القارىء العربى فاعتقد انه عبر المدخل الصحيح واستمر من خلاله، من خلال اصحاب الترجمات الفاهمة ممن قدموا من ادباء ايطاليا – مثلا – جوزيه تشزار ابا وبانتسينى وبيراندلو وموراڤيا وسيلفرى .. كما ساهم عدد من المستعربين فى تقريب هذه المسافة الثقافية ، ومنهم عاشق الدراسات الشرقية والعربية الدكتور امبرتو ريتسيانو العميد السابق لمعهد الدراسات الشرقية فى ايطاليا والذى توفى خلال شهر ابريل من عام ١٩٨٠ .

●● قلت للروائى الايطالى العالمى .. الأدب الذاتى والتراجم الشخصية وادب الاعترافات لون هام من الوان التناول الروائى عند كتاب اوربا فى القرنين التاسع عشر والعشرين .. اين مورافيا من هذه الأعمال ؟ وما هى الملامح العامة لتناول مورافيا لحياته الذاتية فى كتاب ؟

– يطول الوقت وانتظر ان استمع الى اجابة البرتو مورافيا .. لكنه يكتفى بتعليق مقتضب .. لم يحن الوقت بعد .. وتتحرك عيناه فى اتجاه تلميذته وزوجته الأديبة «داتشا مارينى» التى تكمل مستلهمة منه بداية الحوار بعد تبادل عبارات قصيرة منغمة بالايطالية .

تقول داتشا مارينى : «مورافيا كتاب مفتوح حسب التعبير الشائع . عمره الآن ثلاثة وسبعون عاماً .. مورافيا هو اسم شهرته وله اسم حقيقى هو البرتو بتكيرلى من مواليد العاصمة روما فى عام ١٩٠٧ .. بدأ مورافيا الكتابة عام ١٩٢٩ وكانت روايته الأولى «اللامبالون» التى يعتبرها اهم اعماله للآن ، وكانت نقداً عنيفاً للبرجوازية الايطالية عندما كانت ايطاليا فى ظل الحكم الفاشستى ورقابته الشديدة »

وظهر صداع التيار الفاشى فى الفكر فى مواجهة مورافيا الذى اختار لنفسه اسلوباً أدبياً يطرح فيه وجود الانسان من خلال شخصيات يهتم بتقديمها فى اعماله الأدبية ، ويجنح الى التحليل النفسى فى توصيفها، ومن خلال رسم الشخصيات حرص مورافيا على الاهتمام بالمواقف الجديدة التى تعطى الانعكاس الصريح لما يدور فى الحياة .. فى البداية تعلق مورافيا باهم اساتذته فى عالم الرواية ، ديستوفيسكى ، كان يميل الى شخصياته الغامضة . لكنه كان يختلف عنه فى وضوح شخصياته وعدم هروبها الى الغيبيات والفلسفيات وما وراء الميتافيزيقا بينما وضحت شخصيات مورافيا من خلال بحثها عن الخلاص وميلها الى السلوك اللامبالى

وفى حياته الخاصة يميل البرتو مورافيا الى البعد عن صخب الحياة العامة . وقد تزوج مرتين الأولى كانت الأديبة الايطالية الكبيرة «إلزا مورافى» والزوجة الثانية – والحديث لا يزال على لسان زوجته – تلميذته المعجبة به الصحفية المخرجة السينمائية داتشا مارينى »

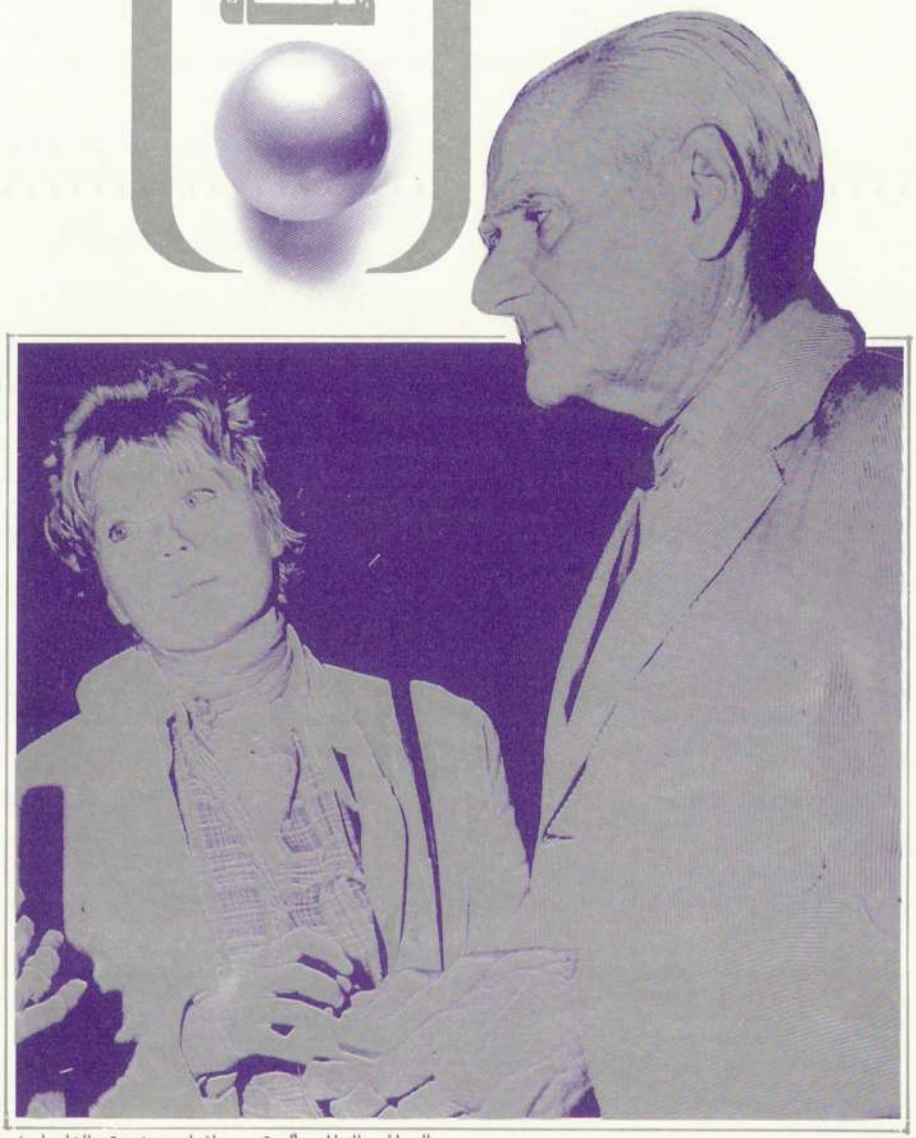
●● قلت للكاتب العالمى البرتو مورافيا .. لا جديد فى ان نقول انك روائى عملاق من اشهر من عرفتهم الرواية العالمية .. لكنك تعمل ايضاً بالفكر والسياسة والثقافة والفلسفة .. فاى الصفات ترى انها انسب لنسمى بها البرتو مورافيا ؟

– من خلال التعامل مع الأدب والصحافة اعتز بان يصفنى النقاد باننى من المفكرين ، لكننى ارفض ان يصنفنى البعض مع الفلاسفة لان موضوعاتى ومنذ بدأت فى كتابة «اللامبالون» هى الواقعية ، لكن فى اوضاع غير معقولة .. واضرب لك مثلا ببطل روايتى «الملل» فهو يقول إن اللوحة التى يرسم عليها خالية .. والفتاة التى يحبها تهرب منه .. لهذا كان الواقع يهرب منه .. والفراغ يحيط به .

●● هذه تساؤلات وليست إيضاحات .. وقارىء رواياتك يحس انك لاتضع اية إجابات عن التساؤلات التى تضعها فى رواياتك ؟

– بعد اكثر من خمسين عاماً على ممارستى لكتابة الرواية استطيع ان اقول لك ان هذه هى شخصيتى .. وحتى شخصيات رواياتى ايضاً لم تتغير ، وهى لا تتغير لأنى «نمطى» وانا آخذ بالتغيير ولكن من خلال قدر ضئيل يبدو من الناحية السيكولوجية . وإذا كان الكاتب يدور حول القليل من الموضوعات فى نشاطه الكتابى لذلك تجدنى ادور حول مفاهيم وافكار التمرد .. العلاقة بين الانسان والحياة اليومية .. وفى افكارى استمد بعض آرائى من ديستوفيسكى وسيجموند فرويد وكارل ماركس والبرت إينشتاين فى اندماج غير محدد .

وانا اضع تساؤلات مفتوحة كما تقول وكما



الروائى العالمى البرتو مورافيا مع زوجته الزا مارينى

سبق ان واجهنى نقاد ادبى اعرف انه لا توجد ردود ولا توجد إجابة للسؤال عن معنى الحياة .. ولماذا الاستمرار . ولماذا الموت . وهى تساؤلات ميتافيزيقية كشخصيات ديستوفسكى يصعب التكهن بنتيجتها برغم استمرار طرحها للمناقشة .. وموهبة الكاتب ان يعرض الحياة مع كل تناقضاتها ويعطى لو لا يعطى رد تساؤلاتها . هذه هى وجهة نظره .. وانا لست فيلسوفا وهناك من يتعاملون بالفلسفة ولهم تصورات واضحة تعوزنى .

●● قلت للروائى الكبير البرتو مورافيا .. قبل ان احضر اليك شاهدت فى دار السينما فيلما خطيراً هو (كاليجولا) الذى كان الجنس والعنف محور حيثه والذى ادى بدورانه فى دائرة الجنس الى انهيار حكمه ومصرعه .. معنى هذا ان الفكر السينمائى يندد بالجنس الذى يهدد الحضارة الحديثة .. والقارىء المتابع لك يلحظ استمرار اهتمامك بالجنس فى كتاباتك وعلى ان الجنس هو الموضوع الذى يطغى على اعمالك وانه الرابطة الاساسية بين انسان واخر فى فكرك .. ما موقفك من هذا الموضوع ؟

– يرد مورافيا بعد ان يعرف رايى فى تكنيك فيلم (كاليجولا) .. «لايغيب على احد ان الجنس امر اساسى فى حياتنا ولهذا كان من بين اواخر اعمالى كتاب «انا وهو» وهو عبارة عن العلاقة بين الرجل وجنسه .. الآن انوى الكتابة عن «الرجل المنفصل» وقد تناولت حالة شاذة لدراستها لاكتشف ان الجنس هو الانقسام بين الرجل ونوعه .. والجنس لا يتبع إرادة الرجل .. لكنه امر تلقائى واحيانا يطيع الرجل الأمر وفى احيان اخرى يعصى هذا الأمر .

●● وفى علاقة الرجل بالجنس الآخر .. كيف كانت صورة المراة فى واقع مورافيا بعيداً عن صورتها فى عالمه الروائى ؟

– تزوجت مرتين وعرفت من خلالها ان للمراة تاثيرامن طراز غير محسوس ، ومن الصعب ان يشرح الانسان حقيقة شعوره بالنسبة الى نفسه او بالنسبة للآخرين .. لكنى فى تعاملى مع الفكر استطيع إدراك المؤثرات ولهذا اجد نفسى اكثر وضوحا ، فليس من الحكمة ان تدخل الناس فى متاهات هم فى غنى عنها ولهذا اكتفى بالتبسيط وانا اقول لك إن المراة لها فى افكارى تاثير واضح فى نمو وتطور مفاهيمى ، وفى ايجاد التوازن النفسى مع ذاتى ومع المجتمع من حولى .

●● لم اضف جديداً الى معلومات البرتو مورافيا عندما ذكرت له انه يتمتع برصيد ضخم من معرفة الناس به واهتمامهم بادبه فى المنطقة العربية ، لكنى قصدت من ذكر هذا ان اعرف من وجهة نظره تفسيراً لذلك .

– رد مورافيا قائلا : «لعلها السينما التى حولت رواياتى الى اعمال فنية .. ولعلها جودة الترجمة من الفرنسية او الايطالية الى العربية .. بل لعل مرجعها حماس بعض نقاد الادب فى العواصم العربية لكتاباتى . وقد يكون هذا ايضا نتيجة اننى اقول رايى بوضوح واحرص على تعميق الموضوع دون الاخلال بشرط الوضوح .. إنها الموهبة التى يحصل عليها الكاتب ثم تصقلها الظروف .. وانا فى صراحة بسيط احب الناس ، اعشق الاقتراب منهم .. ولى زيارات كثيرة لعواصمكم العربية عندما زرت الرياض وقتما كلفت بوضع سيناريو فيلم «البترول والحياة الجديدة» لحساب التليفزيون الايطالى وهو من اخراج برتشيلونى ، وموضوعه يدور حول التغيير الكبير الذى احدثه ظهور البترول فى الجزيرة العربية والخليج العربى .. كما زرت مصر اكثر من مرة كان آخرها فى صيف مهرجانها السينمائى الذى عشت بعض لياليه بين الاسكندرية والقاهرة وانا اعشق الناس ومؤشر هذا عشقى لتعلم اللغات فانا اجيد الفرنسية والالمانية والانجليزية وبعض الاسبانية بجانب لغتى الايطالية وعندى الرغبة لتعلم اللغة العربية .

●● ختمت حوارى مع الكاتب الايطالى العالمى البرتو مورافيا بمعرفة إنطباعاته عن رحيل صديقه المفكر الفرنسى الكبير جان بول سارتر الذى وصف مورافيا فى مقالاته فى مجلة «الأزمنة الحديثة» بانه احد كتاب الوجودية .

.. يسرح البرتو مورافيا فى شمس ايطاليا المشرقة صيفا والساعة تقترب من التاسعة مساء ولا تزال الأشعة الذهبية واضحة المعالم من سماء النافذة ثم يقول : «انا اميل الى كتابات سارتر وكان من اكثر الكتاب وصولا الى نفسى . وميلى الى الكتابات الوجودية ينبع من فكرة اعتقد فيها وهى ان الكاتب الروسى العملاق ديستوفيسكى من رواد الوجودية منذ تعلمت على يديه كقارىء فن الرواية فى «الجريمة والعقاب» .. وعظمة سارتر فى القرن العشرين مثل عظمة ديستوفيسكى فى القرن الماضى فكلاهما لديه القدرة الخلاقة على كشف مداركنا غير الواعية وما يبدو فى ظلال واغوار نفوس الآخرين».

«محمد سعيد»

مع رواد
الفكر العـــالمي

جان جيتون
والزمن والخلـــود

د. رشـــدي نعـــار

لقد ساد تيار الفكر المادى وسيطر بمدارسه على حضارة الغرب متحفظا فى البداية على العصور الوسيطة بميتافيزيقياتها وتجريدها لينتهى بتفنيدها ورفضها . ولكن رغم هذه السيطرة للاتجاه المادى فى الفكر الغربى ، بقى تيار روحى متواضع تمثله قلة نخبوية من قادة الفكر الفلسفى ، تصارع باصرار امواج اغراقها ، مدافعة عن مشروعية بقائها من «بسكال الى برجسن وما تلاهما» على سبيل المثال ، متمسكة بخيطها الروحى الرقيق تزكية بعقلانية واعية محاولة النجاة من يم اعصار المادية العلتية ، ومحيط عواصفها المتسلطة والتى عمت سماء الغرب بسحبها وضبابها كما غطته بانجازاتها التكنولوجية المتطورة التى دعمت طغيانها ليبرالية كانت ام ماركسية ، يمينية ام يسارية . فان كانت اليسارية المتمركزة حول الماركسية تبنت المادية كشعار ايديولوجى فكراً واسلوباً ، فالليبرالية الراسمالية تعيشها حياتياً فعلا وممارسة ، دون ما حاجة لشعار او غطاء ايديولوجى يبرر سلوكها واحتكارها .

فى خضم هذا التسلط العارم للمادية فى الغرب يرتفع صوت شيخ وقور مازال ممسكا بالخيط الروحى وبلستماته ، محاولا مده الى القرن الحادى والعشرين انه «جان جيتون» رائد من رواد الفكر الروحى المعاصر فى اوربا ، والذى ما انفك منذ الخمسينات يدافع بقناعة معقلنة عن انتمائه واختياراته سواء فى السربون كاستاذ او فى جل مؤلفاته ، حتى يومنا هذا فى مقعده بالاكاديمية الفرنسية (مجمع الخالدين) بفرنسا وهو على ابواب الثمانين رغم ثقل الشيخوخة وهمومها . ولقد ساعده اسلوبه «النرمالى» (نسبة لمدرسة المعلمين العليا الشهيرة بباريس) التعليمى ، وقدرته فى التكوين المعمق عبر الفلسفة الاغريقية وفلسفة الزمن والخلود على شرح اطروحته بوضوح مسانداً لما تبقى فى ضمير العصر من قيم ومثل خالدة . يمكن بفضلها تجاوز شهوة الاشباع المؤقت وتكتيك الرغبات الزائلة واستراتيجية الاستهلاك المفتعل ...

كثيراً ما شدنا اليه هذا الشيخ الطيب الوقور وهو يجتاز بهدوء وتامل حديقة «لكسمبورج» الشهيرة فى الحى اللاتينى بباريس وبخطوات مترددة لكنها مستمرة ، تجسد خطوات معاناة الانسان فى حديقة الزمن ، وفى درب الخلود .

لقد حصل جان جيتون بعد الاجازة فى الفلسفة سنة ١٩٢٣ على دكتوراه الدولة سنة ١٩٣٣ عن «الزمن والخلود» وعمل فى التدريس بجامعة منبليه بفرنسا . وسجن عام ١٩٤٠ كمقاوم فرنسى لم يقبل الهزيمة امام طغيان النازية وتسلطها ، وعرف آلام السجن والتعذيب لمدة خمسة اعوام . وعين بعد استعادته لصحته استاذاً بجامعة ديجون ، وفى عام ١٩٥٤ دخل السربون كاستاذ «الفلسفة الاساسية وتاريخها» ثم انتخب عضواً مقيما فى الاكاديمية الفرنسية ، بعد ان حصل على جائزتها ، وكان انتخابه عام ١٩٦١ فى المقعد الذى خلا بوفاة المفكر الكبير «ليون بيرار» ، ومازال يشغل هذا المقعد حتى يومنا هذا .

لقد انطلق جان جيتون من ارضية عقلانية ليطرح فلسفيا الاشكاليات الاساسية للانسان محاولا اعطاء اجابات موضوعية لهذه الاشكاليات مستنيراً بحوار السماء وبالكتب المقدسة ، ولقد اهله تخصصه فى الزمن والخلود عند فلاسفة الاغريق وعند «سنت اوجستينوس» فى مطلع العصور الوسيطة ومن خلال فلسفة «نيومان» ان يتجاوز الغموض الكنسى ، منقيا للميتافيزيقيا مما علق بها من ضباب الالتباس ، مركزاً على مصير الانسان امام صعوبة الاعتقاد فى هذا العصر . ولعل مقارنته فى هذا الموضوع بين رينان ونيومان وموقفهما من الكنيسة ومن تعاليمها ، ومدى التغير الذى يقع فى العرض لا فى الجوهر ، وقدرة تحرك الايمان فى اطار الزمن سلبيا او ايجابيا تعتبر من التفاسير القيمة والجديرة بالدرس او التامل ...

ولقد وقف «جيتون» المفكر الروحى موقفاً مرناً مما اسماه «مشكل المسيح» عليه السلام . ولقد ارتكز على الحكمة (المجلد الثالث من انتاجه) ليقوم بعرض بناء للحب الانسانى كاسمى درجات التسامى بمصيره . هذا المصير المتازم فى الضمير المعاصر بين فورية عطاء التكنولوجيا كمعرفة والعلم كاساس . وبين اشباع غرائزى وتطلع غير موضوعى جعل من الرفاهية غاية لا وسيلة ، بينما الغاية هى تاصيل انسانية الانسان لا تدميرها باسم الترفيه والرخاء . فهل يمكن الرقى للانسان بنفاقه وريائه ، وارتقائه بغشه وزيفه وافترائه ، وتحقيق مصيره بفنائه ؟ ان المجلد الرابع من انتاج «جان جيتون» عن لقاء الاديان وحوار مع الرواد يحاول الاجابة على هذه التساؤلات فى اطار تكثيف المناقشة لا الهروب منها ، وتوضيح كل الابعاد دون خلفيات او مغمضات ومضمرات ، وهذا ما يجعلنا نطرح عقلانية «جيتون» بعد تنقيتها من شوائب التهميش الاغريقى فى تجريده ، والوسيطى المسيحى فى تغميضه ، لنحتفظ بلبها وجوهرها المتحرر من كل التباس ، لتسهم الى جانب العقلانية المسلمة الواعية فى العادة الى صفاء الانسان فى كل مكان ، ليرى حقيقة مصيره امام الزمن المتطلع فى موكب الخلود ، منذ مسيرة الوحدانية الحنفية لابراهيم (عليه السلام) ومعاناة وآلام المسيح (عليه السلام) ليتمركز هذا المصير فى اجل واكمل واتم صورة عقلنته الممثلة فى الاسلام كعقيدة شاملة متكاملة لانقاذه عبر كل الازمنة فى مسار الوجود بما تضمن استمرار اشراق حوار السماء مع الارض ، برضاء من الخالق وارتضاء من للخلوق ، دون قهر واكراه او زلفى وتغميض .

اننا لنتفهم معاناة «جيتون» كمفكر غربى يتحدث عن «صعوبة الاعتقاد» لديهم فى القرن العشرين بل وفى اهم مؤلف له يحمل هذا العنوان ، ونعى مقدار العزلة التى يعيشها كتيار فكرى روحى بين التيارات الغالبة المتسلطة فكراً وشبابا قولا وفعلا باسم المادية فى الغرب ، ونقدر اصراره على الاستمرار فى موقعه والثبات امام كل الاعاصير ، التى تهب من ذات اليمين او ذات اليسار باسم الرفض والاعتراض تارة، واخرى باسم الفوضوية او الانشقاقية او العنصرية او العبثية الواعية ، او البعد الواحد ، او الردة والارتداد ... الى غير ذلك من المسميات الرائجة

جان جيتون

في حلبة الصراع والتفنيد ، وكلها تيارات جاءت كافرازات موضوعية لحركة تاريخ تمرد على هيكليته المتحجرة فانفجر وتفجر بعد ان ازاح عن عاتقه سلاسل القهر والتقوقع والمعاناة في فترة تجاوزت الالف عام من عصورهم الوسيطة المظلمة وحينما اشع العقل العربي المسلم بنوره الى الغرب ليسهم في نهاية الفكر الوسيط القاصر لديهم بتجريده وتجرده ومدرسيته وميتافيزيقيته واغترابه بالتالي عن اشكاليات الانسان والواقع ، فحرك امثال توماس الكوينى كما حرك خصومه من غفلتهم ، وبدات رياح اليقظة والنهضة تهب على النسق الكنسي السكوني متحفظة باسم عقلانية مترددة واجفة في مواجهاتها لتتحول الى بشائر لصحوة ناقدة بمدارسها الفلسفية ، مؤهلة بذلك لعصر الانوار والمعارفين والمنهجين للفكر حول الانسان والطبيعة على حد سواء ، محاولين التساؤل والتعليل بدلا من المسلمات والقياس والتدليل ، والملاحظة والتجريب بدلا من الاستدلال والتجريد ، وبذرت بالتالي ارضية لجذور الرفض وفروعا واغصانا للتمرد ، وضعية او تطورية او داروينية او ماركسية اووجودية وطرحت نفسها كبدائل في حركة التاريخ وجسدت الخطيئة مرة اخرى في المسيحية وما حولها ، بعد المسيح (عليه السلام) واضعة حداً ، وبصفة تحكمية ، لكل حوار تم في غيبة وعي الانسان ، ولكن الغلاة ولكل موقع ولكل عصر غلاته ، اقتنصوها فرصة سانحة ، لتصفية الحسابات مع التاريخ نفسه باسم علمنة وفلسفة التاريخ كل يثار بطريقته وحسب انتمائه واهوائه وتذوقاته او الامه ومعاناته .... وهكذا عزل او انعزل موكب الروحية في الغرب عن الحركة العامة للفكر المؤثر ليصبح موضعاً للثارية وطعناتها فكانت اتات «جيتون» في مؤلفه القيم بعنوان «صعوبة الاعتقاد في هذا العصر . ولكن صعوبة منهم واليهم ...

اما نحن فحركة التاريخ وموكب الفكر لدينا لم يعرفا التحفظ بعد الجمود ليؤول الى مسلسل النقد والرفض والتفنيد وطرح البدائل ، كما حدث لديهم ، فالعقل بالنسبة لنا لم يات بعد قديم ووسيط وانما عاصر وصاحب الوحي من الصيحة الاولى «اقرا باسم ربك الذى خلق» اقرا وتدبر ، ولكن لا تطغى ... وصار موازياً له ومكملا على درب المعرفة والوجود في الاقناع والاقتناع والبرهنة . فان كانوا قد عرفوا في الغرب حوالى الالف عام من الظلمات الوسيطة لتحجر التاريخ وتجمد العقل فقد عرفنا الالف عام او ما يقرب من الانوار : المشرقية والمغربية الاندلسية وبالتالى يصعب التكلم عن صعوبة الاعتقاد في امتنا عبر هذا العصر وانما يصعب العكس ... فعقيدتنا ، ولله الحمد ، اعطتنا قناعة الايمان الواضح والاعتزاز بذاتية التاريخ المشرق في حضور الانسان وفي كل زمان ومكان ، كما اعطتنا نهجاً ووسائل موضوعية في التطبيق بما يضمن استمرارها في بناء صرح الامة المتكافلة وصيانة مكتسباتها ، بتكتل وتلاحم طبقاتها وجمعاتها ، دون ميز او استغلال ويحقق بالتالى توازن وسعادة النفس ، واشراق الذات ، وانقاذ مصير الانسان .

د. رشدى فكار

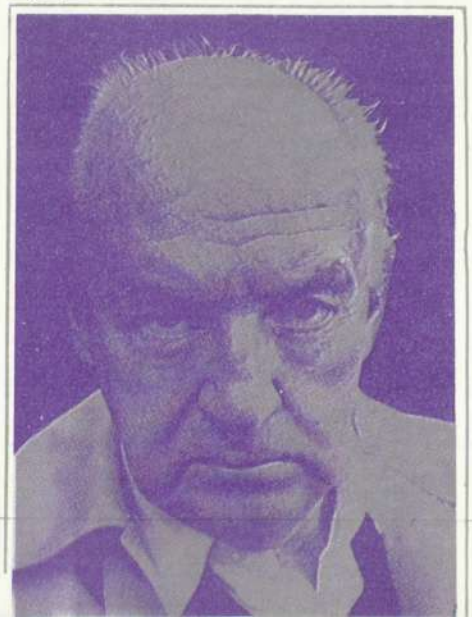
رسالة لندن

نابوكوف

عبد القدوس الخاتم

يقول الناقد الامريكى فرانك اوكنور في كتابه الصوت المنفرد متحدثاً عن ادب الجنس «إن الخطورة في الموضوع تتبدى في ان القصص التى كتبت احتجاجاً على ابتذال الجنس قد تصبح نفسها ابتذالا له .» . ذلك لان الخيط الرفيع الذى يفصل بين الادب الفاضح ـ البورنوغرافيا ـ وادب الجنس لايزال غير مرئى . ولا زلنا في الرواية العربية نعانى نفس المشكلة . فمن الصعب على كثير من القراء التفرقة بين الاستخدامات المختلفة للجنس عند كتاب كنجيب محفوظ ويوسف ادريس والطيب صالح واحسان عبد القدوس وحاتم خورى اى بين البراعة والتدنى الفنيين . وفلاديمير نابوكوف معروف للقراء العرب من خلال الترجمات المتعددة لروايته الشهيرة (لوليتا)

نابوكوف



التى طارت بصيته في الآفاق وجعلته كاتباً مرموقا بين عشية وضحاها . وميزة الرواية ان الجنس جزء من النسيج الفنى فيها ، وهى وثيقة تشريحية بارعة لنفسية مريض .

وقد صدر اخيراً كتاب للبروفيسور اندرو فيلد بعنوان جزء من حياة نابوكوف . والاستاذ فيلد من المتخصصين في ادب نابوكوف . ورغم ان كتابه لايتجاوز كثيراً المعلومات والانطباعات التى وردت في السيرة الذاتية للروائى ، والتى كان قد اخرجها عام ١٩٧١ «تحدثى ايتها الذاكرة» إلا انه يحفل بالمؤثرات التى ساهمت في تكوين ناباكوف فكرياً وعاطفياً : عالمه البورجوازى في روسيا القديمة ، طفولته السعيدة في الريف الخلاب ، حبه الاول ، معلموه حنينه الدافق لمسقط رأسه بعد هجرته ، حتى التفاصيل الصغيرة في حياته ـ كحديث المؤلف عن سكرتيرة الكاتب وخدمه وحمامه اليومى تبدو مرصودة بدأب اكاديمى عتيد .

ومن اهم فصول الكتاب حديثه عن تاثير الناقد العظيم ادمون ويلسون على نابوكوف رغم خلافهما حول موضوع الروائى الاثير «الجنس» فقد كان ويلسون على اعترافه بمواهب نابوكوف يرى ان الاخير يقحم الجنس ليجتذب القراء ويتملق غرائزهم .

ومن ناحية اخرى فان كتاب البروفسير فيلد مفيد ايضا للذين يريدون ان يتاملوا غربة الكاتب عن اللغة ـ رغم تفوقه فيها ـ فقد كان نابوكوف روسياً ذا مزاج سلافى شاعرى يكتب بالانجليزية





الكيلانى



اندرسون

رسالة لندن

ستيفي سميث

هل تستطيع المراة ان تكون شاعرة عظيمة ؟ يزعم الكثيرون ان لا . لماذا ؟ لأن المراة بطبعها العاطفى السريع الانفعال لا تتمكن فقط من تصفية التجربة العنيفة من الزوائد لصبها فى قالب التركيز الهادىء الذى بدونه لا يمكن أن يكون الشعر عظيما ، فهى تعيش فى انفعال مستمر دون توقف موضوعى عاقل يشكم الجموح ويكون اساساً صلباً للمعمار الشعرى . ويدللون باننا لا نملك طوال تاريخنا شاعرات لهن مقدرة او موهبة المتنبى او المعرى او دانتى او شكسبير او شوقى . وبالرغم من ذلك فمن الممكن ان تكون المراة شاعرة مجيدةبشرط الا تخرج عن طبيعتها

إن بعض الشواعر كتبن قصائد جميلة عن تجربة الحب والأمومة والتصوف ايضاً (انظر اديث مستويل وفدوى طوقان وعزيزة هارون مثلا). فالمراة بطبعها على استعداد للتضحية الدائمة فى سبيل من تحب وتتميز تجربتها هنا بالصدق والحرارة . والشاعرة استيفى سميث استطاعت ان تتجاوز ذلك الاطار لتكتب قصائد عليها مسحة من الفلسفة تصل احياناً الى حدود التجريد مع نفور المراة منه . وقد فازت من قبل بجائزة كومونديلى للشعر ومنحت عام ١٩٦٩ مدالية الملكة الذهبية .

وشعرها على السطح يبدو كالنزوة الطارئة الا ان من يحاول سبر غوره يجده غاية فى العمق . انظر الجو العادى الذى يحيط بقصيدتها «من الذى قتل لويس لين ؟» ورغم ذلك يفصح عن معان بعيدة المدى «الببغاء تاكل الجزر، فى قفصها المعلق ، كلماتها تثير الحنق ، فى الاسفل يرقد رب العائلة فى فراشه ميتاً والاخوة اجتمعوا ، همهموا ... يريدون ان ينسوا الكلمات التى غمغمتها الببغاء .. فى قفصها المتارجح العالى صاحت الببغاء : من الذى قتل لويس لين؟ لم يكن ذلك مناسباً ابداً . وهكذا اعطوا الببغاء جزراً لكى تغلق فمها ـ يجب ان تحمد الله انهم لم يكسروا رقبتها .» من الواضح ان الاتهام بقتل لويس لين موجه للجميع .. وليست الببغاء إلا رمزاً للارتشاء والفساد الانسانى .

رسالة لندن

الكتابة للأطفال

لايختلف عاقلان فى اهمية الكتابة للأطفال فهم مصانع المستقبل وحدائقه . واذا ذكرنا ادب الطفل فلابد ان يتبادر الى الذهن رائدان سباقان فى هذا المجال هانز اندرسون وكامل كيلانى . اما كيلانى فقد كان هدفه مزدوجاً : تبسيط وتقريب اللغة العربية للأطفال ثم تنشيط اخيلتهم فى اطار من الموعظة الحسنة . اما اندرسون فكان همه الأول خلق عالم سحرى براق مليء بالحيوانات الأليفة والغريبة يستطيع من خلاله تلقين الناشئة مفاهيمه عن الخير والجمال والحق والعدل . ومن المؤسف ان جهود كيلانى الرائعة لم تجد المتابعة الواعية المتانية فعدا صدور مجلات للأطفال كالسندباد وسمير وغيرها فى البلدان العربية تكاد ان تكون مكتبات الأطفال خالية من شىء له قيمة حقيقية . ومن ناحية اخرى ادى الغزو الثقافى الوافد مع الاستعمار الجديد الى تنشيط حركة المجلات المترجمة كالسوبرمان ، وهى برغم ما يبدو فى ظاهرها من تمجيد للعلم والخيال الخلاق تكمن خطورتها فى تمجيدها للقيم الفردية المنقرضة . نقول هذا بمناسبة اسبوع كتاب الطفل فى لندن والذى اختتم بالقاعة الملكية للاحتفالات بسمنار تحت عنوان «كتب الأطفال .. الماضى والحاضر» وشارك فيه ناشرون من العالم الثالث واستمرت الاحتفالات بالمناسبة طيلة الشهر الماضى فى شتى انحاء بريطانيا ونظمت ضروب المسابقات للاطفال للكتابة لانفسهم بانفسهم . والقيت عشرات المحاضرات بواسطة المؤلفين والمقتبسين والمترجمين وابرزت المكتبات فى واجهاتها الملصقات التى تعلن عن النتاج المستحدث فى هذا الحقل ، وكان عيداً حقا للأطفال اصعب بكثير من مخاطبة الكبار الراشدين ـ فهى تحتاج الى دقة ومهارة لما تحمله فى طياتها من مسئولية خطيرة نحو وجدانات غضة سريعة الالتقاط لكل ما يلقى اليها فهنا يبدو النطاق اكثر ضيقا ومحفوفاً بالمحاذير .

رسالة لندن

مود جون

مود جون المراة التى عشقها الشاعر العظيم ويليام بتلريتس وكانت له مثلما كانت الآنسة مى بالنسبة للعقاد : خليطاً من الرغبة والخوف من الاخفاق على ارضية قاتمة من عقد النقص والتحدى الغامض والمراهقة العقلية . والتى اعادت لشعره الحرارة التى افتقدها زمناً وكانت تجربته معها ساحقة محزنة . ومود جون تذكر فى تاريخ ايرلندا السياسى مع انها لم تكن ايرلندية تماماً . وقد عادت الى الحياة فجاة فى السيرة التى اصدرها عنها صموئيل ليفنسون .

ففى ما يقرب من خمسمائة صفحة يحاول ليفنسون ـ من خلال تحليل دؤوب ممل احياناً ـ ان يرى عصراً باكمله منعكساً على هذه الفتاة العجيبة . وهنا تكمن خطورة هذا النمط من كتابة السيرة، فالمؤلف يجهد نفسه ومصادره فى تتبع الجانب الشخصى من الموضوع مما يوقعه فى شرك التعسير اللاموضوعى للاقوال والمواقف . فقد يكون لمود جون تاثير على عصرها ـ لا احد ينكر ذلك ـ ولكن الخلاف ياتى عند قياس مدى ذلك التاثير . وقد فرض هذا المنهج على المؤلف التردى مراراً فى الاحكام الغامضة اللامبررة «ويبدو ان مود لم تكن باردة الطباع وإلا فان مليو فولى لم يكن ليبقى معها طيلة ذلك الزمن» . مثل هذا التسبب فى التعبير يكفى قليل منه للقضاء على السيرة برمتها .

وناتى الى حيز ما فى الكتاب . اذا استثنينا علاقتها ببيتس ـ وهى قلنا علاقة مؤلمة محيرة ـ اعطاها المؤلف حقها من البحث والتنقير ـ فما سطره المؤلف عن ايامها الاخيرة وكيف اصبحت بعد ذلك فى اربعينات القرن شعاراً ورمزاً مقدساً للحركة الوطنية الايرلندية ـ هو افضل ما يمكن العثور عليه فى الموضوع . اختفت الاحكام الفطيرة وتخلص الاسلوب من الحشو والتهويل . هنا تعود «ابنة الكولونيل» على حد تعبير اوكيس ـ تعود انسانة كالآخرين «تعيش فى منزل ابنها فى ضواحى دبلن قبلة الزوار ، تدخن بشراهة وتكتب الرسائل لمعارفها واصفيائها باسلوبها الايرلندى النابض بالحيوية ، وتطلق الاحكام السياسية يمنة ويساراً » .



برناردشو



بيتس

رسالة لندن

برناردشو

هذه سلسلة ممتعة تصدرها دار بيلنج . تعتمد الحوار فى رسم صورة جلية واضحة الخطوط للشخصية . والحوار يدور بين الحاكى (المؤلف) والشخصية (شو) وبعض خاصة اصدقاء هذا الاخير وابطال مسرحياته وكاتبى سيرته. والحوار هنا مجتز ـ بقدر الامكان ـ من الوقائع التاريخية الثابتة الممحصة دون تزيد مسرحى او روائى . والغرض منه تمكين القارىء من الالمام بالموضوع بعيداً عن الجمود الاكاديمى وحذلقة كتاب السيرة ومعاظلاتهم .

ويدور الحوار بين الحاكى وشو وفرانك هاريس (كاتب سيرته) وشسترتون صديقه اللدود وبعض الشخوص المسرحية . ويلقى الحوار على الرجل العظيم اضواء باهرة فيتبدى واضحاً للعيان تحت الشمس بلحمه ودمه .

ولد شو عام ١٨٥٦ فى دبلن وقدم لانجلترا فى العشرين من عمره . وبعد تقلبه فى عدة وظائف احترف كتابة الروايات الفاشلة فمن جملة سبع لم يقبل اى من الناشرين ولو واحدة منها . وانغمس صاحبنا فى السياسة الى اذنيه وانضم للجمعية الفابية واصبح خطيباً مفوهاً على اتصال بالفكر الجديد فى زمنه ومن جانب اخر اكتسب شهرة طيبة بالنقد الموسيقى الذى كان يكتبه فى مجلتى النجمة والعالم . وقاده الفنان ورجل الدعاوة الكامنان فى حناياه الى خشبة المسرح خاصة بعد اكتشافه لابسن ، او على حد تعبيره «ان استعيض عن المنصة بالخشبة .»

وتعود بداياته المسرحية الى عام ١٨٩٢ «بيوت الارامل» التى كشفت عن بذور خصبة رغم الاستقبال الخامد الذى لقيته من النقاد والجمهور ولم تزدهر سيرورته المسرحية الا اوائل القرن حين اهتم به جرانفيل باركر بالرويال كورت . وفى نيويورك قدم له ريتشارد مانسفيلد «تلميذ الشيطان» فاصبح على جانب من الثراء وطار اسمه فى الآفاق . وفى عام ١٩٠٥ احترف المسرح

وتتناول معظم مسرحيات شو المسائل الاجتماعية والسياسية حتى ليبدو الديالوغ جدالا حاراً بين الشخوص وفى البداية رأى معاصروه فى ذلك منهجاً غاية فى الاملال ، «الجميع يتحدثون ولا احد يفعل شيئاً» اى ان المسرحيات خالية من الحدث . وكتب ناقد التايمز بعد ان شاهد «اندروكليس واللبث» «بالطبع .. انها امسية الاسد . هل نال وحش خطأ مثل هذا من قبل ؟ لا نقصد خلع اندروكليس للشوكة من قدمه . ولكننا نقصد انه الشخصية الوحيدة فى كافة مسرحيات شو التى لا قدرة لها على الكلام !»

ولكن مع مرور الزمن بدأ الناس يحكمون ويفكرون بطريقة مختلفة – فان درامات شو كانت ولاتزال على جانب كبير من الجودة . ومن جانبه فان شو كان دائم التاكيد على ان مسرحه لا يحتوى – تكنيكيا – على شيء مستطرف ووصف مسرحيته عربة التفاح بانها «حقيبة خفية من حبل مسرحية قديمة» . وكرس شو نفسه لمسرح الافكار الذى – فى زعمه – هو الدراما بقضها وقضيضها . لقد راى فى الخشبة منصة تتحرك فوقها افكاره وفى الدراما قوة اجتماعية دافعة . وكان يقول ان ابسن كان كاتبا عظيما لانه كتب «بيت الدمية» وان شكسبير مجرد متامل يسجل ملاحظاته ،

وقد تناول شو العديد من القضايا . ففى «بيوت الأرامل» عالج استغلال الملاك الاثرياء للسكان المدقعين . وفى «الرجل والسلاح» سخر من الروح العسكرية والامجاد الحربية الزائفة . «وقيصر وكليوباترا» دراسة فى الاستراتيجية السياسية . وفى «الميجور برباره» تناول مشكلة الفقر وجيش الخلاص . اما «مهزلة الاطباء» فهى دعوة غير مباشرة لنظام التامين الصحى . وعالج قضايا الزواج فى مسرحية «العرس» . ومن كافة مسرحياته يمكن استنباط ايمانه الوثيق بمساواة الجنسين . لذلك فشخوصه النسوية من اكثر شخصياته تحرراً وتفززاً وحيوية منذ العهد الشكسبيرى . ولا يعنى ذلك ان شو كان يسطر مناقشات مجردة لا يبدو فيها شخوصه اناساً حقيقيين فهم حقا كذلك . انهم يجرجرون خلفهم القضية المثارة فى جميع الامكنة حتى ليشعر المتفرج ان القضية جزء من وجدانه البشرى . وفى الحوار فان الشخصية التى تبدو وكانها ربحت الموقف ليست بالضرورة المدافعة عن وجهة النظر المثارة فى المقدمة . فهى قد تكون اكثر عافية ونضارة فنية من الشخصية التى تملك الافكار الصحيحة . وهنا يتضح ان شو الفنان كثيراً ما يدير ظهره لشو السياسى .

ويبدو ان شو كان يتجه نحو الدين رغم تجديفه فقد كان مثاليا بما يكفى لكى يرفض المسلومات ، وكان اهتمامه بالبشر ذا مسحة رومانطيقية . ومن المقطوع به انه كان يفهم البواعث الدينية بالخبرة والغريزة وليست مصادفة ان تعالج مسرحياته الناجحة المسائل الدينية (الميجور برباره ، القديسة جان) .

ومن العدل ان نسمى شو رجلا متدينا اكثر منه اشتراكيا . وقد اشار ونستون تشيرشل فى كتابه «عظماء معاصرون» الى ان ممارسة شو لحياته كثيرا ما كانت تصطدم بمعتقداته الاشتراكية . وكان طيلة حياته يبشر بالسعادة المثالية ويرى فى الغلبة وسيلة لا غاية فبتمكين كل انسان من العمل والدخل الكافى والمسكن اللائق تحرر الاشتراكية الانسان وتجعله يركز فى قيم اهم . قيم روحية . واسوا مافى الحياة – يقول شو – ان تكون مستغلا بواسطة رجال ذوى عقول انانية لاغراض تعلم انها وضيعة . ومن الناحية المقابلة فان خير ما فى الحياة ان تحفزنا افكار اخلاقية . ولا يستطيعن احد هذا إلا اذا سدت حاجاته الحيوانية الاولية . ولايمان شو بمسئولية الانسان شن هجومه على نظرية الانتخاب الطبيعى الداروينية : البقاء للاقوى . وهى نظرية نبذت الأخلاق وبررت لكل افعاله مهما تكن .

ويفسر شو الحرب الكونية فى هذا الاطار فباسم الوطنية البريطانية مزقت المانيا إربا بعد تركيعها على ركبتيها . ولقد كانت الداروينية هدف شو فى حملته على النهضة العلمية . فالتقدم التكنولوجى بدون ثبات خلقى من شانه ان يهدد الحضارة برمتها . وهذه الخصوبة الاخلاقية هى التى تحفظ مكانة شو كناقد . إن نقده الموسيقى والمسرحى يتالف بالعاطفة ، متدفق ومتوحش الفكاهة . والاستشهادات الواردة عن نقده فى هذا الكتاب تدين عدم الاخلاص فى الفن اى اعطاء المتلقى ما يوده لا ما يود ان يعطيه الكاتب للمتلقى . وقد اثار نقده الآنف للحرب العالمية ثائرة الكثيرين ولكن من المستحيل ان نكبح فى صدورنا الاعجاب المستفيض برجل متوحد صمد فى خندقه المنعزل ولم يتخل عن سلاحه .

ومفتاح شخصية شو انه كان بالميلاد والطبيعة لا منتميا . كان ايرلنديا بين الانجليز وبروتستانيا بين الكاثوليك وزوده ذلك بنظرة شاملة لما حوله . واهم من ذلك كان مزاجه . كانت عنده المقدرة على نقد الذات وكان تواضعه مصدراً لقوة هائلة . واحاط نفسه بقشرة من البرودة . كانت حاجاته العاطفية والجسدية قليلة او مكبوحة : كان نباتيا ، لا يدخن ، يمقت المسكرات ومحصنا من غوايات النساء . ولم يكن فيه اثر للغيرة او الحقد او للمزاج المنحرف او العواطف المتناقضة . وعلى الرغم من شقاوته الطفولية وبهلوانيته فقد كان مفكراً جاداً ، ويمكن ان يعزى نجاحه الى طاقاته العقلية والاخلاقية .

ولعل خير تلخيص له قول بنتلى «ليس فى شو تبريرات او اعتذارت ، ولا مراوغة ولا نزاخ . لقد قال اشياء عديدة واخطا فيها اذا اخذناها كما هى . ومع ذلك فهو اقل خداعاً من الكتاب الآخرين . انه يعلم ان التمايز ليس بين الحقيقة واللاحقيقة وانما بين الحقيقة الجزئية والدوافع الشخصية».

رسالة لندن

الخدمة الاعتيادية

جون بيرن كاتب مسرحى موهوب نال جائزة الايفنج ستاندرد مناصفة مع رصيفه بريان كلارك كاكثر كاتبين وعداً بالعطاء فى العام الماضى . ولم يكن الطريق الى النجاح لهذا الرجل النحيف ذى الشارب البوهيمى الكث – الا سراطاً من العذاب والكفاح المرير .

لقد كابد طفولته فى بيزلى باسكتلندا – اكثر مناطق اوروبا فقراً كما كان يطلق عليها إبان الحرب الكونية الثانية واشتغل فى صباه وشبابه الأول بعدة اعمال ابعد ما تناسب موهبته الكامنة – من ضمنها مصنع للسجاد كانت وظيفته فيه القيام بمزج الألوان والبويات فى البدرون العطن برائحة الكيماويات . واثر معاناة فظيعة انتقل الى مدرسة الفنون بجلاسغو وتخرج منها وبعث الى ايطاليا حيث تخصص فى تصميم الغرافيك وعاد ليلتحق بالتلفزيون الاسكتلندى وقد استطاع بيرن أن يرعش الأجواء المسرحية فى لندن عام ١٩٧٧ حين عرضت له على خشبة البوش مسرحية «تشنج الكاتب» وهى تدور حول الاساطير والمعتقدات المتداولة فى الاوساط البورجوازية الاسكتلندية المثقفة . وقد استخدم فيها تيمة محلية توحى بالتفرد . ورسخت اقدامه اكثر فى العام الماضى بعد ان عرض مسرح الرويال كورت مسرحيته «البلاطون» استوحى فيها عمله فى مصنع السجاد فى اواخر الخمسينات .

والحق ان كلا المسرحيتين تستلهمان سيرته الذاتية كما تستلهمها مسرحيته الاخيرة «الخدمة الاعتيادية» التى تعرض بنجاح على خشبة الهامستيد فهى اتوبيوغرافيا مباشرة حتى اسماء الشخصيات هى هى فى الواقع . «لا اعتقد ان هناك شيئا يقال على الخشبة تفوه به احد فى حقيقة الحياة . اننى اتذكر نغمة حديث الناس ، ولكنى احاول اعادة صياغتها واتوق الى الامساك بتلابيب شخصياتهم من خلال ما يقولونه والطريقة التى يقولون بها ، إن ذلك يشبه رسم الوجوه بالفرشاة . إن الصورة الفوتوغرافية تعطيك شكل الشخص من منحى شبه مستاتيكى ولكن الرسم يعكس الملامح الخفية .» .

ومسرحية «الخدمة الاعتيادية» تدور حوادثها فى شعبة التصميم الايضاحى بالتلفزيون الكالدونى إبان يومين مليئين بالهستريا والتوتر عند اعداد برامج احتفالية بالذكرى العاشرة لبدء البث بالمحطة التلفزيونية ... والعمود الفقرى للحدث هو الاعداد للعرض على الهواء والمنتجون يبدون متفائلين بنجاح البرامج على مستوى الأمة ولكن الأحداث المفاجئة تترى

رسالة لندن
الخدمة الاعتيادية



منظر من مسرحية الخدمة الاعتيادية

لتتامر عليهم : تختفى بعض الآلات المهمة ، يصاب احد الفنيين بمرض يمنعه من المجىء وآخر يزمع الهجرة الى كندا ولا يعنيه الأمر فى كثير او قليل ، والسكرتيرة ايزابيل اقعدها الحمل عن العمل وتنشغل بتطريز ملابس الطفل القادم . ويشتبك احد المصممين فى خلاف حاد مع المخرجة ذات الأصل الهولندى حول مسألة شكلية تافهة فى حد ذاتها . وهكذا تبدو مشاكل الأفراد الخاصة وكأنها اهم من انجاز العمل المطروح .

وكما يبدو للمشاهد فان المسرحية تنسج نفسها خيوطاً من العقد الصغيرة المتشابكة التى تجعلها الحوادث المتواترة نسيجاً محيراً من التراجيكوميديا ، مع ان المقصود اصلا بالمسرحية هو وجه الكوميديا الخفيفة ذات الطعم اللاسع .

ومهما يكن فان بيرن على عكس كتاب الكوميديا المعاصرين يتجنب الاستغراق العاطفى . فهو يتفكه ببساطة شديدة وهذه المسرحية اذا نظرنا اليها نظرة عامة تتميز بالفكاهة الصافية النقية . وطريقة بيرن فى خلق العقدة المسرحية كوميدية اذا صح التعبير فهو يمحقها ويهدمها – اى العقدة – ومن خلال ذلك تتخلق عقدة قد تكون هلامية اول وهلة ولكنها تظهر ببطء وتتضح ملامحها . وليس هناك قصة محددة يود بيرن ان يلقنها اذاننا وعيوننا . ففى الفصل الأول نجد انفسنا فى شعبة التصميم الايضاحى بالمحطة التلفزيونية وفى الفصل الثانى نحن فى اليوم الثانى وفى نفس المكان.

وبما ان الشخصيات مرسومة بعناية بالغة وبضربات فرشاة خشنة يمسك بها فنان كاريكاتور مقتدر فيجب – بالطبع – ان تكون هناك حوادث ما . وما من مفر للشخوص ان تحتك وتتصادم اذا بقيت معاً لمدى يومين وفى قاعة واحدة – خصوصاً هذه الشخوص الانانية التى برع بيرن فى تصويرها والتى لا هم لها الا الدوران حول محاور ذواتها ، والمرتبطة بعمل معين اوكل اليها . ومع ان المؤلف تجنب التدرج المسرحى المعروف فى خلق العقدة وحلها إلا انه من خلال الصراع بين الشخوص وفق فى رفد الحركة بنوع غامض من التوتر الذى لاغنى للمسرح عنه . وبالرغم من انتقاء الشكل التقليدى للكوميديا إلا ان بيرن بلمساته الخشنة الساخرة استطاع ان يكسو الشخوص بلحم الحقيقة . فابطال المسرحية الثمانية يقتربون بدرجات متفاوتة من واقع الحياة والشخصية الضبابية الوحيدة هى ويلف العجوز الأعشى الأصم الذى يعكف طيلة الوقت على إصلاح الماكينة القابعة بالمكتب مستخدماً كل ما يعثر عليه من ادوات . ومع ان ويلف مشحو بالمبالغات المستحيلة إلا ان وجوده اضفى على الخشبة نوعاً من الابهام الملون . وقد قصد المؤلف ان يكون نصف اعمى واصم ليتمكن من اعتصار اخر قطرات الفكاهة التى تنبع من سوء التفاهم الناتج عن ذلك .

والهدف من المسرحية اخر الأمر هو الاضحاك الراقى – حتى وان كانت الشخصيات الأخرى مرسومة بدقة فوق عناية الفنان الكاريكاتورى وتمتلك دوافعها الدرامية للفعل كتوقع الطفل الأول او رهبة الوقوع فى الحب او الدفاع عن التقاليد الوطنية . وقد يصل التوتر بينها الى تبادل الاساءات او التلويح بالقبضات ولكن الانفراج يتحقق بنكته . فالنكته عند بيرن تنقذ الشخصيات اكثر مما تنقذها التبريرات الملفوفة التى يبثها المؤلف احياناً اثناء الحوار العادى . والذى تفتقر اليه هذه المسرحية الممتعة ليس جدية الهدف ولكن العقدة الواضحة ما دام المؤلف ارتقى فيها بالمسرح الواقعى الكوميدى فحتى الفارس يجب ان نستخلص منها شيئاً غير ان ما يغفر لبيرن هو مقدرته الساطعة على استخلاص النوادر والفكاهات البارعة إذا كان ذلك هدفاً فى حد ذاته .

رسالة لندن
كتب جديدة

ماثيو أرنولد

أرنولد المعلم الناقد الفكتورى هل بقى مما قاله لنا شىء ؟ ام ان الخلود وهم الواهمين وتقادم العهد وتجدد تيارات الفكر اعداء لا يرحمون .

كان أرنولد من اكثر كتاب العصر الفكتورى خصوبة – ناثراً على الأخص وشاعراً بدرجة اقل لانه لم يكن كرصيفيه براوننج وتنسون معيناً بالشعر وانما كان الشعر بالنسبة له خطرات الهامية تعن فى إلنادر من الاحيان . وفى عام ١٨٦٧ حين اخرج مجموعته «اشعار جديدة» جف معينه وهجرته ربة الشعر . وبين ١٨٦٥ حتى وفاته كتب كثيراً فى الدين والسياسة والتربية والأدب بما كفى لكظ احد عشر مجلداً سمان الأوداج . وقد نعى الكثيرون موهبته الشعرية واشاروا الى ان الفترة منذ ١٨٦٧ هى مجرد ضياع وعقم اوكما قال سنتسبرى «تجوال فى القفر» بينما فضل آخرون نثره الغنى المشع



ماثيو أرنولد

بالحكمة والثقافة الرفيعة .

والحق ان هذا الكتاب محاولة جادة لتقييم أرنولد دون النظر اليه منقسما بين الناثر والشاعر – بالنسبة لعصره وعصرنا . وهل مازال تعميماته عن الادب والسياسة والفلسفة نافعة باقية مع ربط ذلك بحياته الخاصة ؟ لقد ولد أرنولد مع بداية للغامرة الفكتورية وشب فى وقت كان فيه العالم الجديد الشجاع على حد تعبيرهكسلى – يتعثر فى الهوة الفاغرة بين القلة المحفوظة والاغلبية المسحوقة . ذلك العالم الذى وصفه كارليل «حيث تطعم الجياد جيداً والفعلة يهلكون جوعا» . كانت تلك السنوات هى الخلفية لروايات «الاربعينات الجائعة» بما فيها روايات السادة دزرائيلى ودكنز وجاسكل – واثرت فى التكوين الراديكالى لتوماس أرنولد – والد ماثيو – ناظر مدرسة رجبى الشهيرة .

وحين انتقل أرنولد لاكسفورد عام ١٨٤٢ بدا يتدفق بالقصيد . وفى عام ١٨٤٩ اصدر مجموعة «الضليل وقصائد اخرى» ونال عدة جوائز على شعره . وبدا حينئذ تاثره الشديد ببيرون . يقول فى قصيدته «الأريك» «وفى سنة من السنوات الصغيرة فان الروح للقلقة ستخلد الى الراحة .. وذلك الاطار الراعش بالحيوية سيصبح طينا مهدما ..» وفى قصيدته «كروموبل» يبدو اكثر معرفة لطريقه وان كان بيرون لا يزال كالشبح يظهر ويختفى مع تنويعات خفيفة لوردزورث وفى المجموعة المشار اليها تتضح آثار مطالعته لكارلايل. صاحب فكرة البطل فى التاريخ .

ومع ذلك فقد كان أرنولد كابيه راديكالياً عاطفياً . فسوبنتته «إلى صديق» المؤرخة عام ١٨٤٨ مباشرة وصريحة «الله يعلم اننى معك» وفيها يعتذر بمحدودية قدرة الانسان على تغيير اوضاعه . «هذه الأرض التى نراها ونحلم فيها محاطة بجبال الضرورة الشاهقة تاركة لنا حيزاً اضيق مما نظن » .

ويمكن القول كما قيل فيما بعد عن اليوت – ان ارنولد فى شعره المبكر كان رجلا فى منتصف العمر شبه كهل ففيه حكمة وياس الكهول . وفى عام ١٨٥٣ عندما اصبح أرنولد شاعراً معترفاً به وجد ان المناسب ان يطرح آراءه فى الشعر او على الأصح نظريته الشعرية. ومن الغريب انها لو طبقت على شعره لسقط معظمه ومن هنا خرج الناقد من جلد الشاعر وهو دور مزدوج افقد الشاعر الكثير من اهميته – وإن لم يفقده مكانه كشاعر ناقد وقد لعب هذا الدور قبله سيدنى وداريدن وكوليردج وشيللى . اخرج أرنولد مقدمته عام ١٨٥٣ وهى تشبه مقدمة وردزورث ومقالات اليوت فى ضحى العشرينات من قرننا هذا . ولكن اذا كان وردزورث يتوق الى الثورة على موضوعية القرن الثامن عشر بكلاسيتها الجاسية فان أرنولد ينتقد بشدة تهالك الذاتية الرومانسية . وفى ايمانه بان الشعر الحق يتاتى باخضاع الشاعر شخصيته للحياد الموضوعى فانه يمت بصلات اوثق الى اليوت اكثر مما يمت الى معاصريه . ويهاجم أرنولد التوجهات الذاتية «إن الموضوع الخارجى للشعر هو الفعل .. الفعل الانسانى» ، والشعر العظيم هو ما انفك من اسر الزمن والمكان . ولا يصمد – فى عرفه – الابطال المعاصرون كتشايلد هارولد للمقارنة مع الالياذة والاوديسة فهنا «الفعل عظيم والشخصيات انبل واكثر امتلاء . والمعاصرون لاضطراب زمنهم لايوجد لديهم درب واضح يتبعونه فلا ندحة من ان ينظروا الى الماضى ونماذجه المضيئة على ان يكونوا حذرين . فشكسبير نفسه كثيراً ما كان يقع فى شراك عبقريته المتدفقة فيتعثر فى الابهام . انه نموذج خطر الاحتذاء/فعلينا ان نتعلم من فضائل القدماء واهمها بساطة الاسلوب وبراعة اختيار المعانى ،اهمية البناء المنضبط » .

وقد تشوف أرنولد الى تطبيق نظريته فى قصائده امثال «سهراب ورستم» و «ميروب» . وفى مقاله «العناصر الحديثة فى الأدب» حاول ان يضيق الهوة بين افكاره النقدية وزمنه الذى يعيش فيه ويعمل . فى هذا المقال يؤكد على جودة المعالجة فى اعمال ارستوفانز وسوفوكليس اللذين – رغم ارتباطهما بعصرهما – «اضفيا على الشعر سحر الهدوء النبيل الذى هو توام الرؤيا الحقة» . وفوق ذلك – وباعتبار الحاجة لعلاقة حميمة بين الأدب والمجتمع – فان أرنولد يتساءل فى حديثه عن لوكريتش «كيف يستطيع الانسان تفسير وفهم نشاطات عصره اذا لم يكن يتعاطف معها ؟» . وفى مقاله «وظيفة النقد فى هذا العصر» نجده مهتما بتعريف خصائص الناقد ووظيفته . فينظر للنقد بحسبانه «النشاط الحر للعقل» والمحاولة لفهم واذاعة خير ما فى العالم . وليس الغرض فقط تحسين وتهذيب المعايير الأدبية ولكن ايضا الثقافة بمعناها الشمولى . فمهمة الناقد هى خلق تربة خصبة للافكار تسمق منها اشجار الابداع المعافاة . ودعا أرنولد الى وحدة الثقافة والابتعاد عن تجزئتها الى قطاعات متنافرة دينية وسياسية وطبقية . وعنده ان الادب الحقيقى هو «نقد الحياة» لذا تصعب التفرقة بين النقد الادبى والاجتماعى . ويبدو هنا متفقا مع سنت بوف فى مقولته «إن الاقطار الادبية تحتل حيزاً صغيراً فى فكرى ، والذى يهمنى هو الحياة ذاتها وغاياتها» . وفى مقاله «وظيفة النقد» دمغ أرنولد الرومانتكيين بجهل الحياة . واثنى على الكتاب الاغريق لحيازتهم على «قوة الفكر والاحساس الدينى» على السواء . ويعود الى هذا كثيراً فى تعليقاته على دانتى وملتون فى فردوسه المفقود .

ويكشف المؤلف تاثير أرنولد على عصرنا من خلال البصمات التى خلفها على الكثيرين من كبار النقاد كريتشاردزوليفيز وترلنج . ويبرهن ان مؤلفاته «الثقافة والفوضى» و «الادب والدقمائية» لا تزال تتفاعل مع الفكر النقدى فى القرن العشرين .. والكتاب لم يلم إلماما طيبا باحد الأصوات النقدية الفذة فى تاريخ النقد الادبى والثقافى العالمى .

مارتن ويبر رسالة لندن



وهذا المعرض – غرافيك مارتن ويبر – يعطى انطباعا اوليا بالغرابة والخطر المحدق بعالمنا هذا . وويبر من القلة البارعة فى فن التصوير الطباعى واسلوبه يتسم بالسيريالية الهادئة الخلابة ... لقد درس فى كامبروبل وكرويدون وتخرج فى الكلية الملكية للفنون وعمل فترة بالتدريس واقام العديد من المعارض منذ عام ١٩٧٠ . وفى عام ١٩٧٧ عندما اصدر الناشر فكتور قولانز كتاب «خرافات شارلز بيرو» كلف وير بتصميم العديد من الرسومات للكتاب ، ستة منها ضمنها هذه المجموعة المعروضة بالبوهن غاليرى وتتميز اعمال وير بانفلاتها من قبضة الزمن فليس فى الامكان معرفة اذا كنا نتجول فى الماضى الأسطورى البعيد ام المستقبل المرّنق فى كوكب مجهول أم أن الزمن قد توقف عن الدوران . ومع أن الجمود الحركى للاشكال يوحى بذلك الانفلات فى عامل الزمن إلا ان وير يؤكد ذلك من خلال الغشاوة الضبابية فى اعلى اللوحة .

ويبدو انه يستخدم اكليشيهين – الأول مشحون بالتفاصيل التى تبرز من خلال التخطيط الخيطى الذى يذكر بالحفر على الخشب ، او من خلال نقاط دقيقة . وفى كلتا الحالتين يحفر فسحات منمنة ... وهذا الاكليشيه مطبوع بحبر السبيدج البنى الداكن . والاكليشيه الثانى عبارة عن اضافة لمقدمة اللوحة عبارة عن ستارة من الحفر المائية تقل دكانتها كلما اتجهنا نحو الخلفية .. وهى مطبوعة فى لون رمادى اشيب . وقد تضاف كميات لونية صغيرة للاكليشيهين ، على ان التاثير الغالب هو تاثير اللون البنى والرمادى الشاحب كما يبدو بجلاء تكثيف الطباعة وخلق المسافة الضبابية .



المقامة الشاعرية

مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور

قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الانام والدور :

أعلنت رابطة الأدب العصرية ، عن ندوة شعرية ، يديرها الشاعر اللامع ، خالد الجامع ، وطالعت أسماء المشتركين وتوقفت عند أصيلة نور الدين ، وشدنى الفضول لسماعها ، والوقوف على مستوى إبداعها ، فانا عديم الثقة بمواهب النساء ، باستثناء الخنساء ، والتى لولا المصيبة ، ماكتبت هذه القصائد المهيبة ، وكذلك ولادة بنت المستكفى ، ولولا ابن زيدون لأخفاها الزمان فيما يخفى ، وجاء يوم الثلاثاء فخرجت فى المساء ، وذهبت الى مقر الرابطة ، بلا دليل ولا واسطة ، فانا اعرفها منذ الخمسينات ، وأزورها فى بعض الأمسيات ، وصعدت للطابق السابع وانا الهث ، ودخلت والأستاذ خالد يتحدث ، كان كهلا انيقا ، وأصلعا رشيقا ، وهو يحكى عن الشياطين ، الذين يوحون للمبدعين ، ولكل شاعر شيطان ، والعياذ بالرحمن ، إلا أن شياطين الشعراء ، أرق من الهواء ، يوحون بالجميل ، ويلهمون المعنى الأصيل

ولكننا لا نعرف بالتحقيق ، هوية شيطانها الأنيق ، فلتسمعوها أنتم ، واحكموا ماشئتم .. ، والآن مع النغم الحائر ، والشعاع الطائر ، شاعرة الشعراء ، وعاطرة الاصداء ، مع أنغام عليين ، والشاعرة أصيلة نور الدين :

وبحركة مسرحية بارعة ، أحنى رأسه اللامعة ، وتراجع الى الخلف ، لتخرج أصيلة من أول صف ، وتذهب الى المنصة وتلمحها العيون المتراصة ، ويبدأ التصفيق بحرارة ، بينما يشعل الأستاذ سيجاره ، لها رائحة الشياط ، ومع ذلك يمتصها بانبساط ، كانت أصيلة شاهقة البياض ، وفستانها غامق السواد ، وأكد هذا « الكونتراست » ، بياضها بلا قيد أو شرط ، هذا الى عيون مكحولة ، وخدود مصقولة ، وشفتين مرسومتين كالوردتين وصوت أقرب للهمس ، يخاطب الحواس الخمس ، أما عن المنطوق ، فغير مسبوق جديد معناه ، مشيد مبناه

وقالت بعد أن مالت :

إياك ياحبيبى
إياك ألف مرة
تدس فى جيوبى
أنفك إنى حره

وكانت تقول «يا» وتنتظر ثوانيا ، ثم تنطق « ياحبيبى بايقاع ملاعيبى ، والأكف تصفق ، والاعجاب يتدفق بالشعر والشاعرة ، حتى استعيدت للمرة العاشرة ، ولما انتهت دوى التصفيق ، وعلا الزعيق ، ودارت بحركة مائسة ، وهنا حدثت الكارثة ، فقد تكعبلت حضرتها ، وانتثرت شنطتها ، وظهرت فى لحظة واحدة ، الشهامة الزائدة ، واندفع اليها المساعدون ، يقيمون ويعدلون ، وأعلن خالد بفرح زائد أن أصيلة بخير ، وقد أصابتها الخضة لاغير ، ثم تظرف وقال ، لأنها تحدت الرجال وطلبت النزال ، وسيظل الرجل هو الرجل ، وإن طال الأجل ، وحواء حواء وإن تغيرت الأسماء ، ثم قدم شاعراً على قد الحال ، اسمه مجاهد عبد العال ، فاصابنا البرود ، وهو يتحدث عن فردوسه المفقود ، وحينما انتهى ، شرع فى أختها ، فانصرف البعض ، وأوشك المجلس أن ينفض ، والشاعر مازال ،يهيم فى حوارى الخيال ، لايبالى بانفضاض الحماس ، وامتعاض الناس ، وزاد الطين بله ، أن ذلك الأبله ، خلع ثوب الخليل ، واستبدله باخر هزيل ، تحت ستار التجديد ، فى بنيان القصيد ، فبدد وماجدد ، وصار من الثلج أبرد ، وهذه آفة غير المجيدين ، فى كافة الميادين ، وحاول خالد تدارك الأمور ، فوقف يصلح ماأفسده الشعرور ، ولكن هيهات ، فالوقت قد فات ، وانصرف ثلاثة أرباع الحاضرين ، وهم غير ملومين ، ولعنة الله على هادم اللذات ومفرق الجماعات وانتهى الأمر بمجموعة صغيرة تحلقت حول الشاعرة النضيرة التى قالت ، لعب عيال ، تقصد عبد العال فاجابها خالد ، باهتمام زائد ، شعارنا الذى أطلقناه ، مع





كل فكرة وكل اتجاه ، فقالت : وهل ترحبون بالسذج ، الذين يعبثون فى المنهج ؟ فقال : نستدرجهم من حيث لا يشعرون ، ونكشفهم للعيون ، ثم اننا لو منعناهم شقشقوا بدعواهم ، وانت رأيت الجمهور ، يرفض الزور :

وكان أول المنصرفين أصيله

وإذا بالفراش فرج ، يصيح يابيه يابيه ، فقلت له «إيه» . فقال إنه التقى خطاباً مغلقاً ، كان تحت مقعدى ، ولعله وقع من يدى ، واعطانى الخطاب واخذته بارتياب ، فهو لا يخصنى ، ولكن الشيطان وزنى ، لمعرفة خوافيه ، والاطلاع على مافيه ، وكانت الصدمة الثقيلة : فالخطاب لأصيلة

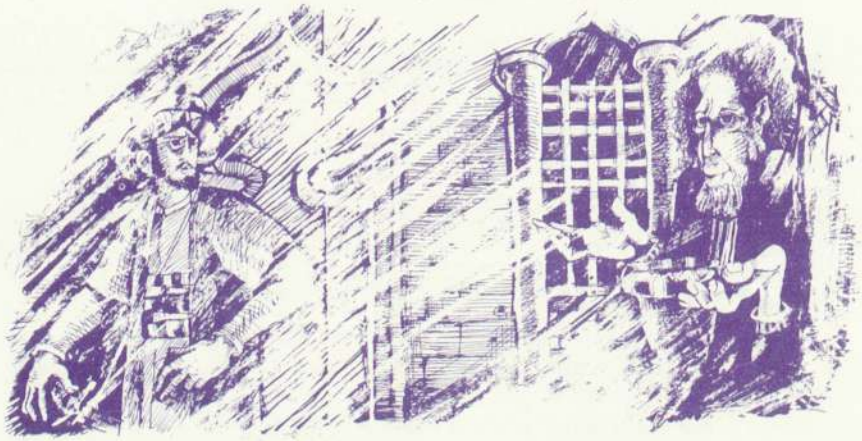
الفاضلة الفضيلة أصيلة ، وجدتك تاكلين مع الملائكة ، أرزا باللبن والمستكى ، فكتبت لك هذا ياأستاذه .

نجحت فى شراء هذه القصيدة ، من الشيخ صميده وهو شاعر مناكف ، جعل ريقى كالحطب الناشف ، لم يرض بالجنيه ، وأصر على ضعفيه ، وفعلا أخذ الأربعة ، ونجح فيما سعى ، و قد جعلته يقوم بالتشكيل منعاً للغلط والتضليل ، وهذه هى القصيدة التى اتوقع لها نتائج سعيدة ولابد من ذهابك الى صفاء ، لمعاونتك فى الالقاء ، وقد ذهبت اليها المرة الماضية ، بيد فاضية ، فخذى لها معك ما تيسر ، وابتعدى عن الشائع والذائع المظهر ، فقيمة الهدية فى ندرتها قبل قيمتها ، وبذلك نأمن لسانها ونضمن كتمانها ، لأن لسان الممثلات ، كثير النزوات ، وكلى ثقة أنك موفقة ، سيسقفون ويعجبون ، ويستعيدونك ويهتفون ، فكونى لبقة ، فاردة منطلقة ، وانشدى القصيدة السينية ، التى اشتريناها من على عطيه ، وقد قابلت خالد الجامع ، واعطيته القلم السابع ، وكان هذه المرة «باركر» ، رآه فصلح الله أكبر ، فاطمئنى من ناحيته ، لأنك نجمة امسيته ، وسابحث بهمة شديدة عن شاعر غير صميده ، فهو يطمع فينا ، ويقص حواشينا ويبيع الشعر ، بأعلى سعر . وفى الختام ـ عليك السلام .

كان هذا ياأولي الألباب ، هو الخطـــاب . !

جحويـات

الجـزاء من جنس العمـل

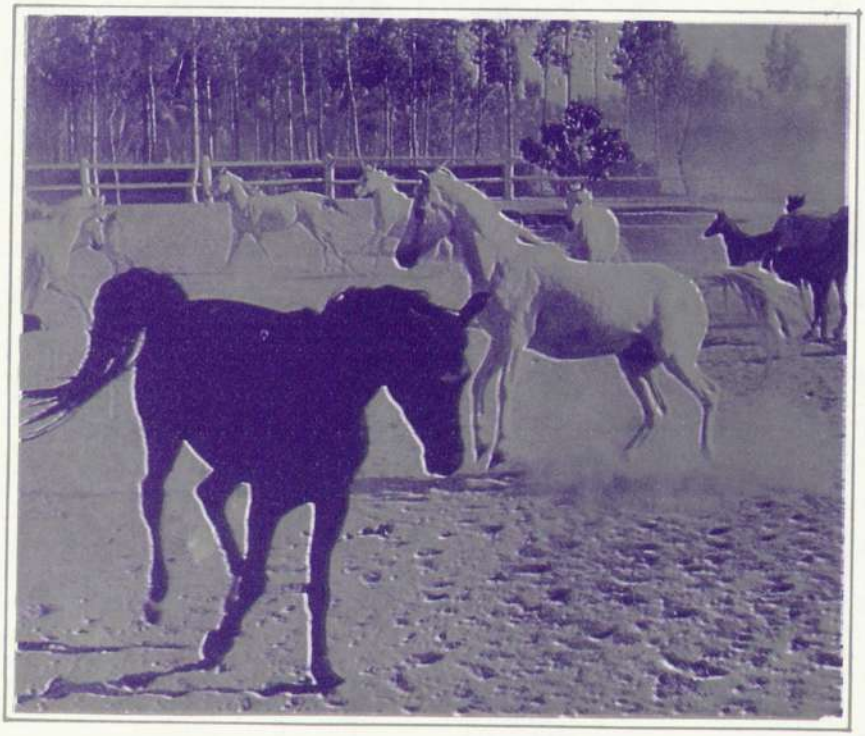


راح جحا ليمـدح السلطانـا ... مولاى أنـت قلـت لي تمنـى
بشعـره ليجـزه الاحسانـا ... وقـد تمنيـت فـلا تضنـا
وكان قـد أعـد للمناسبـة ... إن الملوك حلهـم والعقـد
قصيـدة فريـدة مذهبـة ... كلامهـم كالسيـف لا يـرد
وحينمـا اراد بـاب القصـر ... فلم يجـد سلطانـه مفـرا
قال له الحاجب قـف بالأمـر ... مـن جلـده مادام قد أصـرا
مـاذا تريـد ؟ قال جئـت مادحـا ... وفرقـع الصـوت وراح يغـدو
مؤمـلا مرتـلا مسبحـا ... عليـه وهـو صابـر يعـد
الحـال حـال زادت العيـال ... وصلح فـى الخامـس والعشريـن
والمـال قـل والزمـان مـال ... جحـا باعلـى صوته : يكفيـنى
لأجـل هـذا جئـت ياابن أمـى ... والباقيـات مـن نصيب الحاجـب
ليطفـىء السلطـان نـار همـى ... لأنـه الشريـك فى المواهـب
داخلـت الحاجـب أفـة الطمـع ... سد علي الباب فـى دخولـى
وذاك داء مالـه شبـع ... إلا إذا قاسمتـه دخولـى
وقـال خـذ بالك ياجحانـا ... فلـم أجـد من الدخـول بـدا
أنـت لكي تقابـل السلطانـا ... لأجـل هذا قـد رضيت الجلـدا
هنـاك شرط واحـد محتـم ... حـتى أرد الكيـد للحجـاب
عطـاؤه إليـك سـوف يقسـم ... الزارعيـن الشوك فـى الأعتـاب
مابيننـا ، رضيت ؟ قال طبعـاً ... فاعلـن السلطان : بـل سيجلـد
وألـف أهـلا ياأخـى وسهلـن ... ضعـف الـذى جلدتـه وأزيـد
وبعدهـا مضى الـى السلطـان ... فانمـا الحاجـب للسلطـان
يهـزه مـن رائـع المعانـى ... بمنـزل العيـن مـن الانسـان
قـال تمـن ياجحـا تجـب ... وكـل مايأتـى مـن المفاعـل
ولو طلبـت أقـة من الذهـب ... دلالـة علـى الذى فـى الداخـل
قال لـه : مولاى مر بضربـى ... أمـا جحـا فيستحـق منـا
خمسين جلـدة وهـذا طلبـى ... رعايـة ونجـدة وعونـا
تعجـب السلطـان بل والحاشيـة ... مـروا لـه بصرة مـن الذهـب
ظنـوه يلقـى نكتة جحاويـة ... لعلـه يذيـع عنـا إن ذهـب
قهقهـوا وصـاح فيهـم جحـا ... باننـا نحكـم بيـن النـاس
إنـى أقـول الحـق لست مازحـا ... بالعـدل والميـزان والقسطـاس



من كل نبع قطرة

الحصان : أدهم .. وأبلق



● الأدهم هو الحصان الشديد السواد والأبلق شديد البياض .. ومنذ قديم الزمان والعلاقة حميمة بين العربى والحصان ، يربيه وينتخب من سلالته أجود مافيه .. وهى علاقة صورها عنتره وهو يخوض المعارك بحصانه ومع حصانه .

هؤلاء علموه



● فى مايو ١٩١٤ ركب طه حسين البحر فى طريقه الى فرنسا بعد حصوله على الدكتوراه من الجامعة المصرية فى نفس العام .

وفى السوربون كان أساتذته : دور كايم ـ جلوتز ـ لانسون ـ بيير جانيه . هؤلاء هم معلموه فى باريس .. ومن قبلهم جميعاً كان معلمه الأول والأكبر «القرآن» الذى حفظه صغيرا ودرسه كبيرا مما شحذ طاقته واستخرج موهبته حتى انه وهو فى فرنسا درس عامين مايتعلمه الشاب الفرنسى فى ست سنوات .

الميكرو .. والماكرو



ولن نتحدث عن ازياء النساء وإنما عن الفلسفة فقديما كانوا يفرقون بين «الميكروكوزمزس» ـالعالم الأصغرـ و «الماكروكوزموس» ـ العالم الأكبر ـ ولكن الشاعر العربى اعتبرهما وجهتين لعملة واحدة :

دواؤك فيك وما تشعر
وداؤك منك وما تبصر
وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

١١ فعلا .. وبيت واحد



● والبيت قاله المتنبى إجابة لمن ساله نظم بيت يتضمن أكبر عدد من الأفعال .. فقال :

عش أبق اسم سد جد قد
مر انه اسر فه تسل

وهو يتضمن ١١ من أفعال الأمر .. أما عدد حروفها فمتروك للقراء الذين يستهويهم هذا من الاحصاء .. وكان طبيعياً والدافع كثرة الأفعال .. أن يكون وزن البيت من بحر الطويل وإيقاعاته : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ! .

أضغاث أحلام



نحن وابن سينا

كان العلامة العبقرى أبو الريحان البيرونى أول من لاحظ أن حبات الرمل ليست على شاكلة واحدة اذا نظرت اليها (بزجاجة) مكبرة وأن قطعة من (البللور) كحد السكين تحلل ضوء الشمس الى ألوان قوس قزح ، وذلك قبل نيوتن بقرون ، ثم لاحظ الدنمركى (ستينو) بعد البيرونى بزهاء سبعة قرون أن (البللورات) تحتفظ بين اوجهها (المتشابهة) بمقادير من الزوايا ثابتة لا تختلف مهما كبر حجم البللورة أو صغر ... ثم توالى العلماء على دراسة البللورات بمختلف الوسائل والأجهزة حتى وضعوا أساساً لعلم سموه (علم البللورات) وهو من العلوم التى لا غناء عنها لكل مشتغل بالفيزياء أو الكيمياء أو الجيولوجيا على وجه التحديد ... وقد استنبط العلماء بوسائل الدرس والاستقصاء أن الله سبحانه قد وهب (الجماد) من مادة الكون القدرة على (التبلر) طبقاً لقوانين ثابتة فى علم (الهندسة الفراغية) فى اثنتين وثلاثين صورة ، يحكمها مقدار (العلاقة الزاوية) بين محاور النظم البللورية الرئيسية الستة ... وقد وجد العلماء أن مكونات كل مادة لكى تصير الى بللورات ذات بريق وجمال وميزة عن غيرها من بللورات المواد الأخرى المختلفة عنها فى تركيبها الكيميائى وكيانها الفيزيائى لابد وأن تكون خلواً من (الشوائب) ، ووجدوا أن الشوائب قد تكون (مواد) كيماوية فعلية تؤثر فى مسيرة تكون البللورة (وانتمائها) إلى أسرتها البللورية الصحيحة أو على الأقل قد تغير لونها أو تبطىء بها فى زمن الوصول إلى ما تصبو إليه ، وأن الشوائب قد تكون (معنوية) كأن يترك الوعاء الذى به المادة المطلوب (بلورتها) معرضاً (للهزات) أو انعدام الفرصة للانخفاض التدريجى (الطبيعى) فى درجة الحرارة .... وكذلك الأمم والشعوب والمجموعات البشرية ، لا تستطيع أن (تتبلور) لتصبح ذات (كيان) أراده الله لها لتتميز به عن غيرها من خلق الله ، وتتسابق معهم فى الفضل والأداء ، والتفاعلات الحياتية ، إذا لم تستطع أن تنقى (الغالبية) من مادتها من الشوائب والأدران ، المادية والمعنوية ... ولعل من الدلائل على وجود شوائب وأدران (مادية ومعنوية) فى أمة من الأمم هو عدم قدرتها على (الوفاء) لمن ترى أنهم ينتمون اليها ممن يشرفون تاريخها وسيرتها بين الأمم والشعوب ونضرب لذلك مثلا ، رددناه خلال هذا العام (١٩٨٠) فى أكثر من مكان غير صفحات الدوحة الغراء ، بمناسبة مرور (ألف عام ميلادى) على مولد العالم المسلم (ابن سينا) ولسنا هنا بصدد تعداد أفضال ابن سينا العظمى على الحضارة الانسانية ، ولكن بصدد التذكير أن وسائل الاعلام فى مختلف بقاع الأرض قد سارت مع تيار عالمى كاسح هائل هاج خلال سنة ١٩٧٩ م الفائتة (بمناسبة مرور قرن كامل على



سنة ١٨٧٩) لاحصاء (مناقب وعبقريات ومواهب) عالم (يهودى الديانة) ألمانى النشاة والتربية والتعليم ، أمريكى الجنسية والممات هو (البرت أينشتاين) الذى كان عالماً عظيماً لا شك ولكنه لم يكن الوحيد بين خلق الله من العلماء القدامى والمعاصرين ، الذى يستحق (فقط) كل هذا الاطراء والتمجيد والتسبيح والتحميد ، ولكن (القوم) الذين يتنازعون انتماءه ، ويتشدقون ويتلذذون بنسبته اليهم ، أرادوا إحياء ذكراه بتلك الصورة العالمية ... وتمر علينا نحن (واحسرتاه واحسرتاه) ذكرى مرور ألف عام (عشرة قرون كاملة) على مولد ابن سينا الذى أؤكد تماماً أنه سيخلد على التاريخ أكثر من علماء كثيرين، دون أن نابه لاشهار أنفسنا بانتمائه الينا ، ولا نحيى بذكراه بعض موات أنفسنا ... لا أنادى من هذا المنبر باحتفال (أكاديمى) يعقد من أجله (مؤتمر) وتوزع فيه حقائب (السمسونايت) و (بدلات السفر) ، ثم تودع نتائج أبحاث (اللجان) فى الأضابير و (الملفات) كان لم تكن ، شأن ما يعلم به كل من ولد منا قبل الحرب العالمية الثانية فى هذا الوطن الذى لم يتبلور بعد ، (ولن يتبلور) مادام يقيم لما به من (الشوائب والأوساخ) وزناً ويخشى (الرأى العام العالمى !!) بل نريد احياء ذكرى مرور ألف عام على مولد ابن سينا (العالم العبقرى المسلم) بصورة نشعر بها (الشعوب والعامة) ان هذا العقل الكبير منا من خلال الصحف والمجلات والتلفاز والاذاعات والفنانين والفنانات والمطربين والمطربات ..... إن أمة منها ابن سينا ولا تابه لذكراه لا شك أنها بعيدة عن سمت التبلور الذى يدل على الحيوية والنماء وإثبات الوجود ، فهل آن الأوان لأن نحترم هذا الناموس الكونى العجيب فى نظام التبلور بالاهتمام بكيفيات احياء ذكرى مرور ألف عام على مولد ابن سينا ؟

درويش مصطفى الفار

رسالة مهرجان «كان» السينمائى

رءوف توفيق

الزواج على طريقة تل أبيب !

من يتصفح كتيب مركز الفيلم الاسرائيلى ، لعام ٨٠ ... سيجد هذا البيان ، الذى أنقل نصه كاملا .. لكى نعرف كيف يفكرون ويخططون للانتشار السينمائى .. واستخدام هذا السلاح الفنى الجذاب للتأثير فى الرأى العام العالمى ..

يقول البيان :

«فى هذه الأيام .. يتزايد عدد الأفلام الأجنبية التى تصور فى إسرائيل .. ذلك لأن صناع السينما العالمية يجدون هذه المزايا فى اسرائيل :

اسرائيل دولة صغيرة ، تستطيع أن تقطعها بالسيارة فى خلال ٩٠ دقيقة .. وطولها يمكن أن تعبره فى سبع أو ثمان ساعات على الأكثر .. وخلالها تجد العديد من الأماكن الصالحة للتصوير : جبال ـ سهول ـ صحراء ـ غابات ـ بحار ـ أنهار ـ مساقط مياه ـ مدن وقرى على مختلف الطرز المعمارية من الطراز القبطى الى أحدث طراز عالمى .. ولهذا فاسرائيل تتمتع بمناخ يصلح للتصوير الخارجى فى كل وقت ، وتتشابه مع مناخ كاليفورنيا حيث يتوافر الجو الملائم للتصوير طوال العام .

واسرائيل ملتقى ثقافات متعددة .. وعادات وتقاليد أيضاً متعددة .. ولهذا فستجد تنوعاً فى الوجوه واللغات .. ومن الممكن أن تختار بينها بسهولة سواء فى التمثيل أو فى المجاميع الكبيرة .

وبجانب كل هذا .. فهناك الفنيون المهرة ، والاستوديوهات المجهزة على أحدث الأساليب .

وفى كل انحاء العالم تتزايد تكاليف الانتاج السينمائى عاماً بعد عام .. ولكن فى اسرائيل تقل التكاليف بنسبة ٢٥٪ الى ٣٠٪ عن أوربا الغربية .. والحكومة الاسرائيلية ترعى بعين الاهتمام والحب صناعة السينما .. وتقدم تسهيلات مغرية فى الاقتراض والمشاركة» (ويستعرض البيان نماذج التسهيلات المالية) !!







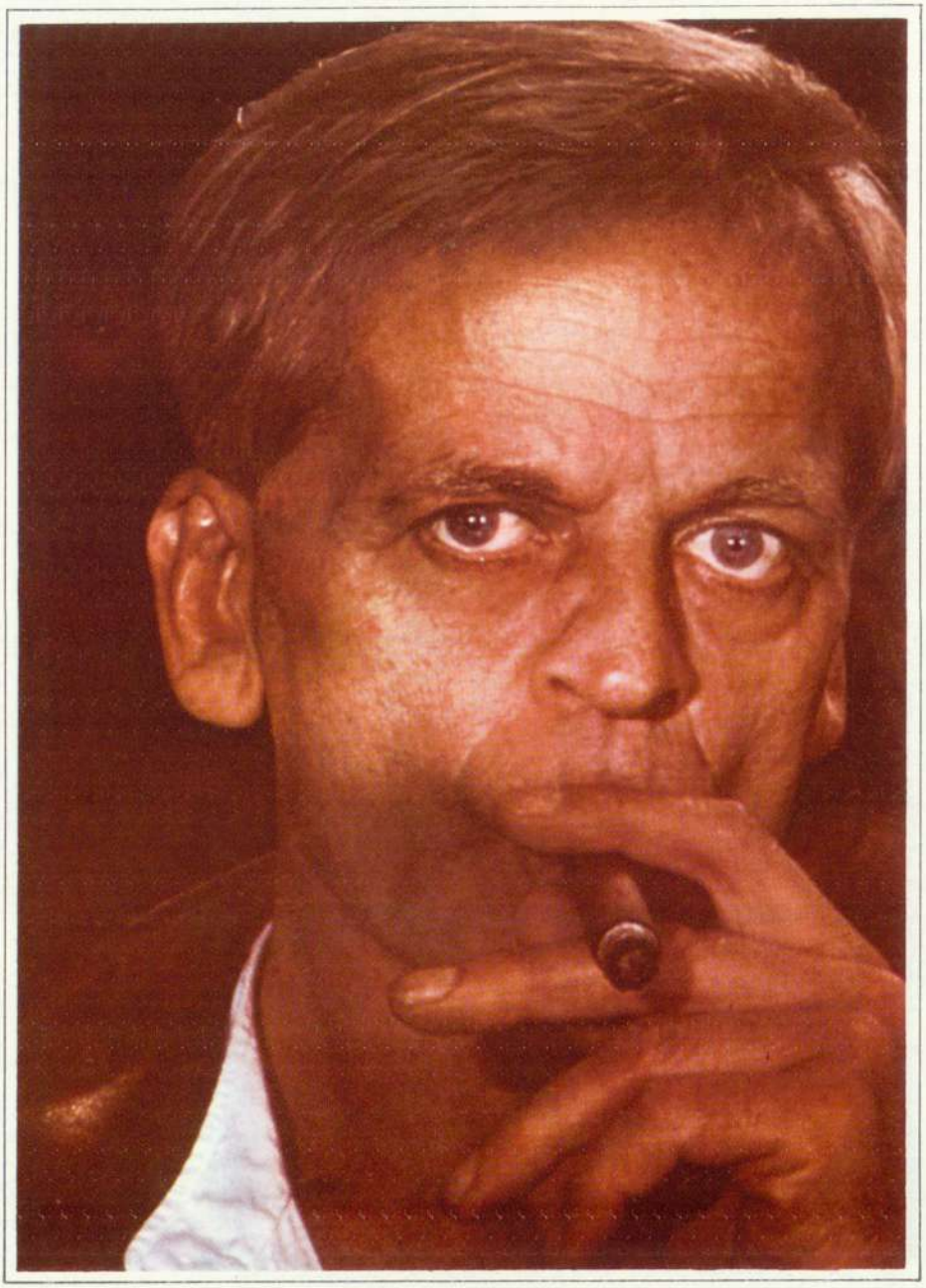


لقطات من فيلم «التفاحة»

وهكذا .. ندرك أن هذا البيان موجه الى صناع السينما العالمية لكى يتجهوا الى اسرائيل (جنة صناعة السينما فى الشرق الأوسط) كما يطلقون على أنفسهم وهم لا يكتفون بتأجير الأرض والشمس والهواء لمن يريد من صناع السينما .. ولكنهم يتحركون فى نشاط محموم لانتاج الافلام الاسرائيلية داخل استوديوهاتهم ... وعقد اتفاقيات الانتاج المشترك مع دول أوربا الغربية وكندا

بعد كل الذى نعرف ..
نتساءل عن ذكاء
المال اليهودى وخطته للانتشار !

خطتهم
أن أمريكا هى نصف العالم
وعليهم أن يتعاملوا على هذا الأساس



الممثل الالمانى «كلاوس كينسكى» فى فيلم اسرائيلى

وأمريكا .

شركة أفلام .. داخل أمريكا

وفى هذا العلم .. ومن خلال سوق الأفلام الضخم داخل اطار مهرجان كان السينمائى .. عرض أول انتاج للشركة السينمائية التى أسسها المنتج والمخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» وشريكه الاسرائيلى «جلوباس».. والشركة تحمل اسم «كانون» ومقرها هوليود بالولايات المتحدة الامريكية .!

وقد كان ظهور أول انتاج سينمائى لهذه الشركة بمثابة هجوم مقصود ، لاحداث «فرقعة» إعلامية مثيرة .!

وفوجئت ـ دائماً نفاجأ !! ـ بأن هذه الشركة قامت بشراء صفحات متعددة من كل المجلات السينمائية التى تصدر خلال مهرجان كان ، وأيضاً مجلات السينما الامريكية الذائعة الانتشار .. لتعلق على انتاجها الغزير من الافلام .. وهو انتاج ليس على الورق .. وإنما انتاج حقيقى ، تم تصويره وإعداده للعرض .. وعرض بالفعل فى احدى دور السينما الأنيقة التى اشترت الشركة حق العرض فيها ، خلال مدة المهرجان بأكمله !!

وقد طاردتنى هذه الاعلانات طويلا ... (كل يوم نصف صفحة من كل المجلات السينمائية .. بالاضافة الى اعلان ست صفحات كاملة بالألوان من كل مجلة خلال فترة المهرجان) !! وهذه الاعلانات لا تشير اطلاقاً الى اسم إسرائيل .. وانما تكتفى بأسم الشركة الامريكية وعنوانها فى هوليود !! .. ولكن من يدقق قليلا يكتشف الخدعة .. فصاحب الشركة اسرائيلى .. ورأس المال يهودى .. والمخرج الأشهر فى هذه الشركة هو «مناحم جولان» نفسه .!!

وفى حوار مع المخرج الاسرائيلى ، أجرته مجلة «الفيلم الفرنسى» قال بتواضع شديد (!!) ان شركته الصغيرة «كانون» قد أنتجت فى أول عام لها ثمان أفلام (وهى التى عرضت فى سوق مهرجان كان السينمائى) .. وان هذه الأفلام الثمانية تكلفت ميزانية قدرها عشرون مليون دولار (!!) .. وانه ينوى فى خطة عمل الشركة للعام القادم أن ينتج عشرة أفلام بميزانية تتراوح من عشرين الى ثلاثين مليون دولار (!!)

وصرح أيضاً المخرج الاسرائيلى أنه سيبدأ فى شهر أكتوبر (أى هذا الشهر) اخراج فيلم من بطولة «أنتونى كوين» والممثلة الايطالية «أورنيلا ميوتى» ..

الـــزواج عـلى طـــريقـة تـــل أبيـب !

والفيلم كوميدى عن حلم فتاة ايطالية بالذهاب الى أمريكا للعمل فى السينما .. وتذهب بالفعل .. وتحاول .. ولكنها تنتهى الى بائعة ساندويتشات !

وصرح أيضاً المخرج الاسرائيلى (أن شركته اتفقت أيضاً مع الممثلة «سارة ميلز» والممثل أوليفر ريد» على بطولة فيلم بعنوان «عشاق ليدى شاترلى») !

وهكذا يتضح أن الشركة تسعى لاجتذاب عدد كبير من نجوم السينما العالميين ، لتطعم بها أفلامها ، وتغزو الأسواق !

هل بعد هذا .. نتساءل عن ذكاء المال اليهودى .. وخطتهم للانتشار .. وتاكيد أفكارهم ؟!

وربما يتسنى للقارىء ان يعود الى مقالة كتبتها فى الدوحة بعدد سبتمبر ٧٩ ... أنبه فيها الى ظاهرة الانتشار الاسرائيلى فى السينما العالمية والذى يتخفى تحت الستار الامريكى .. وفى هذا المقال أوردت تصريحاً صحفياً كان قد أدلى به المنتج المخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» يتحدث فيه عن ظروف تكوين شركته السينمائية فى أمريكا .. ومن المهم لنا حتى نستكمل تفاصيل الصورة أن نعود الى قراءة ما قد قاله هذا المخرج الاسرائيلى فى ذلك الوقت ..

قال : «ان أمريكا هى نصف العالم .. وعلينا أن نتعامل على هذا الأساس ولقد انشانا شركة توزيع تحمل اسم كانون (ملحوظة : هذه الشركة أصبحت الآن



من فيلم «جريمة قتل بالبريد»



لقطة من فيلم «المبعوث»



لقطات من فيلم «الزواج على طريقة تل ابيب»





الممثل «اوليفر ريد» فى فيلم «دكتور هيكل ومستر هايب»

لابأس أن يعرضوا عيوبهم الشخصية لاستدرار الضحك عليهم !

نحن العرب ماذا نفعل إزاء هذه المواجهة الشرسة

شركة إنتاج وتوزيع !) .. اننا نعرف الآن كيف نصنع سينما جيدة ، وهذه السينما تحتاج للانتشار .. ومن هنا اخترنا أن يكون المركز الرئيسى لشركتنا فى نيويورك .. ثم افتتحنا فرعاً فى لوس انجلوس .. وفى خطتنا افتتاح ١٧ فرعاً داخل المدن الرئيسية فى أمريكا .. ولقد اثبتنا مكاننا فى السوق العالمى .. ومن حقنا ان نقول اننا الآن فى الموقف الأحسن ، بعد أن أصبح يحمينا البنك الالمانى .. ومصادر اخرى كثيرة تدفعنا للانتاج والتوزيع) !!

هذا ما قاله المخرج الاسرائيلى .. وما نشرته فى مقال الدوحة فى العام الماضى الآن .. أصبح كل شىء واضحاً ..

لقطات من فيلم «مهرجان الأطفال»







وواقعاً قائماً بالفعل !!

● من الرعب .. الى كل شىء

واستكمالا لهذا البحث ، شاهدت بعض افلام هذه الشركة فى سوق مهرجان «كان» السينمائى .. واكتشفت من خلال هذه الافلام ، انهم يتجنبون الخوض فى دعاية مباشرة أو غير مباشرة لاسرائيل .. انهم يحاولون إبعاد أى شبهة عن «هوية» هذه الشركة السينمائية .. ولهذا فهم يتحركون فى كل الاتجاهات التجارية المضمونة .. أفلام للتسلية والضحك .. وافلام الجنس والعرى .. وافلام الاثارة والرعب .. وافلام غنائية موسيقية .. !!

إنها افلام ـ كما نقول فى لهجتنا العامية ـ «جر رجل» لجذب المتفرجين إلى اسم الشركة ، ونوعية افلامها الخفيفة.

ولكن هل سيواصلون هذا الطريق ؟ ..

استطيع أن أؤكد بناء على فهم العقلية اليهودية ـ انهم بعد أن يضمنوا الانتشار والرواج لاسم الشركة .. وبعد أن يحققوا العائد التجارى .. سيبدأون فى الاعلان عن «هويتهم» الحقيقية .. ويسربون فيلماً وراء الآخر يتضمن بعض افكارهم .. ووجهة نظرهم فى القضايا العالمية وبالذات قضية وجودهم .. وحق اسرائيل .. وأمن اسرائيل .. وحلم اسرائيل .. و .. و ..

والمخطط معروف ..

فالمال اليهودى لا ينفق هباء .. !!

● «التفاحة»

واهم افلام تلك الشركة فى أول انتاج لها .. لابد وأن يكون من نصيب صاحبها ، المخرج الاسرائيلى «مناحم جولان» .. فهو يقدم فيلماً بعنوان «التفاحة» متصوراً فيه الموسيقى والغناء والرقص عام ١٩٩٤ .. وقد عرض هذا الفيلم فى أول عرض له داخل سوق مهرجان «كان» ، محاطاً بدعاية ضخمة . وقصة الفيلم كما كتبها المخرج بنفسه .. تحكى عن هذه المؤسسة الفنية الهائلة التى يديرها رجل يملك من القوة ليرفع نجوم الغناء الى قمة الشهرة .. بشرط أن يوقع عقد احتكار شامل ، ليس فى الغناء فقط ، ولكن فى أن يضع حياته كلها تحت تصرف هذه المؤسسة .. ومن يرفض هذا الشرط عليه ان يتحمل عقاب ومطاردة افراد المؤسسة!

وفى حدود هذه الفكرة نرى شاباً وفتاة يهويان الغناء ، ويرتبطان ببعضهما بقصة حب .. ويواجهان هذه المؤسسة .. الفتاة تبهرها الاغراءات والشهرة .. وتوقع على الفور عقد الاحتكار .. أما الشاب فهو يرفض هارباً من القيود .. وتستمر الاحداث داخل إطار من الموسيقى والغناء وتشكيلات الرقص .. وفى جو من الابهار الفنى .. فالصوت مجسم .. والديكورات مثيرة وغريبة كما تصورها الفيلم لنهاية القرن العشرين .. وتصميمات الأزياء أكثر غرابة .!

فكل شىء فى الفيلم مصنوع لخطف الابصار !!

وقد تكلف الفيلم ثمانية ملايين دولار ـ كما أعلن المخرج صاحب شركة الانتاج ـ !!

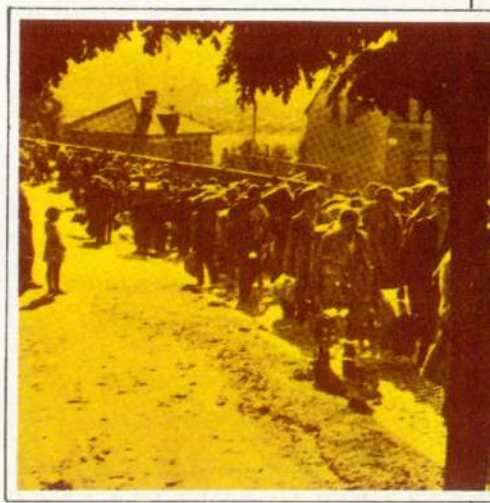
اما بقية الأفلام .. فلم تتجاوز أقصى ميزانية لفيلم عن ثلاثة ملايين دولار .. وهو ما تكلفه فيلم «دكتور هيكل ومستر هايب» .. والعنوان محور عن «دكتور جيكل ومستر هايد» .. والقصة تتناول نفس الفكرة .. ويلعبها الممثل «أوليفر ريد» حيث يؤدى الشخصيتين ، القبيحة ، والوسيمة !

ومن بين الأفلام .. نجد الممثل الالمانى الشهير «كلاوس كينسكى» يلعب بطولة فيلم «جريمة قتل بالبريد» وهو تقليد لنوعية أفلام الاثارة التى برع فيها هيتشكوك .

وبلغ من ذكاء الشركة ، والرغبة فى الانتشار ، واجتذاب الفنانين للعمل معها .. أنها أوكلت مهمة إخراج أحد أفلامها .. الى مخرجة تليفزيون فى لندن «جابريل بيومونت» وأعطتها الفرصة لتخرج أول فيلم سينمائى فى حياتها .. وهكذا قدموا فيلم «المبعوث» الذى صور باكمله فى انجلترا .. وهو من نوعية أفلام الرعب .. وقد ذكرت الارقام أن هذا الفيلم حقق ايرادات بلغت خمسة ملايين دولار خلال ١٢ أسبوعاً فى الولايات المتحدة فقط !

الـــزواج عـــلى طـــريقـة تـــل أبيـب !

لقطات من فيلم «البحر الأخير»



وهكذا يتحركون خارج اسرائيل.

أما فى داخل اسرائيل .. فمركز الفيلم الاسرائيلى يواصل انتاج الافلام بايقاع لا يهدأ .. ولكن نوعية الأفلام هذا العام اقل مستوى من الأعوام الماضية .. ربما لغياب العقل المدبر «المخرج مناحم جولان» فى مهمة خارج البلاد !!

البحر الأخير ..

ومن ابرز الافلام التى أعلن مركز الفيلم الاسرائيلى عن انتاجها فيلم «البحر الأخير» وهو فيلم تسجيلى طويل يقدم قصة معاناة اليهود الذين تركوا أوربا بعد الحرب العالمية الثانية .. وأخذوا طريقهم إلى أرض اسرائيل .. والفيلم تجميع لأفلام تسجيلية قصيرة صورت فى حينها لهروب اليهود من معسكرات النازى وكيف تخطوا الحواجز الكثيرة وأبحروا فى قوارب صغيرة عبر البحر الأبيض المتوسط حتى وصلوا الى شواطىء (أرض الميعاد) !!

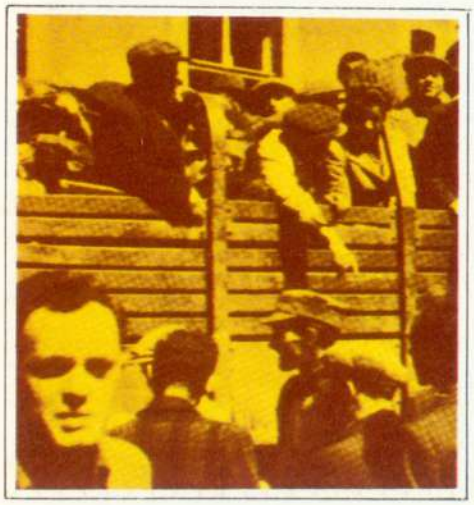
واستخدم الفيلم تسجيلات صوتية لأحاديث مع ١٣٠ شخصاً من الذين مروا بهذه المرحلة !

ومن ذكريات الاضطهاد .. الى اسرائيل المستقبل .. من خلال فيلم تسجيلى آخر عن «مهرجان الأطفال» .. وهو نفس عنوان الفيلم حيث يقدم أطفال اسرائيل وهم يستعدون للمهرجان السنوى لأغانى الاطفال والذى يقام فى تل أبيب ، وتستعد له كل بيوت اسرائيل فيما يشبه العيد السنوى حيث تجرى المسابقات لاختيار الأطفال الذين سيظهرون فى الحفل الختامى للمهرجان .. ويسجل الفيلم رحلة الاعداد لهذا المهرجان خلال العام .. ثم مشاهد حية من المسرح الضخم الذى يستقبل الأطفال .. ولحظات الاثارة والموسيقى والمرح .. وأيضاً لحظات الاحباط وخيبة الأمل . !

ولكن الفيلم فى النهاية .. اعلان كبير عن الجيل القادم فى اسرائيل !!

● على طريقة تل أبيب

أما أغرب الأفلام الاسرائيلية الحديثة ، فهو ذلك الفيلم المأخوذ عن مسرحية البخيل لموليير .. والذى أعطوه اسم «الزواج على طريقة تل أبيب» وغرابة الفيلم لا تأتى من مستواه الفنى .. فالمستوى ضعيف جداً .. ولكن الغرابة من تقديمهم لشخصية اليهودى البخيل



.. فهم يختارون لقصة الفيلم .. هذا الأب التاجر الذى يجمع القرش فوق القرش ويخبىء نقوده داخل أحد الأرفف فى دكانه .. ومتعته الكبرى أن يخرج النقود ويتأملها بفرح ويغنى لها ويعدها كل يوم .. ثم يعيدها مرة أخرى الى مكانها وهو يتلفت حوله فى ذعر خوفاً من أن يراه أحد .. ولكن عين صانع القهوة والشاى الذى يأخذ مكانه بجوار دكانه ، تلتقط ذات مرة هذا المشهد .. ولا ينساه . !

فكيف ينسى اليهودى الأصيل منظر النقود ؟!

وهذا التاجر شارف الخمسين من عمره .. أرمل .. وله ابنة وابن .. الابنة لها عشيق تستقبله فى البيت .. والابن عاطل يقضى كل نهاره وليله داخل صالة لعب القمار وبجواره فتاته اللعوب التى وعدها كثيراً بالزواج ..

وهكذا يعيش كل واحد فى عالمه الخاص .. ويفكر الأب التاجر فى الزواج من جديد .. ويتصل بالخاطبة ليطلب منها عروساً تقبل الزواج به ويشترط أن تكون غير طامعة فى نقوده .!

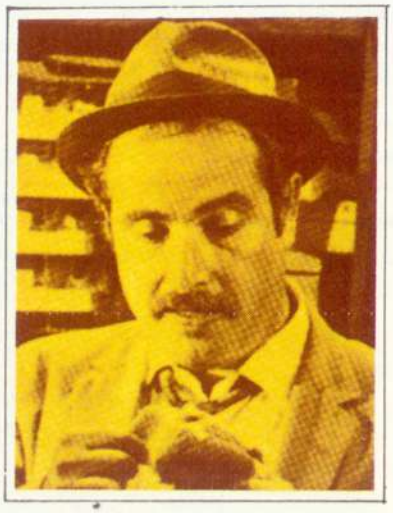
ويعلم صانع القهوة برغبة جاره التاجر ، ويحكى لابنه عن مساعى أبيه مع الخاطبة .. فيفكر الابن للحصول على ثروة أبيه أن يدفع صديقته الفتاة اللعوب لكى تغير من ملابسها وشكلها وأن تبدو كتلميذة المدارس ، خجولة ، ورقيقة .. ثم تعرض نفسها على الخاطبة وتبدى رغبتها فى الزواج من رجل كبير





حتى الممثل الكبير «لورانس أوليفيه» البسوه ملابسهم في الفيلم الجديد «مغنى الجاز»





في السن يضمن لها الاستقرار !

وتتم الخطة .. وتسرع الخاطبة بالاتصال بالأب التاجر الذى يطلب مشاهدة العروس فى إحدى الحدائق ، حتى لا يتورط فى دعوتهم الى مطعم أو مقهى .. !! .. وعندما تعجبه العروس يدعوها مع الخاطبة الى منزله .. ويستعد التاجر لاستقبالهما .. فيسرق الزهور من حديقة جاره .. ويوصى ابنته ألا تبالغ فى الكرم مع ضيوفه .. حتى لا تتعود العروس على هذا .!!

وتأتى العروس مع الخاطبة .. ويسألها التاجر اذا كانت تريد أن تشرب شيئاً .. فترد العروس بخجلها المصطنع أنها لا تريد شيئاً .. وهنا يتهلل وجه التاجر فرحاً ويؤكد أن الحياة ليست طعاماً أو شراباً .. وأنه سيكون سعيداً جداً لو وافقته على هذا المبدأ (!!) وبالطبع تبدى العروس المزيفة موافقتها حتى تتم اللعبة .. وتتكرر اللقاءات الجافة والتى يؤكد فيها التاجر حرصه الشديد على المال .. حتى تورطه الخاطبة أن يقدم لها شيئاً .. فيخرج من جيبه خاتماً من الماس .. وتطير العروس فرحاً من هذه المفاجأة ، وتسرع للقاء صديقها ابن التاجر الذى ما أن يلمح الخاتم حتى يخطفه من أصبعها .. فى نفس اللحظة التى يراقب فيها التاجر خطى عروسه المقبلة .. ويكتشف علاقة ابنه بها .. فيثور فى هياج .. بينما الابن يعرض الخاتم للبيع .. فيفاجأ بأنه خاتم زجاجى لا يساوى شيئاً . !!

وتتازم الأمور بالنسبة للتاجر عندما تبلغه ابنته انها حامل من صديقها وتريد معونته المالية لكى يتزوجا .. ويرفض الأب بشدة .. فتقوده لا تخرج من مكانها .. ولتذهب ابنته وابنه الى الجحيم !

ويلجأ الابن فى النهاية الى سرقة نقود أبيه .

وما إن يعلم الأب بضياع النقود حتى ينهار ويكاد يموت كمداً .. ويحاول جاره صانع القهوة أن يهدئه فالصحة أهم من النقود .. ولكن الأب يبكى ويلطم وهو يردد بحسرة ان النقود عنده أهم من الصحة !! .. ويعلن فى حالة يأس أنه مستعد أن يفعل أى شىء فى مقابل اعادة نقوده إليه .. وأمام هذا الاعلان يتقدم الابن بشروطه .. زواجه من صديقته .. وزواج أخته من صديقها .. فى مقابل إعادة النقود .. ويوافق الأب التاجر على الفور .. ويسترد انفاسه مع عودة النقود إليه .. ولا يجد بجواره الا الخاطبة التى يعرض عليها الزواج .. فتوافق على الفور ! فمن يفهمه أكثر منها ؟!!

وهكذا ينتهى الفيلم بالزواج الجماعى

واذا كان الفيلم قد عرض لبعض صور التمزق فى البيوت الاسرائيلية .. وانحرافات الشباب .. الا أنه كان صريحاً جداً فى عرض حالة الأب البخيل .. وكأنما يؤكد على الصفة العالمية لبخل اليهود وحرصهم القاتل على النقود .. واستعدادهم أن يفقدوا أى شىء ولا يفقدون مليماً واحداً من ثروتهم !!

والذكاء اليهودى .. بل الخبث والدهاء .. انهم يعرضون عيوبهم الشخصية ولا يستنكرون أن نضحك منها .. أو نضحك عليهم .. بل يروجون للنكتة .. ويدعوننا للضحك كما شئنا .!

وليضحك العالم كما يشاء على بخل اليهود ..

أما اليهود أنفسهم .. فهم يستثمرون هذا لصالحهم .. ليتفرغوا لما هو أهم من مسائل البخل !!

وهكذا يعملون

وهكذا يواجهون العالم ..

امتد تأثيرهم على الصحافة الأوربية والأمريكية .. ثم سيطروا على شركات التليفزيون .. وتدخلوا فى رءوس أموال شركات السينما الكبرى .. والآن يشاركون فى الأفلام مع دول كثيرة من العالم .. وينتجون الأفلام داخل اسرائيل .. وداخل أمريكا .

وبالله .. أيها السادة الكرام اصحاب الثروات العربية .. ماذا أنتم فاعلون فى هذه المواجهة الشرسة ؟!

هل ننتظر أكثر .؟!

هل نواصل دهشتنا وحسرتنا .؟!

إن الأمر يبدو هكذا .. للأسف !!

رءوف توفيق

الملاحظ والمهندس



مسرحية جديدة

من فصل واحد

تأليف على سالم

المكان : استراحة العزاب بالقرب من احد المصانع الكبيرة فى صحراء نجع حمادى .
الوقت : بعد الغروب بقليل ..

الغرفة اثاثها بسيط ، سريران صغيران ، قطعة موبيليا تشبه البوفيه ، دولاب صغير ، مائدة صغيرة عليها صينية صغيرة بها قلة مـاء ، على الحائط مثبت حوض صغير فوقه صنبور صغير ... مقعدان صغيران .

يدخل المهندس وهو رجل تجاوز الأربعين بقليل . ويتامل الغرفة . من نظراته نعرف انه يدخل الغرفة للمرة الأولى فى حياته .

يحمل حقيبة كبيرة ويضع لفائف ... يخرج من الغرفة ثم يعود ومعه عدة كارتونات وحقيبة اخرى ... يختار احد السريرين ويضع حاجياته فوقه وحوله وبالقرب منه .. يخلع جاكتته ويتكىء على السرير متاملا الغرفة . ينهض ، يمسك القلة ويقترب بها من فمه ... يتردد . يعيدها لمكانها ، يفتح الصنبور .. يتامل المياه . يغلق الصنبور . يخرج « الترمس » من بين حاجياته ويصب لنفسه كوبا يشربه .. ثم يعود لوضعه على السرير .. يشعل سيجارة ويعود لتامل الغرفة .

يدخل الملاحظ ، وهو من النوع الذى لايمكن تحديد عمره بالضبط . اشيب الشعر ، خفيف الحركة من ذلك النوع المبتسم ابتسامة ترحيب دائمة .. يدخل الغرفة مندفعا ...

الملاحـظ: اهلا.. اهلا.. اهلا وسهلا.. البلد نورت
(يقترب من المهندس كانه يريد ان يعانقـه ، المهندس يصافحه بترحيب خفيف)
المهندس : اهلا وسهلا .
الملاحـظ :حمد الله على السلامة .. انا اسف جدا .. الاشارة وصلت لنا متاخرة .. مدير العلاقات كان روح .. فرحت بنفسى المحطة .. للاسف حضرتك كنت مشيت .
المهندس : واحد وصلنى بعربيته .. واحد من ركاب القطر ، كانت بتستناه عربيته اصر يوصلنى .
الملاحـظ: الناس هنا طيبين جداً .. اى مهندس جديد يوصل المصنع..بنطلع نستقبله على المحطة .. كل العمال اللى موش فى الوردية بتطلع تستقبله .. ماتقلقش .. مش هاتحس ابداً إنك غريب ..
المهندس : واضح إنك هنا من مدة طويلة ..
الملاحـظ: من ايام ماكانت المنطقة دى جبل .
المهندس : مهندس قديم ؟ ..
الملاحـظ: ملاحظ .. ملاحظ الماكينات .. دبلوم صنايع قديم .. تقدر تعتبرنى خبير فى الماكينات اللى هنا .. اعرفها زى ما اعرف نفسى .. اشتركت فى تركيبها فى مصنعين فى افريقيا . وثلاثة فى البلاد العربية .. انا ممكن احضر لك عشاء فى خمس دقايق .. اربع بيضات فى السمن وحتة جبنة بيضا .. عندى كمـــان زيتون اسود .
المهندس : شكراً .. متشكر قوى .. انا كلت فى القطر (لحظة صمت) .. وجودى معاك يزعجك ؟ ..
الملاحـظ: اعوذ بالله . ارجوك .. انا احب الناس قوى .. ياباشمهندس الأوضة اوضتك .. وانا تحت امرك .. انا وام ابراهيم ..
المهندس : (ينظر متسائلا) .. ام ابراهيم .. ؟
الملاحـظ: الست المسئوله عن استراحة العزاب هى بتنام بدرى .. بس ست طيبة وخدومة جداً .. إذا ماحبتش تتغدى فى المطعم بتاع المصنع .. مع إنهم بيعملوا اكل كويس قوى .. ممكن أم ابراهيم تعمل لنا اللى عاوزينه .. إفرد واتصرف كانك فى بيتك .
المهندس : متشكر قوى .. انا كمان احب الناس قوى .. واحب العشرة ، وإن كان شكلى مايوحيش بكده .. انا اسف إذا كنت سلمت عليك بفتور شوية .
الملاحـظ: اعوذ بالله .. السفر طويل متعب .. والانسان لما بيروح مكان جديد بيبقى متخوف ومن الناس اللى فيه .. اطمن .. اطمن قـوى .

(يبدأ الحماس يدب فى اوصال المهندس)

المهندس : الأوضة دى ممكن نعملها روعة .
الملاحـظ: بالله ياخويا .. إيدى على كتفك .. انا نفسى اعملها من زمان (يضحك) ... بس بصراحة ماعرفش تبقى روعة إزاى
المهندس : انا اعـــرف ..
الملاحـظ: إزاى .. ؟
المهندس : الحيطان تتلزق ورق .. تاخد وش زيت وبعدين تتلزق ورق .. الأرض تتفرش موكيت .. الحوض ده يتغير .. يبقى ستانلى ستيل .. بتشرب من الحنفية دى ؟
الملاحـظ: لا .. من القلـة دى ..
المهندس : لكن المية بتجيبها من الحنفية دى ؟
الملاحـظ: طبعـــاً ..

(المهندس يخرج من حقيبة صغيرة ، جهازا صغيراً يقوم بتركيبه على الصنبور ثم يفتحه قليلا ويراقب المياه التى تنزل منـه
المهندس : ده فلتر .. ميكرونايت .. بينقى الميه .. هاتشوف الشوائب دلوقت ..

(بعد لحظات يخلع الفلتر ثم يدقه على قطعة ورق بيضاء فوق المائدة) .
الملاحـظ: يانهار اسود .. كل الطين ده فى شوية المايه دول ؟
المهندس : اديك شفت بنفسك ..
الملاحـظ: يعنى انا فى السنين اللى فاتت شربت كمية طين تعمل بيت فى بلدنا. هاهاها

(المهندس لا يستجيب للدعابة .. وجهه جاد تماماً ، ويعيد تركيب الفلتر ويملأ كوب ماء ويناوله للملاحـظ)

الملاحـظ: (باستياء) .. ملهاش طعم .. عندى اقتراح تشرب بالفلتر .. وانا اشرب من القلة عادى .. خلاص .. جسمى تعود .. بقيت مدمن لو شربت مايه نقيه ممكن يحصل لى حاجة .. ها ها ..
(يتناول القلة ويشرب منها بتلذذ واضح)
(المهندس يـقترب بحذر شديد من النافذة وكان شخصاً ما يترصده من خارجها ، الملاحظ يراقبه بدهشـة شديدة)

الملاحـظ: المنظر جميل .. إيه رايك ؟
المهندس : المنطقة دى بتزرع قصب ؟



الملاحـظ: أيوه ..

المهندس : يبقى حانركب هنا ستارة ثقيلـة ..

الملاحـظ: نركب ستارة .. بس ليه تقيلـة ؟

المهندس : أى حد يستخبى فى القصب ، ممكن يصطاد حد فينا .

(الملاحظ تستولى عليه دهشة مفاجئة)

الملاحـظ: ماحصلتش قبل كده ...

المهندس : اللى محصلش قبل كده ، ممكن يحصل بعد كده ..

الملاحـظ: حضرتك ولا مؤاخذة .. عليك دم .. ؟ .. قصدى مطلوب تار ؟

المهندس : لا ...

الملاحـظ: ولا انا .. إيه اللي يخليك تفكر إن حد يرقد لنا فى القصب ويصطادنا ..؟

المهندس : المبنى فيه ناس كتير .. واحد فيهم يكون وراءه تار .. ييجى حد يصطاده ، نيجي طلقة فينا على سبيل الخطا

الملاحـظ: ده احتمال بعيد قوى .

المهندس : برافو عليك .. احتمال بعيد .. بس قائم

الملاحـظ: لو ركبنا ستارة تقيلة ، حايبقى الجو حار جداً .

المهندس : ليها حل تانى .. انا عامل حسابى لكل الاحتمالات .

(يخرج جهاز تكييف صغير متنقل ، يوصلـه بفيشـة الكهربـاء)

المهندس : انا عامل حساب كل حاجـه .. كل الاحتمالات .

(يخرج مسدسا)

الملاحـظ: (يتوتر) .. إيه ده ؟

المهندس : ده مسدس بتاعى .. مرخص .. بتعرف تضرب نار ؟ .

الملاحـظ: لا ...

المهندس : ابقى امرنك .. تسليح شخصى .. اهم حاجة بالنسبة للانسان ، هى امنه الشخصى .. بين المصنع وبين المساكن اثنين كيلو .. ممكن حد يطلع علي .

الملاحـظ: ماعندناش حد يطلع على حد .. الكلام ده كان زمان قوى .. قبل المصنع مايتبنى والاتنين كيلو اللي بتقول عليهم ، دائما مليانين ناس .

المهندس : (جاداً وهادئا) .. جايز اتاخر فى المصنع ، وارجع بالليل لوحدى .. فيما يتعلق بامنى الشخصى .. ماقدرش اسيب المسائل سداح مداح .. لابد اعمل حساب كل الاحتمالات .

الملاحـظ: (يجامله محاولا إخفاء اضطرابه) .. عندك حق ..

(المهندس يخرج رشاشاً صغيراً من حقيبة اخرى ويأخذ فى فحصه ، ويستولي فزع شديد على الملاحـظ)

المهندس : ماقلتليش .. تحب نعمل الأرضية موكيت والا سجاد عادى .. ولا مشمع ارضية . فيه مشمعات للارضية شكلها جميل جداً ، والترابيزة ديه تتغير .. نجيب واحده اشيك ونحط عليها زهرية .. ونحط فيها ورد طبيعى

الملاحـظ: (صامت .. صوته لايكاد يخرج) .. ده ... ده رشـاش ؟

المهندس : أيوه .. انا اللى عامله .

الملاحـظ: بحق وحقيق .. ؟

المهندس : طبعاً ..

الملاحـظ: يعنى بيرش ..؟ قصدى .. بيضرب .. ويطلع رصاص ويمو ت..؟

المهندس : طبعاً .. مرخص (لحظات صمت ثم يتساءل برقة) .. فيه جنبنا مشاتل زهور ، ؟ أصل ماحبش الورد الصناعى (يشم هواء الغرفة) .. إيه رايك .. الجو فى الاوضة بقى الطف .. هو صحيح جهاز التكييف صغير .. بس فعـــال .

(المهندس يسعل ثم يتنحنح بشدة كما لو أن هناك شيئاً يسد زوره) .

الملاحـظ: حضرتك هاتروح المصنع ومعك الرشاش والمسدس ؟ .

المهندس : طبعاً لا .. هايبقى منظرى بايخ قوى .. هاكتفى بالمسدس.

الملاحـظ: امال الرشاش هاتعمل بيه إيه ؟ ..

المهندس : لو طلع علي ..

الملاحـظ: (يقاطعه بعصبية) .. ماانت معاك المسدس .. احنا اتفقنا ، لوطلع عليك حد ، هاتستخدم المسدس .

المهندس : ده لو طلع علي واحد او اثنين .. لو طلع اكثر من كده .. ماقدرش اواجههم بالمسدس.

الملاحـظ: .. آه .. عصابة يعنى .. والعصابة دى هاتطلع عليك فين .. ؟

المهندس : الأسبوع اللى فات عصابة هاجمت قطر الصعيد .

(الملاحـظ لايدرى ماذا يقول)

الملاحـظ: يعنى الرشاش ده هاتستخدمه فى حالة السفر ..

المهندس : او الحالات المشابهة .. لما اكون بعيد عن هنا .. فى رحلة صيد مثلا .. قلت لك فيما يتعلق بامنى الشخصى ... ماقدرش اسيب حاجة للظروف .. انا ما احبش المفاجات .

(يخرج لفافة طويلة)

الملاحـظ: وده ايه كمان .. مدفع مضاد للطيارات ولا غواصة

المهندس : لا .. دى بندقية خرطوش عشان الصيد ..

الملاحـظ: الحمد لله .. اخيرا لقينا حاجة مالهاش علاقة بامنك الشخصى ..

المهندس : بس ليها استخدام ثانى .. بحركة صغيرة ممكن يتركب لها تليسكوب وتضرب رصاص عليه .

الملاحـظ: الله يطمنك .. وطبعاً تلاقيك عامل حسابك على الاحتمالات الثانية ..

المهندس : زى إيـه .. ؟

الملاحـظ: (وكانه يريد إفزاعه) .. يعنى .. فيه احتمالات كتير قوى .

المهندس : زى إيـه ؟

الملاحـظ: هاتكتشفها بنفسك ..

المهندس : (وقد بدا يضطرب .. ارجوك اتكلم قل لي انت .. بقى لك هنا كتير وعارف كل

الملاحظ والمهندس



حاجة .. إيه الاحتمالات الثانية ؟ .. ملتخبيش عنى حاجة .. إحنا أصدقاء ودلوقت إحنا اهل .

الملاحـظ: هو احتمال بعيد شوية .. يعنى ممكن وانت راجع بالليل من المصنع ..

المهندس : ايوه ..

الملاحـظ: يطلع عليك الأسطول السادس ، الفرقة الأمريكية المحمولة جواً .. الجندى الروسى يدخل عليك بالمدرعات .

المهندس : لا انت بتهزر .. دى فرضيات خاطئة .. قل لي إنت متصور إنى ببالغ شوية ؟ .

الملاحـظ: بتبالغ كثير.. كثير قوى .

المهندس : إنت شخص مهمل .. سايب أمنك الشخصى ..

الملاحـظ: انا سايبها على ربنا سبحانه وتعالى .. وربك هو الستار .

المهندس : هو ده اللي انا باعمله بالضبط .. أحصن نفسى ضد كل الاحتمالات .. وأسيب الباقى على ربنا .. كلمنى عن المصنـــع .

الملاحـظ: كويس ..

(المهندس يتحسس المرتبة القطن)

المهندس : بتستريح على المراتب القطن دى ..

الملاحـظ: ايوة ..

المهندس : فيه مراتب شيك قوى .. متنجده جاهزة .

(يفتح الدولاب ، يلقى عليه نظرات سريعة .. يفتح ادراج البوفيه ، الملاحظ يراقبه وقد بدا يستشعر انه مقبل على متاعب غامضة)

الملاحـظ: (محاولا الاحتفاظ برقة الترهيب فى صوته) .. ممكن نقسم الأدراج .. حضرتك تاخد درجين .. وانا درجين .. او خد ثلاثة وانا واحد ..او خدهم كلهم

(المهندس يخرج شوكة وسكين وملعقة)

المهندس : بتاكل بالشوكة والسكينة ... ؟

الملاحـظ: احيانا ..

المهندس : إنت إنسان متحضر ..

الملاحـظ: متشكر ..

المهندس : عاوزين نرتب كل حاجة .. الشوك والسكاكين تتحط فى الدرج الأولانى .

الملاحـظ: موافق .. مش حانختلف ياباشمهندس

المهندس : بس حانركب كالون زيادة .. يبقى فيه مفتاحين .. مفتاح معاك ومفتاح معايا أى حد يحتاج السكينة .. يبقى لازم الاثنين نفتح الدرج سوا ..

(لحظات صمت طويلة)

الملاحـظ: مافيش داعى .. فى حل اسهل .. اهو ..

(يمسك بالسكاكين والشوك والملاعق ويلقى بها من النافـذة)

الملاحـظ: إرتحت دلوقت .. ؟

المهندس : زعلـت ؟

الملاحـظ: هازعل من إيه .. حضرتك متصور إنى ممكن اقوم عليك بالليل ادبحك بالسكينة ولا بالشوكة .

المهندس : حصلت قبل كده ..

الملاحـظ: فين ؟

المهندس : فى قرية صغيرة فى فيلادليفيا .. فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ (يخرج كتابا) والمرجع اهو .. اقراه بنفسك ..

الملاحـظ: وأموتك ليه ..؟ فيه بينى وبينك حاجة؟

المهندس : ممكن تستاء منى وبعدين يتزايد

استياءك .. ويتحول لحقد .. حقد يعمى قلبك .. ويشل عقلك .

الملاحـظ: (باستياء شديد) .. هاستاء منك ليه ..؟

المهندس : بذمتك .. انت موش مستاء منى دلوقت

الملاحـظ: بصراحة .. انا مستاء فعلا . بس استياء خفيف .. خفيف جداً ؟

المهندس : الحقد اللى بيدفع للقتل .. بيبقى فى الأول استياء خفيف جداً .

(يخرج كتاباً آخـر)

المهندس : اقرا صفحة ٤٥ ، السطر العاشر .

الملاحـظ: انا آسف جداً .. فقدت اعصابى بدون مبرر .. ننسى كل اللى فات .. نبتدى من جديد .. كل إنسان حر فى الطريقة اللى عاوز يعيش بيها .. حضرتك حر ..

المهندس : تكره إنى أحمى نفسى ..؟

الملاحـظ: لا طبعاً ..

المهندس : خلاص ماتضايقش .

الملاحـظ: (يحاول استعادة مرحه) .. صدقنى موش متضايق .. انا عندى كوتشينة .. كوتشينة ورق .. يعنى ماينفعش يتعمل بيها حاجه غير انه يتلعب بيها هيـه ..

هانعمل فى الأوضة إيه كمان .. ؟ ..

المهندس : موش فاهم .

الملاحـظ: لا انا باهزر .

المهندس : ماحبش الهزار ..

الملاحـظ: انا آسف .. مش باهزر ، بانكت ..

المهندس : الموقف مايحتملش نكت ..

الملاحـظ: هي مش نكت قوى يعنى .. هى مزح .. يعنى قصدى اقول إن الأوضة ناقصها شوية حاجات .

المهندس : فعلا .. هانعمل على الحيطـــة دى مكتبة بسيطة .. مجرد رفوف .

الملاحـظ: جميـــل .

المهندس : بتقرا بالليل ؟

الملاحـظ: طبعـــاً .

المهندس : معايا اباجورات صغيرة .. هاحطلك واحدة جنب السرير بتاعك وواحدة جنب السرير بتاعى .. مافيش حـــد هايزعج الثانى .

الملاحـظ: جميل .. حانبتدى نتفق ...

(المهندس يخرج بضعة اطباق صغيرة من احـــد الادراج ..)

المهندس : الأطباق دى بتاعتك ؟

الملاحـظ: انا لي طبق واحد .. الباقى بتوع أم ابراهيم عهدة الاستراحـــة .

المهندس : اطباق رديئة .. واخده مكان على الفاضى .

(الملاحظ يستبعد منها طبقاً واحداً ويحملها



الملاحظ والمهندس

ويخرج بها من الغرفة ثم يعود على الفور)

الملاحـظ: حطيتهم بره فى الصالة .. الصبح تاخدهم .

(المهندس يمسك بالقلة مسكة معينة كما لو كان يجرب انها من الممكن ان تصلح كسلاح .. والملاحظ ياخذها على الفور)

الملاحـظ: انا شايف كمان إن القلة شكلها مش حلو.. يعنى ماتنفعش على شكل الأوضة .

(يخرجها خارج الغرفة ثم يعود)

المهندس : فيه ثلاجة صغيرة وشيك قوى .. شحنتها .. هاتوصلنا بكره .. مش ها تحتاج للقلة .

(يخرج الطبق الذى سبق ان اخفاه الملاحـظ .)

المهندس : الطبق ده إيـه ؟
الملاحـظ: ده بتاعى ..
المهندس : محتاجه قوى ..؟
الملاحـظ: مش محتاجه قوى ... بس معتز به قـوى .
المهندس : بتستعملـه ..؟
الملاحـظ: احيانا ..
المهندس : فيه اطباق ميلامين اجمل بكتير .. منقوشة .. وشكلها حلو .. وتعيش سنين مايجرلهاش حاجة ... ده ممكن يقع ينكسر ..

(يخطف منه الطبق فى رقة بعد ان شك فى نواياه)

الملاحـظ: ارجوك .. الطبق ده عزيز علي قوى.
المهندس : طبق عـادى .. مش تحفة يعـنى .

(يحاول صرفه عن التفكير فى الطبق)

الملاحـظ: ذكريات .. (يضع الطبق تحت السرير) ... ذكريات .. من عشر سنين رحت البيت لقيت مراتى خدت العفش كله وسابت لي الطبق ده .. هاها .. احتفظت بيه ارجوك .. سيبهولى .. انا وافقتك على كل طلباتك علشان امنك الشخصى .. الطبق ده مضايقك فى إيـه ..؟ (يحاول صرفه عن التفكير فى الطبق) .. جهاز التكييف ده خرافه ... الاودة تحولت الى مصيف (يشم هـواء الغرفـة منتعشـا) .. الله بالطريقة دى الواحد لازم يتغطى بالليل وهو نايم .. بس ارجوك اوعى تقول لحد من زمايلنا ... كلهم هاييجوا يسهروا عندنا هنا ..

(المهندس ينظر له طويلا .. نظرة جامدة)

الملاحـظ: إيـه ..؟
المهندس : حطيت الطبق تحت السرير ليـه ..
الملاحـظ: ممكن تحطه فى اى حته تانيـة .. مش هايقول لا ...
المهندس : (بشك) .. حطيته تحت السرير علشان يبقى فى متناول إيـدك .
الملاحـظ: (وقد فقد اعصابه تماما) .. مش ممكن ... مستحيل .. ده زى مايكون بيقول موتنى من فضلك .. ودلوقت انا بدات افهم بعض الناس بيتحولوا قتلة إزاى .. الة حادة .. ده ممكن ؟ .. ده طبق .. ده طبق .. طبق مسكين .. طبق برىء .
المهندس : اهو الطبق البرىء ده ، ممكن فى لحظة يتحول لسلاح قاتل .
الملاحـظ: (مهتاجا) .. إزاى بس .. فهمنى .. افهم إزاى ..
(قبل ان يتنبه الملاحظ ، المهندس بسرعة شديدة يسحب الطبق من تحت السرير ويكسره ويحتفظ بقطعة منه فى يده)

المهندس : ده مايرعبش .. (يخرج كتابا) .. اتفضل اقرا .. صفحة ٧٨ واحد يوم اثنين فى سان فرانسيسكو .. فـى يونيو ١٩٠٤ .
الملاحـظ: (هامسا فى تعاسة شديدة) .. كـان ممكن افهم من غير ماتكسره .
المهندس : انا آسف ..

(الملاحظ يجلس راسه بين كفيه وقد استولت عليه حالة شديدة من التعاسة)

المهندس : (محاولا التودد إليه) .. تحب نعمـل فى الأوضة إيه كمان .. ماقلتـش الارضية حتى موكيت ولا شمع ؟

(الملاحظ لايرد .. يمسك ببقايا الطبق . يحاول أن يضمها الى بعضها البعض)

الملاحـظ: (رنة غريبة فى صوته ، يهمس فـى حزن) ... سعدت جدا لما عرفت إنك هاتشتغل معانا .. وسعدت اكثر لمـا قالوا إنك هاتعيش معانا .. قلت يمكن اتعلم منك حاجة . حاولت اعرف عنك كل حاجة .. فيه بعض الناس هـنا تعرفك . سالت مدير شئون العاملين إدانى الملف بتاعك اللى وصل قبلك .. قريته .. متفوق .. واتضح إنك متفوق .. جاد .. حريص .. عندك شعور قوى جدا بالاهمية ... لكن الظاهر الآن إن المشاعر مالهاش اى اهمية عندك .
المهندس : بدات تكرهنى ..
الملاحـظ: .. طبعا لازم تفهم نفسك كده .. علشان ضميرك يستريح ... إحساس مريـح جدا إن الآخرين بيكرهوك .. عشان تكرههم وانت مستريح .. وبعدين تدى لنفسك الحق انك تعتدى عليهم .. انت واقف تنادى فى الشارع ... ! ياستاذ ... إنت يافندى ياللى واقف فى البلكونة .. بتكرهنى ؟ .. أوعـى تكرهنى . متهـيالي إنك بتكرهنى .. .. هه .. بتقول إيه ؟ .. بتحبنى ؟.. كدب .. غير حقيقى دانت بتكرهنى لدرجة الحب .. اسمح لي ياباشمهندس اضايقك شوية .. انـا باكرهك ..

(الملاحظ يمد يده تحت المخدة ليحضر شيئا ، والمهندس هو الآخر يسحب مسدسه من تحت المخـدة)

الملاحـظ: تاخد سيجارة ..؟ ..
المهندس : شكـرا .

(يعيد المسدس تحت المخدة)

المهندس : إذا كنت قريت الملف بتاعى ... يبقى لازم تغفرلي ... طول عمرى وانا باقابل متاعب ...
الملاحـظ: الظاهر انك سعيد بها جدا .. كل البنى آدمين قابلت وهاتقابل نفس المتاعب .. بس حضرتك حاطط نفسك فوق البشر .. وهى دى ماساتك .. عن إذنك .
المهندس : هاتروح فين ؟ ..
الملاحـظ: هاخرج اتمشى اشم شوية هوا ..
المهندس : اخـرج معـاك ..
الملاحـظ: لا ...
المهندس : ليـه ؟ ..
الملاحـظ: لأنك مش عاوز تتمشى .. إنت متصور إنى هاخرج اتامر عليك ..
المهندس : احتمـال ..
الملاحـظ: يعنى إيه ..؟ مش من حقى اخرج لوحدى ..؟ انا محبوس هنا ..؟ .
المهندس : لا .. بس ابقى عارف إنت رايح فين .. ده حقى وحقك ... من حقك إنت كمان تعرف انا رايح فين وباعمل إيه .. إحنا عايشين فى سكن واحد ... يعنى اهل .. شوف كل حقوقى ، وحتبقى هى نفسها كل حقوقك .. انا غلطان ..؟ ..
الملاحـظ: لا طبعا .. فيه حد يبقى مسلح التسليح ده كله ويبقى غلطان ...؟ ..

(يقترب من النافذة ويفتحها ثم يصرخ بأعلى صوتـــه ..)

الملاحـظ: أم ابراهـــيم ...

(لا أحد يرد)

المهندس : الظاهر نو: ها تقيل قـــوى .. عـــاوز منها حاجة ...؟

الملاحـظ: كنت عاوزها تحضر لنا حاجات معينة على الفطار .

المهندس : ممكن نبقى نركب عندها جرس بزرارين .. زرار عندك وزرار عندى ... لما نحتاج لها نضرب لها جرس .

(الملاحظ ياخذ فى خلع ملابسه وارتداء البيجامـــا)

الملاحـظ: تحب نركب فى الأوضة ستارة فـــى النص عشان تحس بحريتك فى النص بتاعك .

(المهندس هو الآخر يبدأ فى خلع حذائه)

المهندس : لا طبعاً .. مش عاوزين نحس بالانفصال عن بعض .. الشعـــور بالغربة والانفصال خطـر .

الملاحـظ: انا باقول يعنى علشان تاخد حريتك .

المهندس : انت لما هتفهمنى حتحبنى قوى ..

الملاحـظ: إن شاء الله .. تصبح على خير ..

المهندس : وانت من أهله ..

(الملاحـظ يلتفت لشىء ما فى آخر الغرفة ، بهدوء ينحنى ويتناول شبشباً ثم يقفز قفزة طويلة ويضرب شيئا .. فى نفـــس اللحظة يكون المهندس قد اختطـف مسدسه وشهره فى اتجاه الملاحظ وهو يطلق صيحة عاليـــة .)

المهندس : إيه ده .. ؟

الملاحـظ: عقربـــه ..

(المهندس يقترب منها بحذر ومعه مسدسه)

المهندس : ســامـــة .. ؟

الملاحـظ: قوى .. سامة جداً ..

المهندس : يعنى ، لو قرصت حد .. تموته ..؟

الملاحـظ: فى دقايق .. بس مش اى حد .. اهل المنطقة هنا واخدين عليها .. انـــا شخصياً اتلدعت منها كتير ...

(لحظة صمت بينما المهندس يحدق فى جثـــة العقربة فى رعب) .. حاجة غريبة .. آخر مرة ظهرت من خمس سنين .. جت إزاى دى ؟ .. (لحظة) .. آه جهاز التكييف ..

المهندس : جهاز التكييف ؟

الملاحـظ: ده التفسير الوحيد .. رطب الأودة قوى .. جت على الرطوبة ..

(المهندس يخلع فيشة جهاز التكييف على الفور)

الملاحـظ: هانضطر نفتح الشباك .. ماتخافش .. لما الحتة اللى قدامنا تتزرع قصب .. نبقى نقفلـــه ..

(يفتح النافذة ، يشعل عود ثقاب ثم يحرق به جثة العقربة ، ويتناولها بورقة ثم يلقى بها مـــن النافذه

المهندس : والواحد يدافع عن نفسه إزاى .. ؟

الملاحـظ: زى ماحضرتك شفـت .. بالشبشب .

المهندس : بالشبشب ..؟

الملاحـظ: أو بالجزمة .. أو بالقبقاب دى الأسلحة الفعالـــة ..

المهندس : الكلام ده لو شفتها .. ممكن ماشوفهاش .. واتلدع ..

الملاحـظ: احتمال .. نرجع بقى لعلم الاحتمالات اللى كنت بتتكلم عنـــه ..

المهندس : أيـــوه ..

الملاحـظ: خليك حريص .. قبل ماتلبس الجزمة لازم تفحصها .. قبل ماتنام وتفحص الملاية وتشوف تحت السرير وتحت المخدة..والصبح تفتش الحوض كويس وحوالين الحنفية .. وربك هـــو الستار .

المهندس : مفيش فى مكتبة المصنع مراجـــع ودراسات عن كيفية مقاومتهـــا ؟ .

الملاحـظ: المصل موجود فى الوحدة العلاجية .. على بعد سته كيلو ..

المهندس : وعلى ما الواحد يروح الوحدة الطبية يكون خلص ..

الملاحـظ: (وهو يتثاءب) .. احتمال .. بس زى ما قلت لحضرتك .. ربك هو الستار .

المهندس : لازم نعمل هنا اجزاخانة .. ونحط فيها مصل ..

الملاحـظ: (وقد بدأ يستولى عليه النوم فعلا) ... مش شايف انها هاتبقى غريبة شوية ... أصل الأوضة دى هاتبقى روعة ... هايبقى شكلها وحش لما نحط فيهـــا اجزاخانة ... على العموم مش مشكلة .. نبقى نغطيها بشوية ورد وشويـــة ورق شجر ... (يتثاءب) .. تصبح على خير .. لو احتجت حاجة صحينى .. (ينام ، تمر لحظات ، يفتح عينيه مرة اخرى) .. انا من رايي نعمل الأرضية مشمـــع . (يغمض عينيه وينام) .

المهندس يجلس على سريره ، يرفع المخدة بحذر ويلاحظ ماتحتها ، ينقل بصره بين الجدران .. ينحنى تحت السرير ويراقب أسفله ، يعود بسرعة لامتعته ويخرج مصباحا كهربائيا صغيراً يمسكه بيده اليسرى ، وباليمنى يمسك المسدس .. يتذكر شيئا ، يترك المسدس ويمسك فردة شبشب بدلا منه ، يبحث جيداً تحت السرير .. يجلس ليلاحق انفاسه .. ينظر حوله ببطء فى دائرة كاملة .. يقفز فجاة واقفاً .. يراقب مقعداً صغيرا .. يمسك بمسدسه فى يد والرشاش فى اليد الأخرى . يصعد على المقعد ويلتقط فردة الشبشب . الآن هو يقف على المقعد ، والمسدس فى يد ، والشبشب والرشاش فى اليد الأخرى ، عيناه تمسحان كل ركن فى الغرفة فى حذر وقلق وجد .. الملاحـظ الذى استغرق فى النوم تماما يعلو شخيره .. طويلا .. منتظما ... متقطعا ... الى أن تنزل الستار ..

على سالم



صـــلاح احمد حسن
رسوم : علـى ديـــاب

مواقـــف



● جاء شحاذ ضرير الى حيث وقف القطار ولانه كان لا يرى ، وقف امام القاطرة وألح في السؤال .

ولانه كان لا يرى، دهسته القاطرة.

أحس ألما فجائيا وعارما ظن انه الجوع .

ضرب بعصاه الحديد بقوة .. على احدا يسمعه .. يضع في آنيته شيئا يسد رمقه .



● كنا نعيش بقرية نائية وكنت صغيرا آنذاك .

وعدني أبي قطارا صغيرا .

عندما ذهبت الى محطة السكة الحديدية لاول مرة ، كانت القاطرات تقف بلا عدد .

اخترت اصغرها .

أخذت فيها مقعد السائق ، وبعد قليل كنت اقودها كان ذلك شيئا سهلا ، فقد كان لها خطان حديديان لا تخرج عنهما ابدا .



● كان غريبا في هذه البلدة النائية وكان متعبا . قرر ـ لضجره بالمكان ـ ان يرحل سريعا .

(القطار كان هو الوسيلة الوحيدة لذلك .)

نظر فاذا الخطان الحديديان يلتقيان في نقطة عند الافق . اخذ مقعده بين المسافرين وعندما تحرك القطار ، اغمض عينا .. وظلت عينه الاخرى مشبوحة .

● كان الوقت اصيلا وكنت اتنزه في الخلاء عندما ابصرت جدارا عملاقا وبعرض الأفق .

كان للجدار باب وحارس .

ـ «هل تسمح لي بالدخول والخروج متى شئت ؟»

ـ «الامر كله متوقف عليك . »

ما ان دخلت حتى اختفى الباب والحارس وبقي الجدار .

لم يكن هناك امامي سوى الافق ، والشمس التي ظلت تغوص فيه باصرار .

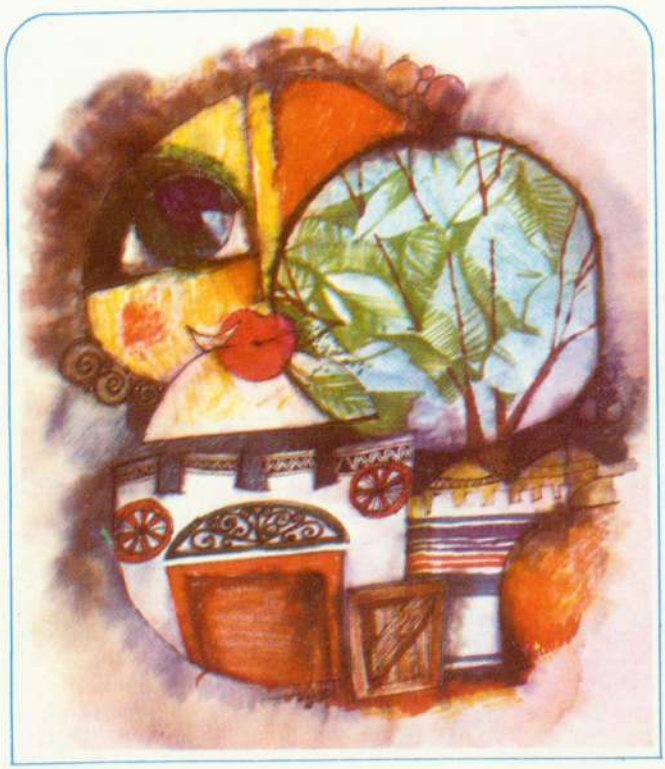
● أرسل مبارك الذي كان يدرس الحقوق بجامعة كيمبردج الى ابيه خطابا جاء فيه : «لقد قررت الزواج من ابنة عمي سعاد . ارجو اجراء اللازم وارسالها بأول طائرة» .

وارسلت له سعاد المندهشة تسبقها برقية لم يستلمها لانشغاله بالامتحانات.

عندما لم تجده سعاد بالمطار ، كان عليها ان تستقل المترو حتى ليفربول ستريت ومن هناك استقلت القطار حتى كيمبردج .

دوى ـ دون مناسبة ظاهرة ـ صوت عجلات القطار في اذنيها بعد عام عندما كانت تضع مولودها الاول .





● قال الاول :

«زرع أبي قمحا • وتعهده بالسقيا على مدار العام •كثرة السقيا قتلت ابي ، وما نبت القمح •

«في العام الذي يليه نبشنا الارض فاذا الذي زرع ابي لم يكن قمحا • كان قلبه ••• زرع أبي قلبه • »

قال الثاني :

«زرعت حبيبتي قلبها •

انبت قلب حبيبتي قمحا • »

● هذا اسبوعه الاول بموسكو • كان غريبا ، تائها وخجلا •

وعندما قادته قدماه الى حانة اكتظت بالعواجيز ، جلس قصيا • من حيث لايدري جلست اليه عجوز وظلت تتحدث اليه ثم انتزعته من مكانه وبرغمه جعلت تراقصه •

ما مر يومان حتى التقاها بمتجر احذية • تهللت اساريره ، أسرع اليها الخطى وهتف : « كاكديلا •• » « كاكديلا •• » أجابته بأدب ••

وراحت تجرب حذاء جديدا •



● كان يافعا وكان محبا نبيلا •

قرر ان يهدي حبيبته تذكارا •

وقف أمامها بخشوع الحب كما ينبغي أخرج خنجرا شق به صدره وانتزع بذات يده قلبه وقدمه لها •

سقطت مغشيا عليها ••

● عندما وقف بباب السجن ، ملأ رئيته بهواء الحرية التي حرم منها عشرين سنة •

ولدهشته ، شعر بالخوف قليلا أو كثيرا أسند رأسه الى الحائط الحجري المنيع وأحس ببعض الاطمئنان •

● برما احاول ـ كلما وقفت بحضرة حبيبتي ـ ان القلد الآخرين اذا ما وقفوا بحضرات حبيباتهم •

تعلمت بعد جهد كيف أمامها أسبل جفني واخفض صوتي الى حد الهمس فلا أنا أراها ولا هي تسمعني •

ذياك هو الحب العظيم •

قالت يوما : « اني لا أسمعك • »

قلت : « وانا لا اراك • »

لسبب لم أفهمه كان علينا الاثنين ان ننحني •• فعلنا ذلك •

وصفق الجمهور طويلا •

● ضرب في الصحراء تائها وكان عطشا • مرتان خدعه السراب •

وعندما بلغ نبعماء حقيقي ، اشاح بوجههوابتعد مسرعا •

● عندما قال الحجاج بن يوسف في البتراء : «اني أرى رؤوسا قد أينعت

وحان قطافها واني لصاحبها • » تمتم احد المستمعين لنفسه : «عنب ؟» •

صلاح حسن احمد

أزمة الفن التشكيلي في العالم العربي

الفنان والجمهور

جمال قطب

لاشك أن هناك أزمة حقيقية تعاني منها الفنون التشكيلية في وطننا العربي والتغاضي عن هذه الهوة التي تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم بين الفنان والجمهور ، يعتبر مساهمة ايجابية في انفصام عرى التفاعل بين الفنان ورسالته من جهة ، وبين استيعاب الاجيال الناشئة لهذا الفن الرفيع من جهة اخرى .

ورغم النشاطات الفردية والتنظيمات المحدودة العاملة في هذا الميدان ، الا أن شيئاً ما ليس في موضعه ، ويتطلب منا المزيد من الجهد والمثابرة لاعادته الى مكانه الصحيح . والمشاهد لجمهور معارضنا الفنية النادرة ، يمكنه على الفور أن يحصر القلة الضئيلة التي تهتم بالفن التشكيلي عندنا ، واذا استثنينا الفنانين انفسهم ، وبعض النقاد والمثقفين ثقافة خاصة ، لاصبح باقي رواد هذه المعارض مجرد مجموعة من المتفرجين على صور ومجسمات لا يدركون ابعادها الحسية ولا فحواها ومرماها !

وقد يقال ان الفن التشكيلي بطبيعته ذو شعبية ضعيفة اذا ما قورن بباقي فروع الفنون الاخرى كالأدب والسينما والمسرح وغيرها ، ولكن هناك حقيقة واقعة ، وهي أن الفنون بشتى تخصصاتها لا تعدو أن تكون أكثر من روافد لمنهل واحد تغذى بعضها البعض وان اختلفت في شعبيتها ومدى تأثيرها والتقائها بالجماهير وأسس ووسائل هذا الالتقاء ، والدليل على ذلك ما نراه في البلاد المتقدمة من تلاحم الفنون التشكيلية بالجماهير وبالقنوات الثقافية الاخرى .. هذا التلاحم الذي يرتفع بمستواها ويدعمها يوماً بعد يوم ، مما جعل الفنان قائداً يتربع على عرش الريادة الفكرية في مسيرة الحضارة المعاصرة .

ولعل هذه الهوة بين الفنان والجمهور في بلادنا ، تعتبر المحور الرئيسي للازمة الراهنة ، وتتفرع منها مختلف المظاهر الاخرى من تقوقع الفنان وانغلاقه على ذاته ، ومن هبوط مستواه المادي .. وشعوره بالمرارة لعدم وجود المشجع لفنه كمستهلك منظم لانتاجه ، مما أسفر عنه تباعد الفن التشكيلي عن باقي الفنون ، وبالتالي لم تكترث الجهات المسئولة برصد الامكانيات الملائمة للنهوض به ، وهم يحسون بمدى انصراف الجماهير عن هذا الابداع العريق .

واخطر نتيجة لهذه العزلة عن الجمهور ومسيرته الحضارية ، تتصل بالفنان ذاته وبقدرته على الابتكار والتطور ، لان المنطق ، والبديهية التي لاتقبل جدلا ، هو ان الفنان – أي فنان – ينتج فنه لجمهور ما . ومهما اختلفت الطرز والمذاهب الفنية ، وتناقضت النظريات الجمالية والفلسفية ، وتفاوتت المقدرة على الرؤية والاستيعاب ، فستظل هذه البديهية هي القاعدة التي تحكم الابداع في كل زمان ومكان . فالفنان الذي يعبر بصدق عن أحاسيسه وانفعالاته وافكاره ، يصل الى قمة سعادته عندما يحظى بالاستجابة الجماهيرية الواسعة لفنه ، وتتردد اصداء إبداعه في بصائر مواطنيه الذين يتفاعل معهم ويستلهم منهم أفكاره الواعية !

أي ان الفن ، والفنان ، والجمهور ، مراكز ثلاثة تنتظم على محيط دائرة واحدة ، واختفاء او نقص واحد من هذه المراكز يعني انقطاع التيار الفني .

وقد يشير البعض الى عباقرة التاريخ الذين سبقت اشعاعاتهم الملهمة ازمانهم التي يعيشون فيها ، ولم يلاقوا في حياتهم الاستجابة الكاملة من جمهور معاصريهم ، بل ربما جابهوا معارضة وإعراضاً وهجوماً ، وربما مرت سنوات على رحيلهم قبل أن تتم الاستجابة الحقيقية لاعمالهم !

ونحن لا ننكر هذه الظاهرة .. ليس في مجال الفن التشكيلي وحده بل في كل نواحي الحياة الفكرية الأخرى .. وهؤلاء كانوا قلة من الرواد الذين وهبوا حياتهم لخدمة ما آمنوا به من الأفكار المستقبلية السامية ، ووجدوا العزاء في اعتقادهم الراسخ بالسبق والخلود ، وكانت تحركهم عوامل نفسية معينة لا يقدر عليها إلا الأفذاذ .. وهم الذين أضاءوا لنا طرق البحث الفني وأرسوا قواعد الحياة الفكرية المعاصرة . كما حدث لقادة المدرسة التأثيرية في منتصف القرن الماضي ، والمدرسة الوحشية في أواخره ، والدادية والسيريالية في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وأعتقد أنه مما لا يقبله عقل ، أن نعتبر كافة العاملين في مجال الفنون التشكيلية عندنا في عداد هؤلاء القادة العظام !

العزلة والفنان

ولعل أقسى ما يشعر به الفنان هو إحساسه بالعزلة في عالم اليوم الزاخر بالحركة والجموع الحاشدة في شتى مجالات المعرفة ! ومن المؤسف أن هذا

فنوننا فقدت ـ أو كادت ـ

أهم مقوماتها وهى التعبير عن آلامنا وآمالنا

وتعميق شعورنا بالانتماء والأصالة

الفنان بطبيعته يستمد وجوده كمبدع من تأثره بمواطنيه وبمدى تأثيره عليهم

الوضع يزداد حدة عاماً بعد عام ، ويرسب فى وعى الفنان احساس مرير بكونه عضواً لا يحظى بالمكانة الملائمة فى كيان مجتمعه ، ويحدث هذا فى عالمنا العربى فى وقت نعيش فيه عالة على نتاج غيرنا فى كل متطلبات الحياة تقريباً ، وأخطر ما فى الأمر اننا نستورد كذلك ثقافتنا وأذواقنا حتى وجدنا انفسنا منساقين طواعية الى أن نرى ببصر الأجنبى ونحس ببصيرته ! وفقدت فنوننا ـ أو كادت ـ أهم مقوماتها وهى التعبير عن آلامنا وآمالنا وتعميق شعورنا بالانتماء والأصالة والتراث !

وكانت النتيجة الحتمية لهذه الاستكانة للسيطرة الأجنبية الجارفة ، أن فسدت الأذواق وضلت طريقها فى متاهات الخلط بين الغث والثمين ، ولم نكن مسلحين بالثقافة الفنية الواعية ، ولم ندرب بصيرتنا على التمييز بين القيم الجمالية الفنية ، والابهار الشكلى الرخيص . وبين هذا وذاك ، انطمس الفنان العربى تحت وطأة العفوية والسطحية ومظاهر التحضر الجوفاء ، وازداد انعزالا فى مرسمه ، اتقاء من سطوة أعاصير الغرب العاتية !

يحدث هذا رغم تضاعف عدد الأفواج التى تخرجها معاهدنا الفنية عاماً بعد عام ، وكذلك بالرغم من وصول الفن التشكيلى الى كثير من مجالات الانتاج التى لم يطرقها من قبل كالصحافة والكتاب والتليفزيون والسينما ، وكلها وسائل جماهيرية كان من المفترض أن تساعد الفنان على اجتياز هذه الهوة بينه وبين الجمهور ..

وان النجاحات الفردية فى تلك المجالات ليست محل اعتبارنا إزاء التقييم الشامل لوضع يزداد تدهوراً على اتساع عالمنا العربى الكبير .

عندما يذوب الجليد

كانت هذه هى القاعدة العامة فى فنوننا التشكيلية وعلاقتها بالجمهور ، وقد لاتكون باقى الأنشطة الفكرية بهذا القدر من الحساسية ، لأن الفنان بطبيعته ـ فكريا ووجدانياً ـ يستمد وجوده ككيان إبداعى من تأثره بمواطنيه وبمدى تأثيره عليهم .. ونستطيع أن نؤكد أن الفنان العربى ـ بحكم أصالته الضاربة فى أعماق التاريخ ـ ذو معدن نقى أصيل .. سرعان ما يتناسى واقعه وآلامه ، إذا ما تحركت فى نفسه بواعث الذود عن بلده أو الدفاع عن كرامته الوطنية او القومية ، فعندما تستعر العواطف والمشاعر ، تتلاشى هذه الهوة الفاصلة بينه وبين مواطنيه ، وتتداعى كل الحوائل والسدود ، وتنطلق الصحوة بغريزة تلقائية نابضة ، ليصبح فكره وابداعه واقعاً ملموساً كاثر موجه فى مجتمعه ، ولعلنا نتذكر احداثنا العربية الكبرى أثناء معاركنا المجيدة سواء كانت مكللة بالنصر أو رازحة تحت وطأة الهزيمة .. نجد أن الفنان ـ وقد ذاب حائط الجليد ـ قد اندفع فى حماس وكأنه يغمس فرشاته فى دمه يعبر باعماله الصادقة عن خلجات وآمال شعبه .. مؤثرة كأروع ما يكون التأثير .. وهنا تتألق رسالة الفن كما يجب أن تكون دائماً وأبداً !

ولكن هذه الظاهرة المتفائلة ـ كأى حدث مؤقت ـ لا تلبث أن تخبو جذوتها .. ويعود الفنان إلى عالمه الذاتى المغلق .. وينصرف الجمهور كما كان ، فى معزل عن عطاء الفنان ، وكان الأمر لا يعنيه فى شىء !

واجبنا الحضارى

إننا مطالبون اليوم ـ وبعد أن نستعرض جذور المشكلة ـ بان يحدث هذا التقارب بين الفنان والجمهور ، لابشكل انفعالى طارىء ، ولكن بصورة طبيعية ودائمة .. هذا هو واجبنا الحضارى الانسانى نحو امتنا وشعوبنا

ويجب أن نضع أيدينا على الأسباب التى تؤدى الى هذا الانفصال ، ونعمل باصرار لا يعرف الملل على فرض أوضاع جديدة تعيد لفنوننا التشكيلية تلك المكانة المرموقة التى حظيت بها على مدى آلاف السنين .. ولا نقول هذا من باب المجاز ، ولكن الدارس لحضارة المنطقة العربية وحضارة الاسلام ، يجد أن أهم مظاهر تلك الحضارة هو التراث الفنى .

وهذا رأى معروف أقر به كثير من المؤرخين المعاصرين ، كان من أبرزهم وأكثرهم اهتماماً بالفنون الاسلامية ، برنارد لويس ، رئيس الدراسات العليا بجامعة برنستون الامريكية ، حيث استهل مؤلفه الضخم عن حضارة منطقتنا العربية بقولة : «إن أعظم منجزات الحضارة الاسلامية هو الفن» .

وليس من العسير ولا المستحيل أن نتدارك مواقفنا ونعيد حساباتنا لنعرف الطريق الصحيح نحو خلق فن عربى معاصر يكمل المسيرة الخالدة ..

وليس هناك شعب توقفت مسيرته الفنية بشكل مباغت يدعو الى التساؤل كما حدث لنا منذ أكثر من ثلاثة قرون . فاذا تخطينا ركام الأطلال ، وعبرنا عصور

الفنـــــان. . . والجمهور

التالق الفنى للحضارات الاقليمية العريقة فيما قبل الاسلام ، وجدنا ان الفتح الاسلامى قد جمع بين شعوبنا فى امة واحدة ، كما جمع القلوب حول شعار الاسلام الخالد : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . وبكل اصالة هذه الشعوب الضاربة فى اعماق التاريخ الانسانى ، انصهرت فى بوتقة واحدة ، وافرزت فناً ذهنياً رفيعاً ، تسيد حركة الابداع العالمى قرابة الف عام . وبانتهاء العصر



لوحة للفنان السورى لؤى كيالي .. كان الفنان مثلا لتنكر جمهوره لأعمالهُ المتقدمه

• النجاحات الفردية ليست محل اعتبار
إزاء التقييم الشامل لوضع يزداد تدهورا

العثمانى التركى عام ١١٣٤ هـ ، والعصر الصفوى فى ايران عام ١١٣٥ هـ وعصر الهند الاسلامية تحت حكم السلطان (أكبر) و (جيهان جير) و (شاه جاهان) حتى عام ١٠٦٩ هـ ، نجد أن الطابع الاسلامى المميز قد اندثر بعد ذلك كحبات اللؤلؤ التى انفرط عقدها لتتلقفها اليد الأجنبية المتحفزة وتصيغها حسب أهوائها من جديد !

وانتهى منذ ذلك العصر عهد الوحدة الفنية الاسلامية .. وفى عالمنا العربى كان آخر عهود الازدهار الفنى فى منطقتنا هو عهد المماليك حيث تألق الفن العربى الاسلامى ليغمر العالم كله بابداعاته المعجزة .. وكانت هذه هى القمة التى ليس بعدها إلا الانحدار !

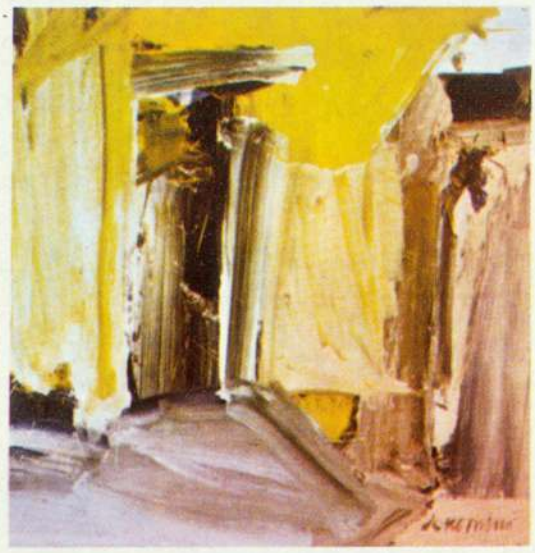
وتوالت على عالمنا العربى أحداث جسام .. ليس هذا مجال بحثها .. ولكننا نصل فى استعراضنا للمسيرة الفنية العربية إلى إطلالة العصور الحديثة .. وحركة الفن المعاصر منذ أوائل هذا القرن .. إلى أن نصل إلى فنوننا وفنانينا فى عالم اليوم .. فنتناول بالتحليل شتى الظروف والوسائل التى أدت إلى هذا التباعد بين الفنان والجمهور ..

ولن نستطيع أن نحيط بدقائق هذا الموضوع إلا إذا تدارسنا الحركة الفنية العربية الحديثة منذ نشأتها وحتى اليوم .

جمال قطب



جوجان .. سبق عصره وعاش فى عزلة عن مواطنيه .



هل أعد جمهورنا لفهم هذه الأساليب .



دراسة وجه امرأة لبيكاسو .. انطلقت الى عوالم غامضة كانت بداية التكعيبية

نادية محمد رزق

الحركة المسرحية في قطر

- إبتعاد بعض النصوص عن القضايا التى تهم الناس
- أثر « الفيديو » ومحطات التليفزيون على المسرح

بحماس الشباب وطموحه ، اتجهوا الى هذا الفن الجديد ، برغم قصر عمر التجربة التى بلغت عشر سنوات فقط ، فقد قدموا أعمالا مسرحية عديدة ، أبرزت مجموعة من العناصر الفنية الشابة التى أخذت على عاتقها مسئولية المضى بالحركة المسرحية للأمام ، رغم الصعاب والمشاكل التى تواجههم وهم يسعون لخلق مسرح قطرى يساير كل جديد فى عالم التطور الفنى ..

بداية الميلاد

وإذا أردنا الحديث عن آمال وطموح المسرح فى دولة قطر ، لوجدنا أن البداية ظهرت فى المدارس ، والنوادى ، حيث كانت تتكون بعض الفرق الصغيرة ، وتقدم عروضها أمام عدد ضئيل من المتفرجين ، حتى ظهور أول مسرح قطرى بمعناه الصحيح فى عام ١٩٧٠ ، وكانت أول عروضه تحت اسم «عانس» .

وتحمس الشباب بعد عرض هذه المسرحية ، وأدى طموحهم الى بداية اكتساب الخبرة ، والى تأسيس مسارح أخرى مثل مسرح الأضواء ، ومسرح السد بالاضافة للمسرح القطرى ..

الكتاب المحليين

ونتيجة لهذه الطفرة المسرحية ، بدأت تظهر لأول مرة نصوص مسرحية لكتاب محليين ، يعرضونها على الفرق المسرحية أو يعطونها لقسم المسرح التابع لادارة الثقافة والفنون ، الذى يختار النصوص الصالحة ويشتريها لتشجيع التاليف المسرحى وللحصول على أفضل الأفكار التى تصلح للعرض فوق خشبة المسرح ..

ومن هذا المنطلق كانت البداية الحقيقية للمسرح القطرى ، حيث ظهر بعض الأفراد المهتمون بالكتابة للمسرح أمثال غانم السليطى وحمد الرميحى وعبد الرحمن المناعى الذى كتب حتى الآن مايقرب من عشر مسرحيات هى : أم الزين ، باقى الوصية ، هوبيل يالمال ، الجريمة ، المغنى والأميرة ، ياليل ياعين

وعندما سألت عبد الرحمن المناعى عن سر قلة الكتاب المسرحيين فى قطر ، قال ان الشباب مازال فى حالة استيعاب للطفرة الحضارية السريعة ، وحتماً عندما يتم نضجه فى استيعاب هذه المتغيرات، سيعبر عن ذاته ، ويعطى للمسرح وغيره أفكاراً متعددة ، خاصة وأن الجيل الحالى متاح له كل فرص الحياة السهلة التى كان يصعب على أجدادنا الحصول على مثلها .



ذكريات الماضى على خشبة المسرح

الترجمة والاقتباس

وقد بدأ المسرح فى كثير من البلدان العربية بالاقتباس أو بترجمة النصوص الأجنبية التى تناسب ظروف كل بلد ، ولكن الفنان عبد الرحمن المناعى يعترض على هذه الفكرة ، فمن رأيه أنه فى الوقت الحاضر لابد من الالمام بالشكل العام للحياة ، وتقديم الأعمال المحلية الصرفة حتى يتعود الجمهور على الحضور للمسرح لمشاهدة ما يهمه من مشاكل بيئته المحلية ، وبعدها يمكن الاتجاه الى الترجمة لمعالجة نصوص أكثر عالمية .

أين الجمهور

وحتى الآن لا يوجد جمهور ثابت قطرى ، وفى بداية المسرح فى قطر كان اقبال الجمهور أكثر من الوقت الحاضر ، وسبب ذلك ابتعاد بعض النصوص عن القضايا التى تهم الناس ، فلماذا يتعب المتفرج نفسه ويأتى ليشاهد مسرحية لا تتحدث عنه وعن حياته اليومية .. ففى الماضى كانت المسرحيات تتطرق لتلك القضايا وتعالجها بكل الأدوات التعبيرية مثل الأغانى والأمثلة الشعبية .

سعادة وزير الاعلام عيسى الكواري مع فناني المسرح



وقد قال الفنان « ابو جسوم » بان إقبال الجمهور على المسرح يجعله يستطيع أن يؤدى رسالته ، ليصل الى الأفضل ، والمسرحيون محتاجون الى جمهور يفكر معهم ، فى الأعمال الفنية التى تقدم له .

وقال انه فى محاولة لتشجيع الاقبال على المسرح ، تذهب الفرق المسرحية احيانا الى الجمهور ، فمثلا مسرح الأضواء ذهب عدة مرات لتقديم مسرحياته فى الخور ودخان ، وكذلك مسرح السد .

ومن الأسباب الأخرى لانصراف الجمهور عن المسرح ، نقص الدعاية والاعلان عن المسرحيات المقدمة ، وعدم اهتمام وسائل الاعلام بقضايا المسرح .

المنافس الخطير

وهناك منافسة شديدة بين المسرح وبعض وسائل التسلية والاعلام الأخرى مثل التيلفزيون والفيديو ، فالمتفرج الذى يستطيع أن يشاهد مايريده من خلال سبع او ثمانى قنوات بالتليفزيون ، او من خلال مايسجله فى الفيديو الذى اصبح الآن منافساً خطيراً للمسرح ، بل وحتى للتليفزيون والاذاعة ، لا يرغب أن يتعب نفسه بالذهاب الى المسرح لمشاهدة عمل ما قد يعجبه وقد لا يعجبه ، ولهذا فالفيديو الآن يجذب هذا الجمهور ، فضلا عن أن الجمهور فى دول الخليج غير معتاد على التوجه من تلقاء نفسه للمسرح لانه ليس من تراث منطقته .

نقص الفنانين

وعندما بدات فرقة الاضواء عام ١٩٦٤ كان الفنان حسن على ، وعبد العزيز ناصر ، وعبد الرحمن المناعى وغيرهم ممن شاركوا فى بداية الفرقة ، لايجدون مقاعد يجلسون عليها اثناء إجراء البروفات ، وكلما كان يتجمع معهم مبلغ من المال كانوا يشترون به قطع اثاث للفرقة مثل المقاعد ، والطاولات وغيرها .. وإننى أسوق هذا المثال لأبين حماس الشباب فى بداية تكوين الفرقة المسرحية حين كان الحب يجمع بين الفنانين .. والآن .. وبعد أن خصصت الدولة مكاناً خاصاً لكل فرقة ، وسهلت عليهم كثيرا من التعقيدات ، تكثر الشكوى ! وهذا يؤكد الحقيقة القائلة بأن المعاناة جزء من تكوين الفنان حتى ينتج ، أما الراحة ، وتوفير كل سبل الحياة السهلة فانها تجعل الفنانين غير مقبلين على العمل ، وبالتالى تطفو على السطح مشكلة نقص العناصر الفنية الحقيقية .

وهذا لا ينفى الحقيقة القائلة بأن هناك العديد من الأسماء التى اثبتت وجودها فى الحركة المسرحية مثل على ميرزا ، وسيار الكوارى ، ومحمد البلم ، وحمد الرميحى ، وخالد زيارة ، ومن الممثلات سلوى عبد الله ، ومريم راشد ، وسعاد دهام ، ووداد الكوارى ، وغيرهم .

وهذا على الرغم من أن الفرق المسرحية تعتمد على الهواة فى جميع التخصصات ، ولا يستثنى من ذلك إلا الممثلات اللاتى يتقاضين معاشات شهرية من الدولة ، تشجيعاً لهن على خوض هذا المجال الجديد .

النقد المسرحى

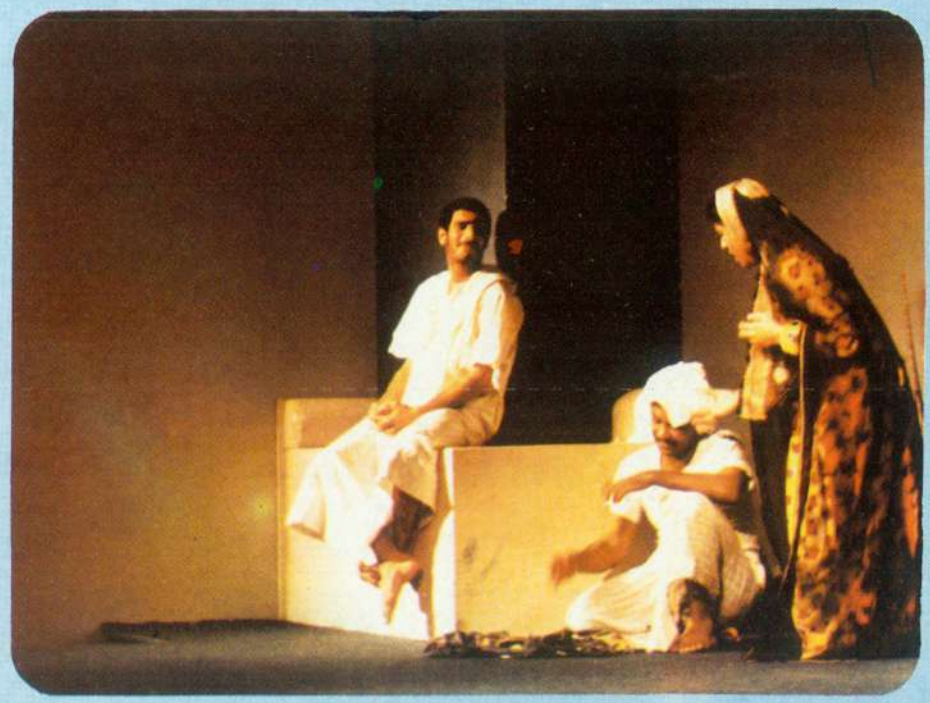
ومن خلال دراسة مشاكل المسرح فى قطر ، يظهر بوضوح غياب الصحافة الفنية التى تهتم بالنقد السليم ، بالرغم من أهميتها فى دفع الحركة المسرحية الفنية الى الأمام ، وإن وجد فهو بشكل غير متخصص ، وقد حدث أن كتب بعضهم نقداً لبعض المسرحيات نتيجة سماعها من بعض أصدقائه ، ولذلك لابد لمن يهتم بالنقد أن يدرك معطيات الحركة الفنية بقطر ، ولا يجب أن يقتصر دور الناقد المسرحى على انتظار عرض مسرحية جديدة ، ثم نقدها ، بل عليه أن يوجه خيال المؤلفين والمهتمين بالحركة المسرحية الى أفكار جديدة يمكن الاستفادة منها .

دور الخبرات العربية

ومن المؤكد أن دخول بعض الخبرات العربية أدى الى مساهمة فعالة فى الحياة المسرحية بقطر ، وأفاد بصورة غير مباشرة الفنيين العاملين بهذا المجال ، مما أدى الى ايجاد الطريق السليم للعمل المسرحى الذى يعتمد على

الحركة المسرحية في قطر

مشهد مسرحي بين سارة حمد ، وسعد بورشيد ، ومحمد يوسف .



القدرات العلمية الدارسة ، خصوصاً بعد عودة طلاب المعاهد الفنية المتخصصة .

وفى خلال السنتين الماضيتين أصبح معظم الفنيين من العناصر القطرية .

المشاركة فى المهرجانات

ونتيجة للاحتكاك بخبرات الآخرين ، يستفيد المسرح فى قطر بالاطلاع على أفكار ومدارس ومناهج مختلفة تؤدى الى خلق نوع من التوجيه السليم الذى يناسب إمكانيات وواقع المجتمع .

وقد شاركت فرقة مسرح قطر الأهلى وهى تنتخب للمشاركة فى المهرجانات من كل الفرق ، فى العديد من المهرجانات ، كما بادلتها الفرق الأخرى العربية هذه الزيارات ، فمثلا شاركت الفرقة فى مهرجان الحمامات بتونس بمسرحية «المغنى والأميرة» كما شاركت فى مهرجان دمشق ١٩٧٨ ، وزارت الكويت .

ومما لاشك فيه أن هذه الزيارات تتيح الفرصة لتبادل الرأى والمشورة ومشاهدة تجارب الآخرين .

ومن المألوف أن تستضيف الفرق القطرية العديد من المحاضرين فى مجال المسرح للاستفادة من خبراتهم ، مثل المنصف السويسى الذى أخرج لمسرح قطر الأهلى مسرحية «رحلة ححا مع النزهاء» .

نقل التراث

إن المسرح فن شامل ، يمكن من خلاله أن تثار قضايا كثيرة تهم الجمهور ، وعندما انتقلت « ياليل ياليل » الى جمهور دخان – وهى تحكى قصة حدثت عام ١٩٢٠ أى قبل ظهور البترول – أحس الفنانون العاملون بالمسرحية أن الجمهور كان منسجماً تماماً مع المسرحية وكأنه يمثل معهم من شدة الانفعال ، ومعايشة التراث الحقيقى ، وهذا يدل على أن اننا لو استطعنا نقل التراث وتوصيله بصورة جيدة الى الجمهور ، لكان ذلك كسباً حقيقياً سواء عن طريق الأغانى أو الرقصات الشعبية أو النصوص المسرحية ..

وقد عرضت فرقة مسرح السد مؤخرا أول مسرحية للأطفال يعتمد نصها على التراث القطرى وذلك بعد تجميع قصص الأطفال القديمة التى كانت تقصها الجدات ..

والقصة المأخوذة عنها المسرحية تسمى باسم «الفسيكرة» وهى سمكة صغيرة تشبه قصة «سندريلا» ، ولكن ترتبط بالبيئة ، فتعتمد على البحر والصيد ، وستستخدم المسرحية كل الأدوات الموجودة باللغتين العربية الفصحى والعامية ، وتعتمد على الأغانى ، والرقص ، والتمثيل الصامت ، وهذه المسرحية موجهة أساساً للطفل القطرى بألحان مثيرة وأصوات جميلة ولغة مفهومة للجميـــع .

مكانة المسرح القطرى

والمسرح فى قطر يجمع بين الجدية والترفيه .. وبالرغم من حداثة المسرح فى قطر فان ماقدم على خشبته حتى الآن يبشر بمستقبل مشرق ، لو استطاع العاملون به أن يمسكوا بمفاتيح العمل السليمة .

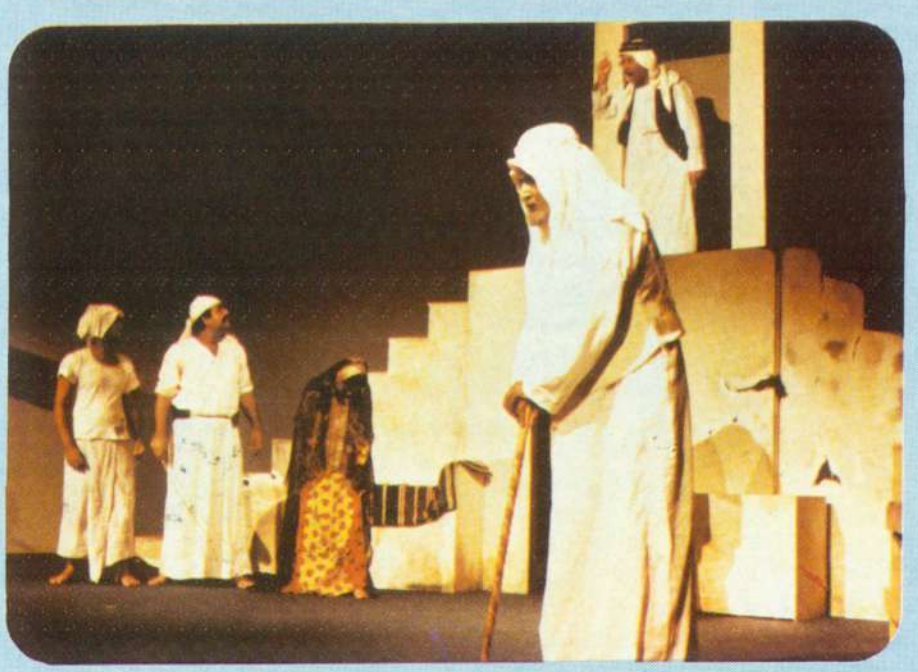
والتجارب هى التى تثبت هذا القول ، فمن خلال عدة تجارب مسرحية يستطيع المسرح فى قطر أن ينتقى لنفسه الأسلوب الذى سيسير عليه ، وإن كان حتى الآن يجمع بين عدة مدارس ، فهو تارة يقدم مسرحياته بالعربية الفصحى مثل قيس ولبنى ، وتارة يقدم مسرحية تجمع بين التمثيل والرقص والغناء مثل «ياليل ياليل» و «المغنى والأميرة» ، و مسرحية «هوبيل يالمال» وهى جادة وموجهة للمثقفين فقـــط ..

التراث العربى كما رأيناه على مسرح قطر



الثقافة والفنون

وقد انشأت وزارة الاعلام قسماً خاصاً بالمسرح داخل إدارة الثقافة والفنون ، الذى يعد كما يقول الفنان محمد عواد المشرف على هذا القسم - هو المسئول الأول عن الفرق المسرحية - وذلك تجاه تخطيط الأنشطة والاشراف عليها بتوفير المتطلبات ، والتسهيلات ، وتنظيم الدورات واللقاءات ، للمساعدة على خلق توجيه مسرحى مناسب ، وخلق الكوادر الفنية ، وإتاحة الفرصة لهذه الفرق على شكل مشاركة جماعية عن طريق مسرح موحد هو مسرح قطر الأهلى ليمثل قطر فى الخارج .. وهناك لجنة معينة لرقابة النص والتصريح بعرضه .



لقطة مسرحية تجمع محمد عواد ، وعبد الله يوسف ، وسارة محمد ، وعبد العزيز جاسم ، وسعد بورشيد

المخصصات السنوية

وزيادة فى تشجيع فرق المسرح الأهلية ، خصصت الدولة لكل فرقة مايقرب من مائتى الف ريال سنوياً ، يدفع منها حوالى ستون ألف ريال إيجارا لمقر الفرقة سنوياً ، وموازنات كل عرض من ملابس وديكور وخلافه ، وما يتبقى يوزع على أعضاء الفرقة وأحياناً المؤلف .

والغرض من انشاء «قسم المسرح» ليس التدخل فى شئون المسارح الخاصة فهو يمثل جهة متخصصة لتقديم الخدمات حتى لا تصبح هذه الفرق فى معزل وحتى يكون هو حلقة الوصل بينها وبين المسئولين .

وتبنى الدولة الآن مسرحاً كبيرا سيتم الانتهاء منه بعد حوالى ستة شهور ، وهو يقام بتوجيه من سمو أمير البلاد المفـــدى ..

ولا يتبقى فى النهاية سوى الأمنيات التى تملأ صدور هؤلاء الشبان ، وتتمثل فى أن يصبح المسرح القطرى على مستوى المسارح العربية الراسخة من حيث تقديم الأعمال الجيدة التى ترضى الجمهور والمتخصصين على السواء .

نادية رزق

سامى خشبة

زينب والعرش والرجال

أراد فتحى غانم ـ مع استمتاعنا بالرواية ـ أن نفهم الظواهر والأحداث والأفكار !

لم يعد غريبا ان يكتسب عمل ادبى منشور (رواية ، او قصة ، او دراما مسرحية) انتشارا وذيوعا جماهيريا بين الناس ،عندما يتحول الى فيلم سينمائى او دراما تلفزيونية . بل لم يعد غريبا ، القول بان كاتبا ادبيا كبيرا مثل نجيب محفوظ نفسه لم يصبح اديبا «جماهيريا» إلا بعد ان اكتشفه السينمائيون ، فحولوا العديد من اعماله الادبية إلى افلام للسينما .. وهذا هو ما فعله التليفزيون اخيرا فى رواية فتحى غانم «زينب والعرش» التى نشرت على حلقات فى مجلة «صباح الخير» المصرية بين اغسطس ١٩٧٢ ويوليو ١٩٧٣ . ولكن احدا لم ينتبه الى (خطورتها) ـ واهميتها الفنية ـ إلا حينما تحولت الى دراما تليفزيونية .

ولا شك ان الاحكام الفنى الشديد دراميا ومن الناحية النظرية بالاضافة إلى اتقان الأداء التمثيلى إلى حد التقمص الكامل من جانب معظم الممثلين الذين شاركوا فى المسلسل ـ لا شك ان هذه العوامل الفنية هى التى دفعت كل من شاهد الحلقات إلى التساؤل عن احداث وعن شخصيات الدراما التليفزيونية ، وكانها احداث وشخصيات حقيقية وقعت وعاشت بالفعل

من هو «عبد الهادى النجار الحقيقى» ؟ ومن يكون اصل عبد السلام دياب او يوسف منصور او حسن زيدان او زينب الأورفللى ؟ .. وما هو الاسم الحقيقى لجريدة «العصر الجديد» ؟

وليسمح لى القارىء العزيز بان احاول الاجابة ، ولكنها لن تكون إجابة من النوع الذى يتوقعه بشكل كامل . لاننا لو ربما سرنا وذكرنا «تخمينا» واحدا عمن يكون هذا او ذاك من شخصيات الرواية لكانت هذه مغامرة لا يصح ان يتحمل عواقبها واحد بمفرده .. فالكل يتحدثون ! ولكن ستكون إجابتنا محاولة لفهم الشخصيات والأحداث ، وللتعرف على ما تدل عليه حسن فهمنا للرؤية التى قدمها المؤلف .. فالعمل الفنى والادبى حتى وإن اعتمد على كثير من تفاصيل الواقع الحقيقية فانه ليس تسجيلا للتاريخ ، وهو يقدم «رؤية» ولا يقدم نظرية ولا تحليلا «اجتماعيا ـ سياسيا» رغم استثناء رؤيته فى فهم الحقيقة الاجتماعية التى يتعامل معها . وهو يريدنا مع استمتاعنا بالحكاية ومواقفها الدرامية وتطوراتها ـ ان نفهم الظواهر والأحداث والأفعال والأفكار التى يعيشها وينتجها ويصفها اناس عرفنا من يماثلهم او سمعنا بهم .. لا ان نضع لهم وثيقة اتهام او صك غفران ولا ان نصدر بشانهم احكاما بالادانة ، او البراءة .

العصر الجديد

وليسمح لى القارىء بان اعود إلى الكتاب (الرواية) فهو الأصل الذى اعتمدت عليه واستخلصت منه الدراما التليفزيونية . ورغم اختلافات طفيفة بينهما وغير مؤثرة فى اعتقادى ـ فى المضمون التفصيلى للرواية ، فاننى افضل العودة الى الرواية لانها اكثر امتلاء بالتفصيلات والاكثر توضيحا للتاريخ الخاص لكل شخصية . ومع هذا فاننى اعترف بان الدراما التليفزيونية رغم اختزالها الضرورى لتلك التفصيلات ، اوضحت لى جوانب هامة عن هندسة بناء الرواية وخاصة فيما يتعلق بالتقابل بين بعض الشخصيات ، والتشابه بين شخصيات اخرى .

والواضح ان هناك اسبابا عديدة تدفع الى الاعتقاد بان عبارة «العصر الجديد» كانت تصلح عنوانا مناسبا لرواية فتحى غانم التى منحها عنوانا آخر ، ليس له معنى مباشر واضح : «زينب والعرش» .

ولا يدفعنا الى ذلك الاعتقاد ، مجرد ان «العصر الجديد» هو الاسم الذى اختاره احد ابطال الرواية المهمين (عبد الهادى النجار) للصحيفة التى اسسها باموال باشا مفتون بالطريقة الأمريكية والعقلية الأمريكية ، ثم اشتراها عبد الهادى بعد ان راس تحريرها .. ثم اصبحت مكان التقاء اهم ابطال الرواية والمكان الذى تحددت فيه مصائرهم ، ومكان وقوع اهم احداث الرواية واكثر الصراعات بين ابطالها خطورة وإثارة .

ولكن يدفعنا الى ذلك الاعتقاد ، ان فتحى غانم ، إنما اراد فى الحقيقة ، ان يقدم من خلال هذه الرواية شهادته عن العصر الجديد الذى يمتد فى اقوال لها وزنها على طول الزمن الذى تغطيه احداث الرواية . وهى شهادة رجل لم يكن متفرجا ابدا على ذلك العصر ، ولكنه كان فيما تثبته الرواية نفسها ـ يتفرج ويجمع اجزاء الصور المترابطة المبعثرة ويحللها ثم يعيد التركيب ، بينما هو يشارك فيما حدث وكان فى «عصرنا» الجديد .

اختيار البداية

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا هو : إذا كان «العصر الجديد» هو موضوع الرواية ، فلماذا إذا كان العنوان : «زينب والعرش» ؟

لقد ولدت زينب عام ١٩٣٦ تقريبا او بعده مباشرة ففى احد الفصول يقول المؤلف إن زينب كانت تتفرج على موكب الجيش العائد من فلسطين عام ١٩٤٩ وانها كانت يوم ذاك فى الثانية عشرة من عمرها . وقد كان عام ١٩٣٦ وما تلاه مباشرة . عاما حاسما فى تاريخ وتطور مصر الحديثة» .

كما كانت عودة الجيش المصرى من حرب فلسطين . العامل الحاسم الذى قرر مصير النظام الذى اقامته معاهدة ١٩٣٦ بين حكومة يتزعمها حزب الوفد وبين الانجليز ، كما تقررت بتلك العودة ملامح النظام الذى شرعت القيادات الوطنية فى الجيش فى الاعداد لاقامته منذ عودتها .

شىء ما فى تاريخ ميلاد زينب ، يربط بينها كشخصية فنية ، وكمعنى عام فى نفس الوقت ، وبين مصر الحديثة او الرواية .

وقد ولدت زينب مدحت الأيوبى (الأورفللى فى المسلسل التليفزيونى) باسم السيدة زينب تيمنا باسمها ، ولكى تصبح فى الرواية معادلة للرمز الذى اكتسبته سميتها فى صميم إعتقاد شعب مصر وفى صلب ومحور ثقافته ، فالسيدة زينب ومسجدها يمثلان رمزا للقاهرة نفسها فى ضمير الشعب

عرش الحب

فما هو إذن ذلك «العرش» الذى لم يرد له ذكر فى الرواية مطلقا ؟

الاجابة المباشرة التى تلح على ذهنى ولا تريد ان تفارقه هى ان «العرش» الذى اقترن باسم «السيدة زينب» الجديدة هذه فى عنوان روايتها هو : قلوب الرجال ، حبهم وشهواتهم .

انجبها مدحت بك الأيوبى . آخر رجل من سلالة الأيوبيين فكانما انجب رمزا جميلا احبه فى سره ولم ينقطع عن تامله والغرق فى عينيه . والاستئثار لنفسه بها حتى من دون امها الفلاحة (خديجة السبع) إلى ان مات .. وفى لحظة موته



فتحى غانم



صلاح حافظ

إذا كان « العصر الجديد » هو الرواية ، فلماذا كـــــــان العنوان « زينب والعـــــرش » ؟

أوصى بها رجلا لا يمت إليه بصلة دم أو نسب ، هو «عم صالح الأخرس» الفلاح المهاجر إلى القاهرة ، والمتحول إلى عامل أو شبه عامل . الفلاح المتخلص من الذل والذى لقنه ذات مرة درسا فى المساواة والعدالة وعزة النفس .

فى اتجاه الحرية

وصالح الأخرس اعتبرها ابنته وعلمها اشياء كثيرة : علمها الا تشارك الحياة قسوتها على الأحياء والناس ، وعلمها ان تحفظ براءتها وقدرتها على امتصاص اية تجربة واحتوائها بالبراءة وعلمها الا تخاف الشيطان ، وان تحب الله وتثق فيه ، وعلمها ان تصدق ما يدلها ضميرها إليه وعلمها ان تفخر باصلها (كسليلة للأيوبيين والفلاحين معا) لا ان تتردد بين كره هذا الاصل والخوف منه والزهو به وإزدرائه معا مثل امها . وعلمها ان تحتفظ بالكبرياء الذى ورثته من الايوبيين (رمز مصر الاسلامية المجاهدة بالسيف لصيانة حريتها وحرية امتها) والا تستمر فى المذلة والضعف والخوف من الحياة ـ الصفات التى ورثتها من امها الفلاحة ، منزوعة الجذور (خديجة السبع) ـ

وقد تولى صالح الأخرس حماية زينب ومساعدتها على تبين حقائق الحياة العملية وعلى ان تخطو الخطوات الصحيحة فى اتجاه استخلاص حريتها الفعلية من اسر هذه الحياة ، حينما ساعدها على التخلص من زوجها الأول ـ ـ نور الدين بهنس ـ والاقتران بزوجها الجديد وحبيبها الأول يوسف منصور .

الممالك والمملوك

ونور الدين بهنس هو زوجها الأول ، تزوجها عام ١٩٥٣ (بعد اربع سنوات من فرجتها على موكب الجيش العائد من فلسطين) .

ومن كان قادراً على ان يملك «زينب» ذلك الحين ، غير مثل هذا الموظف البيروقراطى ، سليل محدثى النعمة من أثرياء الحرب ، نصف المتعلم ، المحروم من اى قيمة اخلاقية ، الساعى إلى اكتناز المال من اى سبيل ، حتى ولو على حساب امراته وشرفها : النموذج الكامل للبيروقراطية المصرية الفاسدة التى ازدهرت فى سوق «ما بعد التخطيط» السوداء . وفى ظل غياب اية رقابة على الساعين إلى نفس الفوائد

وفى النهاية لا يتنازل بهنس عن ملكيته لزينب إلا تحت ضغط التهديد بانتزاع ما ادخره من منهوباته التى جمعها من الاختلاسات والرشاوى ومن المتاجرة بالعملات والتهريب ، إلى آخر هذه النشاطات التى تميزت بها «فئته الاجتماعية» طوال الحقبة الأولى من «العصر الجديد» .

... ويتنازل بهنس عن ملكيته لجسد زينب مقابل تامين حبه الكبير : نقوده !

الحب الكذاب

ثم احبها عبد الهادى النجار ، ولكنه لم يقدر على دفع ثمن حبها . ذلك انه لم يحبها حقا وإنما اشتهاها ، واشتهى ان يمتلكها بعد ان ياسرها بحاجتها إليه . وكان ثمن حبها ان يحميها وان يشاركها الحياة وان يكون رجلا وان يصونها . ذلك ان حبه لها ، كان له معنى آخر غير الحماية والمشاركة والصون . كان حبه لها معناه ان يشتهيها وان يستمتع بها استمتاع المالك بما يملكه . لا ان يربط مصيره بمصيرها ، وان يسعى معها إلى مصير إنسانى وجميل مشترك لها وله .

لم يقدر عبد الهادى على ذلك . وكان أول ما يتجلى فى الرواية عجزه عن حمل العبء الذى كانت تطلبه «زينب» الجديدة من مريديها : عجزه الناشىء مما تعلمه من ابيه ، وعدم الالتزام بوطن او بمبدأ وعدم السعى إلا لمصلحته او النظر حتى الى العلم نفسه إلا كوسيلة للرزق والتسلط على الآخرين ، واعتبار الوطن ذاته سوقا للاتجار باى شىء والكسب من اى شىء : الاتجار بالحقائق كما بالاكانيب ، والكسب من الباشا الوفدى والباشا الدستورى ومن الباشا الامريكانى ومن دولة ٢٣ يوليو ، بنفس المهارة !

لكل هذا لم يكن عبد الهادى النجار مهيا لان يكون رجل زينب ولا حاميها ، رغم انه رغب بارادة خائرة ان يكون هو هذا الرجل والحامى بان يمتلكها دون ان يتحمل مسئولية تحريرها وتعليمها ، ثم خانته طبيعته او طبيعة الفئة التى ينتمى اليها من سلالات «المثقفين» المصريين

المغتصب المهزوم

اما حسن زيدان ، نائب عبد الهادى النجار .

وتلميذه فى احقر جوانبه واكثرها انحطاطا ، والامتداد الطبيعى لما فى استاذه من مهارات الانتهازية والرياء والكذب واللعب على الحبال .. فكان احقر شانا من ان «يعترض» طريق حياة زينب مباشرة وإنما حاول ان يعترض طريق الذى احبته واحبها حقا ، لمجرد ان هذا الرجل كان القادر الوحيد على تحريرها .

ولم يعترض حسن زيدان حياة زينب ولكنه قابلها واشتهاها . واستخدم اشتهاء استاذه عبد الهادى النجار لها . لكى يحاول تحطيم عبد الهادى ، ثم استخدم حب زميله النائب الثانى لعبد الهادى (يوسف منصور) لها ، لكى يلوث سمعته ويقضى عليه .. ولكنه فى المرة الوحيدة التى لقيها بمفردها (فى مصعد مغلق) حاول اغتصابها ولكنها هزمته بسهولة وفى نفس اللحظة ، ثم لم تسنح له فرصة اخرى للالتقاء بها

لقد جاء حسن زيدان الريفى الفقير المتعلم من مدرسة عبادة الفرد المتفوق وتمجيد القوة المجردة من الاخلاق وادعاء العلم ، واعتبار العلم مجرد حرفة لا وطن بها ، يمارسها صاحبها باتقان ، وبلا وازع اخلاقى ، حيثما سنحت له فرصة الكسب .. وإذا تطلب الارتزاق ، يتنازل حسن عن ذاته المزهوة وعن العلم ، ويتحول الى افاق بلا مهارة غير اللعب على كل حبل . ووصولى مستعد لان يدوس اية قيمة او إنسان لكى يصل لهدفه.

تشابه الأضواء

اما احمد عبد السلام دياب ، فان بصره لم يقع على زينب ابداً ، مع انه كان اجدر الجميع ـ عدا يوسف منصور . بان يراها . وبوصفه احد صانعى ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فانه كان احد الذين تفرجت زينب على موكبهم فى عودتهم الغاضبة والحاسمة من حرب فلسطين . وبوصفه احد صانعى هذه الثورة ايضا فانه كان جديراً بان يشارك عم صالح الأخرس فى ابوته الروحية لزينب كما كان ابا لصديقتها وشبيهتها المسكينة الضريرة : سوسن : ابنته التى لم يرها ابداً هى الأخرى لانه هجر امها «خوفاً» من ان يتحمل مسئولية ماضيها المشين وهنا يجب ان نعترف بان الدراما التليفزيونية وليس الرواية . هى التى كشفت ذلك التقابل بين شخصية حبيبة دياب القديمة (الراقصة زهرة التى اصبحت خياطة شهيرة وسمسارة صفقات كبيرة بين

ازواج زبوناتها الاثرياء من رجال الاعمال فى مجتمع مصر السرى الحقيقى ، فى العصر الجديد) .. وبين زينب : كلتاهما ـ زهرة وزينب ـ كان حبها مسئولية وطريقاً يتحرر فيه الحبيب من انانيته وسلبيته وجبنه واحتمائه من انسانيته ومن (الانسانية) وراء جمود الكلمات الطنانة .

وهكذا اصبح حبيب زينب ـ يوسف منصور ـ البديل الايجابى لدياب الذى عجز عن الوفاء بمسئولية حب زهرة . واصبحت زهرة صورة قديمة ماساوية من زينب فى ظروف الماضى حينما لم تستطع ان تجد حبيباً يصونها ويتحمل معها مسئولية تحريرها وتحرير نفسه كما اصبحت زهرة ـ حين تحولت من راقصة تبحث عن الحب والحرية الى سمسارة تبحث عن الكسب والسلطة .

صورة اخرى من خديجة السبع ـ أم زينب ـ كلتاهما تستخدمان تجربة الذل مبررا لاذلال «البنت» التى ولدتها كل منهما ، وتستخدمان البنت سلعة فى سوق شراء الأمن او السلطة الكاذبين .

وهكذا ايضا اصبحت سوسن (ابنة زهرة من دياب) صورة ثانية واكثر ماساوية لزينب لانها لم تجد اباها الحقيقى ولا الأب الروحى مثلما كان لزينب والد حقيقى ترث منه «التاريخ» والكبرياء وجنون رفض الواقع الفقير ، ووالد روحى (صالح الأخرس) ترث منه البراءة والايمان والقدرة على الصبر واحتواء التجربة ، فاختارت سوسن الانتحار الذى نجت منه زينب بفضل ماتعلمته من عم صالح ، حتى اصبحت مؤمنة : « تحب الحياة والدنيا » : هبة اللـه الثمينة لها .

وهكذا يكتشف احمد عبد السلام دياب الضابط الثورى الذى شارك فى صنع بداية جميلة لـ « العصر الجديد » ثم افلت منه الزمام بسبب سطحيته وجموده وتعاليه على حقائق الحياة وإنسانية الواقع ، يكتشف التشابه بينه وبين يوسف منصور .

إن يوسف منصور صورة جديدة متطورة له هو : أخلاقى وبرىء ومباشر ومشغول بالعمل وبالحرية ، ولكن الفارق بينه وبين يوسف أن دياب لم يكن قادرا على ان يستكمل مسئولية حب او يتحمل التجربة . كما لم يكن قادرا على أن يفكر لنفسه فى إطار التزامه بحرية ، وإنما كان يردد مايقال له دون تفكير ، يتلقى الأوامر والمواعظ بالتليفون ويخاطب الآخرين بلهجة الواعظ أو الآمر العسكرى دون محاولة للتعرف على حقائق الحياة والناس والأشياء والعلاقات .

لقد اشرف على تجربة الحب الحقيقى والثورة الحقيقية . ولكنه لم يستطع دخول التجربة لانه لم يتحمل عبئها ولانه تعامل مع عناصرها كما لو



زينب والعرش والرجال



كان يتعامل مع عبارات مجردة او مع اشياء جامدة او فى افضل تقدير مع قطع شطرنج يظنها جنودا ليس عليها إلا الطاعة فى ميدان القتال ، ولذلك وانا اعود هنا الى الرواية ـ فشل فى حبه لنزهة وعجز عن ان يشارك عم صالح الأخرس فى ابوته لزينب بان يكون راشداً ليوسف منصور ، وفشل فى تحقيق حلمه بان يحول « العصر الجديد » الى جريدة تشارك فى إقامة حكم الحقيقة والحرية والعدل ، وفشل فى ان يجعل «العصر الجديد» عصراً لمبادئه هو ... وإنما انهزم فى كل مواجهة مع عبد الهادى النجار ـ الذى هزمه يوسف ـ كما انهزم حتى امام حسن زيدان الذى استطاع يوسف ان يصمد امامه حينما «دخل التجربة» وتعامل مع حقائق الأشياء لا مع الكلمات .

الحب والحرية

اما يوسف منصور فكان الوحيد الذى احب زينب تلقائياً ، واحبها لذاتها واحبها لذاته هو كذلك . إنه مولود لكى يحبها ويرتبط بها ويعلمها ويتعلم منها ويصونها ويكتشف انها تملك القدرة على صيانته وياخذها لنفسه وسلمها نفسه لكى تاخذه . يبدو من البداية كانه وعدها ، وتبدو هى كانها اصله ومصيره . وحتى بعد الزواج تتحول علاقتهما الى «امتحان» للحب وللوعى ، يلتقى فيه ميراث الأيوبيين الممتزج بميراث «الفلاحين» فى دم زينب وروحها بميراث يوسف ، افضل ميراث خلفته تجربة مصر الحديثة حتى الآن .

إنه ابن اسرة « مستقرة » من الطبقة المتوسطة القاهرية التى تلقت العلم دون ان تنفصل عن جذورها . وهو ابن « مستشار» ـ اى قاضى مصرى ـ حيث يعلمنا تاريخ مصر الحديث ان القضاة كانوا من علامات الاستنارة العقلية والديمقراطية .

تعلم القرآن والأخلاق والالتزام والتفكير بحرية وصمت فى جانب خفى من جوانب عالم مصر ماقبل «العصر الجديد» وحينما جاء ذلك العصر بمتناقضاته لم يغرق فيه ، وإنما آمن بوعوده إيماناً رصيناً دون إدعاء ، ورفض مافيه من زيف رفضاً دون ضوضاء ولا عصبية . امتزجت فى عقله افضل عناصر ثقافة الأسلاف ومنجزات جيل الليبرالية الأول المتوارى دون ان يحقق احلامه حتى التقى بوعود التغيير والتقدم يحمل «فضائل» الطبقة المتوسطة فى ضميره كانها من بديهات الحياة : العلم والاجتهاد والعمل وجمع خبرات التجربة والمباشرة فى التعامل والالتزام بمؤسسات المجتمع الرئيسية كالدين والأسرة . إنه تلقائى الذكاء ولكن لايهاب التجربة : كانما ذكاؤه غريزة وتلقائيته براءة ولكنها براءة لا تتهيب امام «المعرفة» ولا تضيع إذا دخلت التجربة او اكلت من الشجرة المحرمة . ولذلك فانه قد يخطىء احياناً وقد يغلب على امره ولكنه لا يمكن ان تستقر الهزيمة فى داخله . إنه ليس من النوع الذى « لايسمح » لنفسه بالهزيمة (فهؤلاء عادة يهزمون فى النهاية) . بل انه قد ينهزم فى معركة ويضطر الى طلب العون ولكنه لا «يشعر» ابداً بانه مهزوم ولا يطلب العون إلا من حيث يشعر ان له جذوراً حية ، لأنه قادر على الاحساس بانه يملك شيئاً اكبر من جزئيات الحياة كلها ، ولأنه واثق ان قضيته هى التى « من حقها » ان تنتصر لأنها هى (الحق) .

وقضيته هى حريته التى اكتشف انها حرية مهددة بالضياع حينما اصبح مطالباً بان يسلم قياده لمؤامرات عبد الهادى وزيدان ، او لتنظيم دياب . وفى نفس الوقت ، اصبحت قضية حريته هى قضية حرية زينب التى هددها بالضياع الى الأبد . بامتلاك نور الدين بهنس لجسدها ومحاولة حسن زيدان اغتصابها ومحاولة عبد الهادى امتلاك روحها ومحاولة نزهة (الهام كمال باسمها الجديد بعد ان تحولت الى سمسارة) الاتجار بها او اتخاذها ابنة بدلا من ابنتها التى دفعتها الى الانتحار .

وهكذا اكتشفت زينب قبل يوسف ان مصيرهما واحد ، وراح يوسف يتصرف بغريزته قبل وعيه ـ على اساس ان حريتهما واحدة ، وان حصول كل منهما على حريته مشروط بحصول الآخر على حريته ، ربما ببركات ـ وارشاد ـ صالح الأخرس ، ولكن ضد محاولة كل واحد من الآخرين جميعاً لأن يمتلكهما ، او يغتصبهما ، او يتاجر بهما او يحقق من خلالهما احلاماً عاجزة وبائرة .

سامى خشبة

المسابقة

حل مسابقة من . أين . ما
العدد « ٥٦ »

من : ابراهيم عليه السلام
اين : الفيلبين
ما : جليسرين



١ ـ الريان ـ الراية ـ الصقر
٢ ـ امن تذكر جيران بذى سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
الامام البوصيرى ـ قصيدة : البرده
٣ ـ ١٨٨٢ الخديوى توفيق
٤ ـ عمر بن عبد العزيز
٥ ـ لا ليست صحيحة علميا . لان ملح الطعام هو كلوريد الصوديوم
٦ ـ مصر
٧ ـ النحيليه
٨ ـ شكسبير
٩ ـ ابن سينا
١٠ ـ سيدنا المسيح عليه السلام

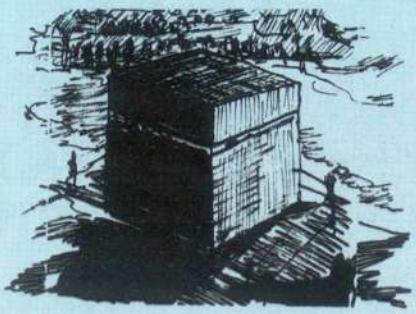
من . أين . ما

● مـــن .. ؟
احد رجلين ارسلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال لهما (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) اسمه من ثلاث كلمات وتسعة احرف :
٣ ـ ٩ ـ ٧ ـ ٤ ـ ٨ مايفعله المغناطيس
١ ـ ٦ ـ ٥ ـ ٢ اصل نهر

● اين .. ؟
مكان منعزل بدات فيه شريعة مدنت الناس وارست قواعد الحضارة ومكارم الاخلاق . اسمه من كلمتين وسبعة احرف : ـ
٣ ـ ١ ـ ٦ ـ ٧ صوت البعير
٤ ـ ٢ ـ ٥ لم يهتد

● مـــا .. ؟
قانون ساد به العرب ، وذلوا بعد اهماله وترك تعاليمه ولا يعود لهم مجدهم الا به اسمه من ستة احرف : ـ
٥ ـ ٢ ـ ٦ ـ ١ ـ ٤ من اول الاختراعات التى وفق الله الانسان لاكتشافها .
ـ ٣ ـ فعل امر للحماية .

الجواب الصحيح



١ ـ يقع الحجر الاسود من الكعبة المشرفة فى الركن ـ الشمالى الشرقى ـ الجنوبى الغربى ـ الجنوبى الشرقى

٢ ـ كان عام الرمادة وطاعون عمواس على عهد الخليفة : عمر بن الخطاب ـ على بن ابى طالب ـ عمر بن عبد العزيز

٣ ـ تقع جزيرة شدوان فى البحر المتوسط ـ الادرياتيك ـ الاحمر

٤ ـ وثيقة الماجنا كارتا التى هى اساس الديموقراطية فى بلاد البريطان كانت سنة :
١٢١٥ ـ ١٣١٥ ـ ١٤١٥

٥ ـ كانت المقصلة التى استخدمتها الثورة الفرنسية لاعدام اعدائها تسمى :
الجيلوتين ـ الفلقة ـ المنجنيق

٦ ـ «الحمار من الحيوانات المجترة» هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٧ ـ ليت هنداً انجزتنا ما تعد :
اكمل البيت وأنسبه الى قائله .

٨ ـ اى المسافتين اطول : من القاهرة الى بغداد ام من القاهرة الى دمشق ؟وما مقدار كل من المسافتين ؟

٩ ـ مجموع زوايا المستطيل :
٢٠٠ درجة ـ ٣٦٠ درجة ـ ٥٠٠ درجة

١٠ ـ مؤسس جماعة الاخوان المسلمين هو :
جمال الدين الأفغانى ـ الشيخ محمد عبده ـ الامام الشهيد حسن البنا

نتيجة مسابقة شهر يوليو ١٩٨٠ العدد « ٥٦ »

● فاز بالجائزة الاولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .
القارئة : ناجية احمد حسين : ٣٣ شارع عمر بن الخطاب ـ خلف نادى الصيد الدقى القاهرة .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة :
القارىء : عادل عيد محمد ابراهيم . قطر الدوحة : ص . ب ٣٠٥٧

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة :
القارىء : نجم الدين محمد أحمد محمود السودان ـ كوستى ـ بواسطة السيد / خضر محمد أحمد محمود ـ مخازن النقل

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

١ـ مازن غصون خميس :الدوحة/قطر
٢ـ امانى مصطفى حمودة: الدوحة/قطر
٣ـ يسرى السيد السرى:الدوحة/قطر
٤ـ عبد الرحمن حسن عبد الرحمن /قطر
٥ـ سهيلة العناسوة : السلط /الأردن
٦ـ عاطف المعايعة : مادبا / الأردن
٧ـ مراد عبد الغنى محمود:عمان/الأردن
٨ـ خالد ناصيف : دمشق / سوريا
٩ـ محمود عوض عزايزة : سوريا
١٠ـ الصادق محمد عبد الله / السودان
١١ـ محمد العربى صالح : دنين/تونس
١٢ـ محمود محمد حمدان حمد / الكويت

اعتذار بالبريد

ارسل احد اليابانيين مقالا الى ادارة إحدى الصحف لتنشره ، وبعد يومين تلقى مرسل المقال الخطاب التالى من رئيس التحرير :

« سيدى العزيز .. يا اخا الشمس وابن الأصل العريق اسمح للعبد المكبل بالخطايا ان يتوجه الى ذاتك المحترمة بالحديث ، وصلنا بمقالك القيم الذى تفضلتم وتكرمتم وخصصتم به الصحيفة التى يشرف عليها الضعيف الذى يكتب لكم وقد قرانا المقال فبهرتنا بلاغته وراعنا ما حوت سطوره من معلومات نفسية وما تضمنه من فوائد قيمة هى ولا شك من هدى الآلهة اختصت به ذاتكم المبجلة ولقد اعددنا المقال للنشر فى صدر هذه الصحيفة ولكننى يا سيدى قلت لنفسى فى اللحظة الأخيرة لو اننا نشرنا مقالكم النفيس لأصبح كل ماينشر بعده غثا سخيفا لا يستحق القراءة حتى تجود علينا بمقال اخر وقد يؤثر هذا فى رواج الصحيفة ولهذا ارجو يا سيدى ان تسمح للعبد ان ينحنى خاشعا ويرد لك المقال شاكرا ..»



كامل جسرى
سورية

أول مرة

اوقفت إحدى الطالبات بجامعة تورونتو سيارتها داخل الحرم الجامعى ، ولما عادت وجدت عليها مذكرة « مارسيل مالكين ، لقد استخدمت منطقة وقوفى ، ابحثى عن مكان اخر لسيارتك » .. امضاء .. «استاذ الفلسفة» .

وفى اليوم التالى تركت له ورقة على سيارته كتبت عليها : «سيدى الاستاذ .. كما ترى لقد حولت مكان وقوف سيارتى ، وانى عظيمة الامتنان لأن مذكرتك ، هى اول ما فهمته من كتاباتك» .

محمد ايوب
الاسكندرية

كلمات لها معنى

● تذكر ان الحب محطة تستريح فيها لحظات لتبدأ من جديد ، وتعبىء جهدك لرحلة طويلة شاقة .

● إعلم ان الحياة ليست خطيئةوانما الخطيئة هى ان تقول مثل هذا الكلام وان تصدقه

● ليس كل كتاب تتناوله محاولة بريئة لتعليمك فقد يكون هذا الكتاب اقتل لروحك من الزرنيخ .

● لا تنفر من شىء لانهم قالوا لك انه خطأ .. وإنما احتكم الى عقلك وجرب نفسك .. سر فى الطين .. وتعلم كيف تحفظ توازنك .

●فى الحياة رذيلتان اثنتان فقط .. ان تكذب على نفسك .. وان تخاف من انسان يمرض مثلك ويموت مثلك .. فتخلص منهما .. وكن جرىء القلب تكن رجلا فاضلا .

● العقل الكبير عقل كالمصفاة .. كالمنخل .. يسمح للدسم بالمرور من خلاله ويحتجز السمّ .. ولا يرفض شيئا .. انما يختبر كل جديد بعينه الفاحصة

محمد احمد برمو
محافظة البحيرة ـ ج.م.ع .

من طرائف برنارد شو

عثر برناردشو ذات يوم ، وهو يقلب كتبا فى احدى المكتبات التى تتعاطى بيع الكتب المستعملة على مؤلف من مؤلفاته كان قد اهداه الى صديق له وصدره بالعبارة التالية «مع اطيب التمنيات» فاشتراه وعزم على اهدائه الى الصديق نفسه بعد ان كتب تحت العبارة الأولى «اكرر اطيب التمنيات».

واتفق له ان زار مرة اخرى تلك المكتبة ، فوقع نظره على مسرحية «بيجماليون» وكان قد اهداها الى احدهم وصدرها بكلمة اهداء طويلة نظرا لعلاقته الوثيقة بالمهدى اليه ، فتقدم من صاحب المكتبة وساله عن ثمن النسخة فاجاب : «إن ثمنها الأصلى ١٢ شلنا ، ولكن الحمار الذى سود صفحتها الأولى بكتابته هذه يضطرنى لبيعها بثلاثة شلنات»

ياسين صويلح
الحسكة ـ سوريا

السؤال الصحيح



قال رجل لهشام القرطبى : كم تعد ؟ .. قال من واحد الى الف الف واكثر .

قال : لم ارد هذا .. كم تعد من السنين ؟ قال اثنين وثلاثين سنا ، ستة عشر فى الفك العلوى ، وستة عشر فى الفك السفلى .

قال : لم ارد هذا ، كم لك من السنين ؟ .. قال هشام : ليس لى فيها شىء والسنون كلها لله .

فقال الرجل : يا هذا ... ما سنك ؟ .. قال هشام : من العظم .

قال الرجل : ابن كم انت ؟ .

قال هشام .. ابن اثنين .. رجل وإمراة ..

قال الرجل : قل لى بالله عليك كيف اقول ..

فقال هشام : كم مضى من عمرك ؟ .

اوسام فرج ابراهيم
ج ٠ م ٠ ع

الخروج من المأزق

اراد الرشيد ان يفاجىء ابا نواس بزيارته فى داره ، ولكن قبل وصول موكبه لمحه ابو نواس فوقف خلف الباب حتى اذا دنا الجواد الذى يمتطيه الرشيد من الباب فتحه ابو نواس بسرعة ليفسد على الزائر العظيم مفاجاته له . فجفل الجواد ، وسقطت عمامة الرشيد فتطير من هذا الحادث تطيراً شديداً وامر بالنطع والسيف . فضحك ابو نواس فاستغرب الرشيد وصاح به :

ويحك ... اتضحك وانت على ابواب الآخرة ؟؟ ..

فقال ابو نواس : اضحك يا مولاى لانك تقتلنى بغير سبب

فقال الرشيد : انما اقتلك لانك شؤوم الطالع فقد «اصطبحت» بوجهك فسقطت عمامتى !!

فقال ابو نواس : وانا اصطبحت بوجهك ففقدت حياتى فاينا اكثر شؤما ؟؟

فضحك الرشيد وقال احسنت .

رجائى معتوق
سوريا

حـــاول أن تعـــرف ● ● ●



لعبة الخيالة

هذه اللعبة اسمها الخيالة .. وهى من الألعاب الشعبية فى بلد عربى يقع على المحيط الأطلسى .. هل يمكنك التعرف على اسم البلد الشقيق .

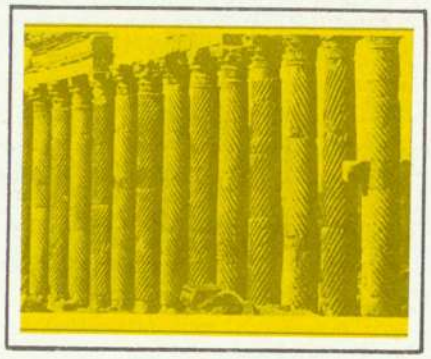


هذا الفنان

لوحة لفنان ولد عام ١٨٨١ ، ومات فى عام ١٩٧٣ ، تميزت أعماله بالتطور الدائم وأصبح من أشهر فنانى العصر الحديث .. من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد « ٥٦ »

البلد : سوريا



الصورة الاولى

١ ـ مصطفى عبد الله : ج . م . ع

٢ ـ أحمد عبد العزيز النجار ـ ٣٠ شارع بورسعيد ـ أسيوط

الفنان الايطالى : مودليانى



الصورة الثانية :

١ ـ الشاذلى محمد مهداوى ـ تونس

٢ ـ سعدون الحلبى ـ سوريا

هل توافقهم الرأى ؟

● يكره الناس من يضطرونهم الى الكتب عليهم .

«فيكتور هوجو»

● العارى من الفضيلة لاشىء يستره .

«بنيامين فرنكلين»

● انا لا ابدل احزان قلبى بافراح الناس ، ولا ارضى أن تنقلب الدموع التى تستدرها الكابة من جوارحى وتصير ضحكة . اتمنى أن تبقى حياتى دمعة وابتسامة .

«جبران خليل جبران»

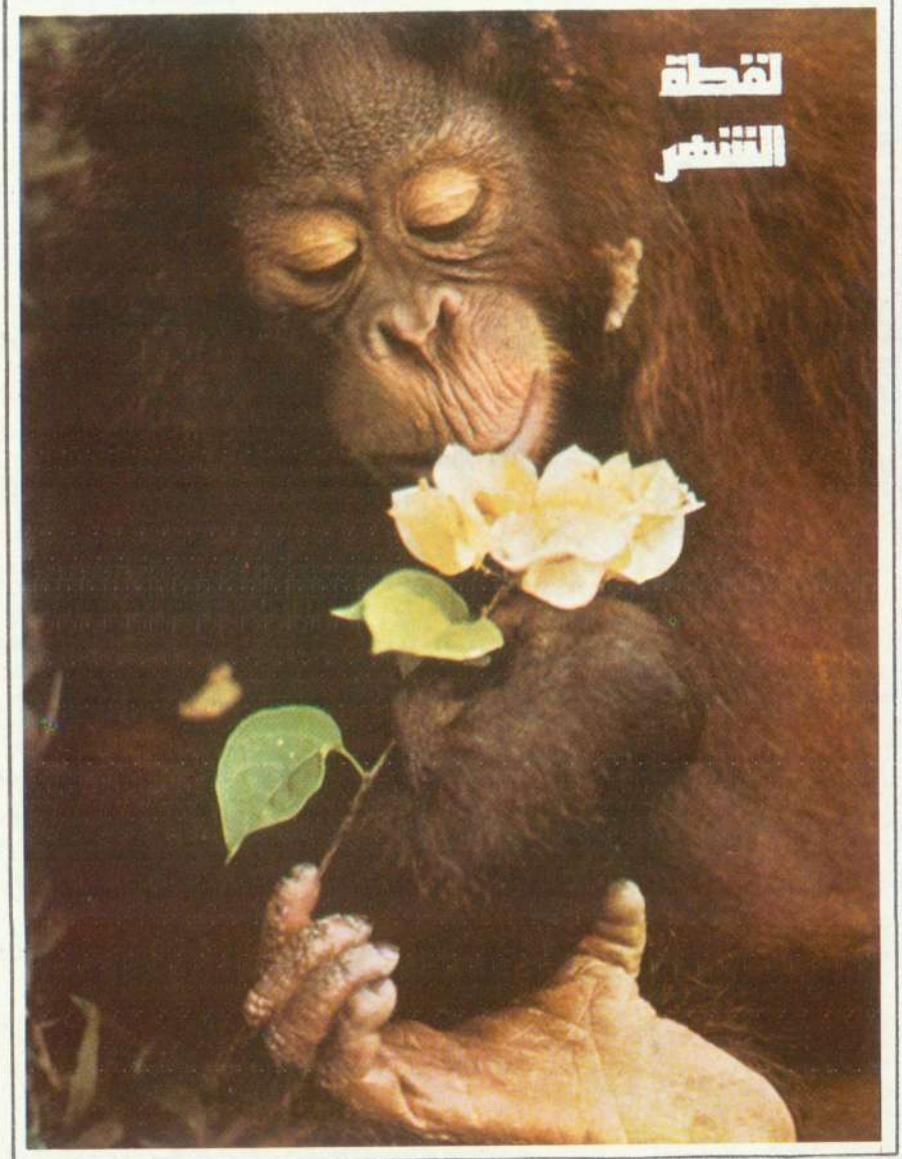
● لاتقل انك تعرف انسانا معرفة تامة قبل ان تقتسم معه ميراثا .

«يوهان كاسبر»

حبيب رزق الله

مصر الجديدة ـ القاهرة

لقطة الشهر



فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال القارىء شوكت بهجت ـ لبنان

ثلاث قفشات

هل استطيع ان انتزع ابتسامة ـ ولو بسيطة ـ منكم بهذه القفشات الثلاث .. اتمنى ذلك :

● لاحظ صاحب إحدى المجلات ان رئيس التحرير قد ترك صحيفة بيضاء دون ان يكتب فيها شيئاً فساله :

ـ لماذا تركت هذه الصحيفة فارغة ؟

ـ فاجابه : من اجل الذين لا يعرفون القراءة ، وبذلك يكثر حزفاؤنا ...

● اصطاد صياد سمكة كبيرة وما لبث ان رماها فى البحر .. ثم اصطاد سمكة كبيرة اخرى ورماها ايضاً فى البحر وفى المرة الثالثة اصطاد سمكة صغيرة ففرح بها كثيراً ووضعها فى كيس . فساله شخص كان يراقبه : لماذا رميت السمكتين الكبيرتين وابقيت الصغيرة ؟ فاجاب الصياد : لأن المقلاة التى عندى صغيرة لا تتسع للكبير من السمك .

● سرق لص حماراً من السوق وعاد به الى زوجته ، وفى الاسبوع الثانى ذهب لبيعه ولكنه نام فى الطريق ، وحين استيقظ لم يجد الحمار . فعاد الى البيت ، فسالته زوجته عن الثمن فقال : بعته باصل الثمن !

فوزى المصموسى
تونس

جاريكاتير وتعليق العدد « ٥٦ »



ـ الخياط : ياه ! لم اتخيل ان الصوم سيجعلك تضعف بهذا الشكل .

حواء ناصر سالم
سلطنة عمان

ـ الخياط : يبدو ان الصابونة التى استحممت بها اليوم ، أخذت الكثير من جسمك لأن المقاسات كانت ماخوذة بدقة

محمد رحمة الله
السودان

جاريكاتير و تعليق



ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال



الورقة الأخيرة

حسن احمد السوس

أطفالنا : من يكتب لهم ؟

اطلعت في العدد (٤٥) من مجلة الدوحة الغراء على مقال بعنوان « الكبار ·· هل يستطيعون الكتابة للصغار؟ » بقلم الاستاذ احمد عبد السلام البقالي ··

قرات الموضوع مرتين ·· واعدت قراءته ثالثة ·· واحسب انني قد عرفت الاستاذ صاحب المقال ·· في احدى حلقات الجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٦٣ فان لم اكن مخطئا ·· فاني احييه ثلاثا ·· اولا لهذه الصلة القديمة وتذكيري بتلك الفترة من حياتنا ·· واذكر ان من زملائه المغاربة في تلك السنة المرحوم الاستاذ عبد القادر الغلادي الذي واصلني بالمكاتبة بعد عودته الى المغرب ، والاستاذ الهلالي والسيدة بوقالي ·· والسيدة او الآنسة آمنة · وغيرهم اقول ··ان كان هو من عرفت فانني احييه مرة للذكرى والزمالة ·· ومرة لكونه من المغرب الذي احمل له اجمل وانقى صورة ·· واعتز بكل من ربطتني بهم صداقة من ادبائه ·· والثالثة وهي اطيب التحايا لاثارته هذا الموضوع باحساسه المرهف وذوقه الرفيع وبعباراته الرقيقة التي تنم عن عاطفة جياشة وحب مخلص للطفولة ولمحاولته سد فراغ نشعر به نحوها · اقول ان الفكرة في ذاتها جيدة خصوصا وقد اقترنت بالطفل الجدير منا بكل اهتمام ورعاية ·· سيما في تربية نفسه وعقله وذوقه ، وانماء احساساته الجمالية ومواهبه الذوقية ، ومهاراته الفنية ·

وهذا الموضوع اعتقد انه شغل بال المربين كثيرا فالفوا فيه التاليف وحبروا الرسائل ، ودونوا المذكرات ·

وموضوع ادب الطفل جدير بالمناقشة وجدير بالاهتمام ولكن كما ذكر الاستاذ بقالي ·· هو من العسر بحيث لا يستطيع الخوض فيه الا اصحاب المواهب الخاصة ممن يستطيعون تقمص شخصية الطفل ، وتلبس احساسه وانفعالاته ، والغوص الى ما يعتمل في ذاته وهذا لا يتاتى الا لأولئك الذين « ما يزال بريق الطفولة في عيونهم » كما قال الاستاذ بقالي وقد احسن التعبير وكاني به يعني بذلك الشعراء مرهفي الحس مشبوبي العواطف ·· فهم احسن من يمكن ان يكتب هذا الادب ··واذا قلنا : «أدب» فاننا نعني شمولية الكلمة فنعني القصة ، الشعر ، التمثيلية وما الى ذلك وبالطبع لابد وان يكون لكل فن منها متخصصون واعتقد ان احسن من يمكن ان يكتب ذلك هو المراة الشاعرة ·· الام ·

كانت هناك محاولات سابقة من كثير من الادباء في كل هذه الفنون ولكني مع الاستاذ في كونها ما تزال قاصرة ··

اذا قلنا : «طفولة »فاننا نعنى مرحلة معينة ·· وهي اخطر مراحل العمر الانساني لانها مرحلة التشكل والتقولب والطفل فيها يكون في غاية الحساسية والتاثر اذن فلابد من ملامسته برفق وحذر ·· والا نلقي اليه الا بما هو مضمون المناسبة ـ على الاقل في اعتقادنا ـ ·

وهو في سن الطفولة اما ان يكون في الروضة او في المرحلة الابتدائية ، والمرحلة الاولى هي مرحلة سماعية بالنسبة للقصة والاناشيد والاغاني حيث لم يتمكن الطفل ـ بعد ـ من مبادىء القراءة المنفردة فهي مرحلة تلقين ·· والتلقين ـ في ذاته ـ فن ناهيك عن حسن اختيار الموضوع ·· والمادة ·والمفردات والصياغة ·· الخ

فنحن اذن محتاجون الى متخصصين وهم في بلادنا العربية اقل من القليل ان لم يكونوا مفقودين فنحن بحاجة الى الفنان الذي يفهم الطفل حتى يضع له المناسب من الشعر·· الاغنية ·· القصة ·· التمثيلية · واذا استطعنا ان نجد النص المناسب والمعلم الذي يستطيع ان يعرض هذا النص ببراعة ·· فاننا نكون قد خدمنا اطفالنا خدمة جليلة · احسبني اطلعت على مجموعة شعرية للشاعر الكبير الاستاذ سليمان العيس تتعلق بهذا المجال ـ وهو مشكور على اهتماماته الجيدة ـ ·

بقيت النماذج الثلاثة التي عرضها الاستاذ بقالي وبصفتي معلما · وامارس نظم الشعر ، واتذوقه احب اولا ان اسال الاستاذ لمن اعد هذه النماذج اعني لأية مرحلة من مراحل التعلم او التعليم ··

فان كانت ـ ولابد وان تكون ـ للمرحلتين اللتين ذكرتهما آنفا ·· فاعتقد انها اعلا ـ من حيث الصياغة ومن حيث الكثير من المفردات ، ومن حيث الطول ـ اعلا من مستوى هاتين المرحلتين ·

النموذج الثالث اخشى ان يعترض عليه المربون ـ لا كاعتراضي الفني ـ يعترضون عليه من الوجهة التربوية فانت تريد ان تغرس «عادة» «الرحمة» في نفس الطفل ·· ولكنك سوف تثير «غريزة» الخوف، ونخشى ان تعقد «عقدة» بنفسه تحتاج الى «حلال» ·· وحينئذ نكون قد اسانا من حيث اردنا الاحسان وعالجنا داء بداء أخطر ·

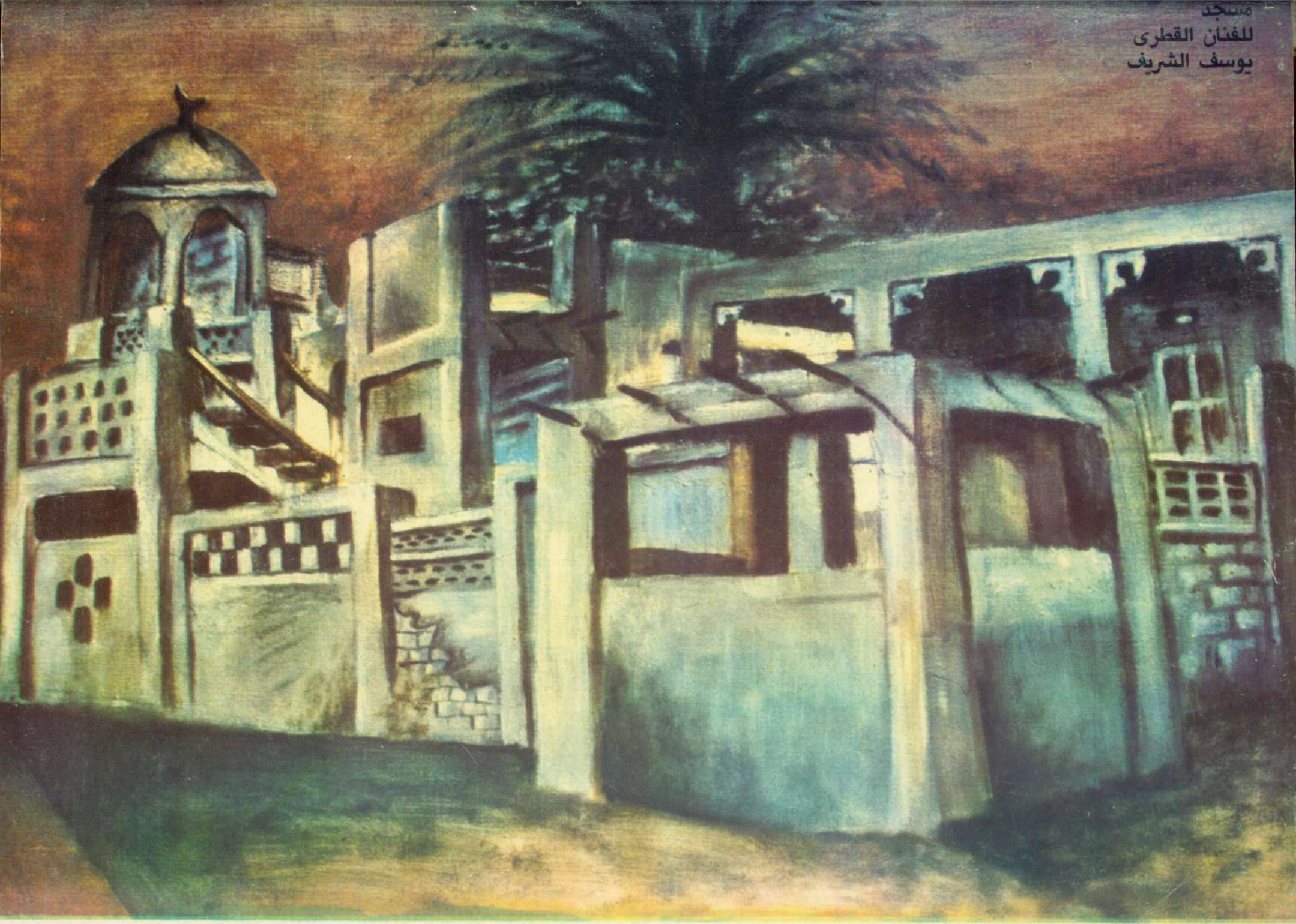
اكبر في الأخ الاستاذ بقالي اهتمامه بالطفل ومحاولة الاسهام في بناء ذوقه وحسه ونفسه ، وحسبه ان يكون الاخلاص رائده ·· ولكل امريء ما نوى ··

حسن احمد السوس



بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ



مسجد
للفنان القطرى
يوسف الشريف